جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بأسيوط
المجلة العلمية

بَنُو المُدَبِّر في الدولة العباسية

" العراق – الشام – مصر" (٢١٥ هـ - ٢٩٢ هـ) (٨٣٠م – ٩٠٤م)

إعداد

د. آمال عبد العاطي السيد عبد العال

قسم التاريخ الإسلامي، كلية الآداب، جامعة طنطا

(العدد الواحد والأربعون)
(الإصدار الثاني ٠٠٠أكتوبر)
(الجزء الأول (١٤٤٤هـ /٢٠٢٢م)

الترقيم الدولي للمجلة (ISSN)2536-9083
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية : ٢٠٢٢/٦٢٧١م

بَنُـو المُدَبِّـر فـي الدولـة العباسيـة

" العـراق – الشـام – مصـر" (٢١٥ هـ - ٢٩٢ هـ) (٨٣٠م – ٩٠٤م)

آمال عبد العاطي السيد عبد العال.

قسم التاريخ الإسلامي، كلية الآداب، جامعة طنطا، مصر

البريد الإلكتروني: Amalabdelaty11@gmail.com

الملخص:-

تتناول هذه الدراسة بنو المُدَبِّر في الفترة محل البحث، وأخبارهم في العراق والشام ومصر، وذلك من خلال ما ورد عنهم في المصادر التاريخية والأدبية وأيضاً كُتب الوزراء والكُتَّاب، والتي عكست كل منها جانباً مهماً من جوانب أفراد هذه الأسرة خلال تلك الفترة. وجاءت شهرة أفرادها من خلال أمرين مهمين هما:- الأمر الأول: يرجع إلى الوظائف الهامة التي تولوها وكانوا في معظمها بالقرب من الخلفاء ولهم تأثير إداري قوي وأحياناً كثيرة أوجدت تأثيراً سياسياً كبيراً في مجريات الأحداث. الأمر الثاني: ويتمثل في شهرتهم الأدبية، والتي عكستها قصائدهم العظيمة وعلى رأسهم بالطبع إبراهيم بن محمد بن المُدَبِّر. وقد تعرض البحث لدراسة وظيفة الأب محمد بن عبيد الله بن المُدَبِّر أولاً ثم تناول ابنيه من بعده أحمد وإبراهيم من خلال حياتهما بالعراق ثم بالشام ثم بمصر. ثم كان هناك أحفاد لهذه الأسرة لكن تأثيرهم في تلك الفترة لم يكن بالقوة التي كان عليها ابنا المُدَبِّر أحمد وإبراهيم.

الكلمات الافتتاحية: بنو المُدَبِّر بالعراق، علاقة أحمد بن المُدَبِّر بابن طولون، بداية وجودهم بمصر ، خروج أحمد بن المُدَبِّر إلى الشام ، وظائف إبراهيم بن المُدَبِّر في عهد المتوكل ، علاقة إبراهيم بن المُدَبِّر بالخليفة المعتمد على الله.

Banu Al – Mudabbir in the Abbasid caliphate

(215هـ -292 هـ)(830م-904م)

Amal Abdel-Aty El-Sayed Abdel – Aal

Department of Islamic History, Faculty of Arts, Tanta University, Egypt

E-mail: Amalabdelaty11@gmail.com

Abstract

The abstract: This study is about Banu Al-Mudabbir in Iraq, Syria, and Egypt during the period mentioned in this research through the historical and literary sources, as well as, the writing of viziers and the writers which indeed showed an important role in this family during that period. The fame of the members of this family is for two main reasons: First: the important professions and the close position that they had to the caliphs, furthermore, their strong administrative influence and the great political influence on the events Second: their literary fame which was very clear in their great poems headed by Ibrahim bin Mohammad bin Al-Mudabbir. In the beginning, the research talked about the role of the father, Mohammad bin Obaidallah bin Al-Mudabbir, then his sons, Ahmed and Ibrahim, after him during their lives in Iraq, Syria, and Egypt. After that this family had descendants. However, they influenced at that time unlike the strong influence of the Al-Mudabbir's sons, Ahmed and Ibrahim.

Keywords: *- Banu Al-Mudabbir in Iraq the relationship between Ahmed bin Al, Mudabbir and Ibn Tulun.. the pioneers of Banu Al-Mudabbir in Egypt. Ahmad bin Al- Mudabbir in Iraq and Syria. Professions of Ibrahim bin Al- Mudabbir in the era of Al-Mutawakkil. The relationship between Ibrahim bin Al, Mudabbir and the caliph Al-Mutamid ala Allah.*

مقدمـــة :

احتل بنو المُدَبِّر مكانة تاريخية عظيمة من خلال ظهورهم على مسرح الأحداث حيث نال رجال هذه الأسرة [١] ثقة الخلفاء العباسيين الذين عاصروهم، وذلك لِمَ امتازوا به من صفات شخصية أهَّلتهم لتلك الثقة، فاعتمدوا عليهم اعتماداً كبيراً، فولوهم المناصب السياسية والإدارية المهمة بالدولة، بل كانوا من المقربين إليهم في مجالسهم الخاصة، '' وهم بذلك يشكلون حلقة في سلسلة الأسر الإسلامية التي انتهى بها أدبها ورشحتها ثقافاتها وسما بها علمها إلى المراكز السامية في الدولة بشطريها سياسيًا وأدبيًا [٢] .

أسباب دراسة هذا الموضوع:

١- أول ما لفت نظري لدراسة هذه الأسرة في الحقيقة كان شخص أحمد بن محمد بن عبيد الله ابن المُدَبِّر، وذلك عند وجوده بمصر على خراجها قبل مجيء أحمد ابن طولون إليها، وما ترتب على أعماله من قسوة وظلم للمصريين على الرغم من الأعمال الجليلة التي قام بها في مصر.

٢- أيضًا المعلومات التي وردت عن هذه الأسرة في المصادر التاريخية أو غيرها لم تأتِ تحت عنوان واضح ومحدد يحمل اسم هذه الأسرة إنما كان العثور على أخبارها يأتي من خلال الروايات المبعثرة هنا وهناك عند الحديث عن أي فرد منها، من خلال المصادر الأدبية والتراجم؛ أو من خلال أحداث تاريخية عامة.

---

(١) انظر ملحق رقم (١).

(٢) مصطفي الشكعة، الأدب في موكب الحضارة الإسلامية " كُتّاب النثر " الطبعة الثانية، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ٢٠٠٥، ص٢٤٧.

٣- هناك بعض الدراسات التاريخية الحديثة التي تناولت جوانب فرعية تتعلق بالموضوع منها الدراسة التي قام بها الدكتور يونس أحمد السامرائي عن إبراهيم ابن المدبر والخاصة برسالته التي تسمي'' الرسالة العذراء"،[١]والتي يتحدث من خلالها:

عن إبراهيم ابن المدبر وحياته الأدبية وعن هذه الرسالة التي تنسب إليه، وهناك دراسة أخرى للرسالة العذراء أيضا والتي قام بها الدكتور زكي مبارك [٢].

٤- هناك دراسة أخرى تناولت جانباً من وظائف بعض أفراد هذه الأسرة مثل أحمد وأخيه إبراهيم وهي رسالة دكتوراه قام بها دكتور أحمد علي الحفني عن الكُتَّاب ودورهم[٣]

وأيضاً هناك بحث يتناول مسألة الخراج في مصر وموقف أحمد ابن المدبر منه [٤]

هذا وقد واجهتني عدة صعاب خلال هذا البحث ويرجع ذلك إلى عدة أمور منها:

١- ندرة المادة التاريخية عن أفراد هذه الأسرة حتى في الكتب التاريخية المتخصصة مثل: كتاب تاريخ الطبري[٥] عند حديثه عن نكبة الكُتَّاب على يد الواثق بالله سنة ٢٢٩هـ فقد ذكر جميع الكُتَّاب الذين نكبهم الخليفة لكنه لم يذكر أي شيء عن أحمد ابن المُدَبِّر

(١) يونس أحمد السامرائي، إبراهيم ابن المدبر "حياته، أدبه، رسالته العذراء" كلية الآداب جامعة بغداد، العدد٢٥الصفحات(٢٠٥-٢٥٧).

(٢) زكي مبارك، الرسالة العذراء لإبراهيم ابن المدبر، مصححة ومشروحة مع مقدمة مفصلة بالفرنسية عن فن الإنشاء ومذاهب الكتابة في القرن الثالث، الطبعة الأولى، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة، ١٣٥٠هـ-١٩٣١م، ص ص ١-٥٢ .

(٣) أحمد علي الحنفي عبد الجليل: الكُتَّاب ودورهم السياسي والحضاري في عصري نفوذ الأتراك والبويهي "٢٣٢هـ – ٤٤٧ هـ" " ٨٤٧ هـ – ١٠٥٦ م" رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية دار العلوم، جامعة المنيا، تحت إشراف أ.د/ نصاري فهمي غزالي – حسام حسن إسماعيل، ١٤٤٣هـ – ٢٠٢١ م

(٤) إيمان مصطفي عبد العظيم: سياسات الخراج المصري بين "العسف والعدل "، في عهدي ابن المدبر وابن طولون " ٢٤٧ هـ – ٢٧٠هـ / ٨٦١م – ٨٨٣م، حوليات آداب عين شمس، كلية الآداب، العدد ٥٤٤، الصفحات (٣٥٦ – ٣١١)، ٢٠١٦ .

(٥) الطبري ت٣١٠هـ: أبو جعفر محمد ابن جرير تاريخ الرسل والملوك، ج٩، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م، ص١٢٥.

الذي كان معهم في الحبس، أيضاً كتاب الولاة والقضاة للكندي، فمن عجيب أمر الكندي مثلاً في كتابه ''الولاة والقضاة'' أنه يذكر كلا من: عامل الشرطة والخراج والوالي في كل سنة ومع ذلك لم يذكر عن أحمد ابن المُدَبِّر ـ عامل خراج مصر ـ أي شيء سوى مرة واحدة عند حديثه عن قصة عيسى بن شيخ وأخذه الأموال كما سيأتي عند الحديث عن علاقة ابن طولون بابن المُدَبِّر في مصر، وبالتالي لم يساعدني في تحديد السنوات التي كان فيها ابن المُدَبِّر عاملاً على خراجها.

لكن ربما جاءت الفائدة من هذا الكتاب المهم عند حديثي عن أحداث تاريخية لها صلة بابن المُدَبِّر مثل: قصة ابن وزير التجيبي وغيره كما سيأتي خلال البحث.

وقام اليعقوبي في كتابه تاريخ اليعقوبي بسد كثير من هذه الفجوة التاريخية خاصة عند حديثه عن تولي أحمد للخراج على مصر في السنوات الأولى له .

٢ـ كانت مشكلة المشاكل أيضًا أن المؤرخين كان لهم نمط واحد وكأنما اتفقوا جميعًا على تلك الحالة، وهى ذكرهم أشخاص بنى المُدَبِّر بصورة مختصرة دائماً، فيذكرونهم بلقب '' ابن المُدَبِّر '' فقط أثناء سردهم للأحداث التاريخية دون الإشارة إلى اسمه كاملاً، وحتى في الفترة المتأخرة من تاريخ هذه الأسرة.

ولعلى ألتمس لهم العذر في ذلك فربما كانت شهرة أفراد هذه الأسرة الذائعة الصيت هي السبب في ذلك حيث يرى المؤلِّف أنهم أشخاص معروفون للجميع وبالتالي إذا قال ابن المُدَبِّر في أي سنة فمعروف من يكون هو، أو ربما كان ذلك راجعًا إلى حقد الكثير عليهم بسبب شهرتهم ونجابتهم وبالتالي عدم ذكر المؤرخين لهم بأسمائهم، ومن ثمَّ جاء المؤرخون المتأخرون فنقلوا عنهم دون ذكر أسمائهم فصاروا على نهج الأقدمين .

٣ـ أيضًا لم تهتم الكتب التاريخية كثيرًا بذكر أو إبراز أسرة بنى المُدَبِّر كما كانت تفعل مع غيرهم سواء من الكُتَّاب أو الوزراء ولم تذكر كذلك تاريخ توليهم لهذه الوظائف، وطبعًا فإن الكتب الأدبية لم تهتم بالتالي بذكر تواريخ توليهم لهذه المناصب وإنما ركزت على

القصائد الشعرية التي ألقوها في أي مناسبة من المناسبات وبالتالي كان عليَّ أن أدقق في الأحداث وأحاول ربطها ببعضها البعض لأصل لأقرب الحقائق .

أما عن تحديد الفترة التاريخية للبحث على هذه الصورة والتي تبدأ بسنة ٢١٥هـ/٨٣٠م فهذا كان راجعاً إلى بداية الظهور الحقيقي لأفراد هذه الأسرة خلال الأحداث التاريخية المهمة التي اشتركوا بها كما سيتضح –إن شاء الله تعالى– من البحث عنهم، وامتدت فترة البحث حتي نهاية الدولة الطولونية سنة ٢٩٢ هـ – ٩٠٤م وكان لبعض أفرادها امتداد خلال العصر الفاطمي بمصر لكن ليس معني ذلك انتهاء وجود هذه الأسرة بصورة قاطعة ونهائية . فقد كان لهم عَقِب هنا أوهناك مثال ذلك: بنو القاسم في المغرب(١).

ألقاب هذه الأسرة: "لقب ابن المُدَبِّر ـ لقب الضَّبِّيّ"

غلب على أفراد هذه الأسرة موضوع البحث لقبان هما:

أ– لقب ابن المُدَبِّر، أو ابن مُدَبَر وكَثُر استخدام هذا اللقب في كتب التاريخ.

ب– لقب الضَّبِّي وغلب استخدامه واتصافهم به في كتب الأدب.

أ– لقب المُدَبِّر في اللغة:

المُدَبِّر: "بفتح الموحدة"، أي بفتح الدال المهملة، والباء المشددة(٢).

والتدبر في اللغة هو أن يعتق الرجل عبده عن دبره، أي يُعتَق بعد موته، فيقول: أنت حر بعد موتي، وهو مُدَبِّر"(٣). وأيضًا " فكل مقهور مُدَبِّر لا يملك لنفسه

(١) هناك نسل لبني المُدَبِّر وامتداد لهم في المغرب انظر نهاية هذا البحث ٨١.

(٢) الذهبي ت سنة ٧٤٨هـ: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز، المشتبه في الرجال أسمائهم وأنسابهم، تحقيق على محمد البجاوي، ج١، ط١، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٦٢م، ص٤٧٢.

(٣) ابن منظور ت سنة٧١١هـ: "جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الأفريقي، لسان العرب، ج٤، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ، ص٢٧٣.

ما يخلصه من القهر"[١].

وفي باب كتاب المُدَبِّر [٢]: نجد الحديث رقم ١/٤٩٩٠ "يجوز بيعه متي شاء مالكه".

قال محمد بن يحيى بن أبى عمرو حدثنا بشر عن أبى طاووس عن أبيه قال: رأيت ابن المُدَبِّر الذي باعه الرسول صلي الله عليه وسلم".

وفي حديث آخر يوضح أنَّ:" النبي صلي الله عليه وسلم باع مُدَبِّراً احتاج صاحبه لثمنه". فـ "عن جابر أن النبي صلي الله عليه وسلم باع المُدَبِّر وابن المُدَبِّر ".

تعريف المُدَبِّر الاصطلاحي:

قبل أن استطرد في ذكر أصل هذه الأسرة ونسبها، أتحدث عن لقبها" المُدَبِّر"[٣] اصطلاحًا. والذي ربما أطلق على أصحاب هذه الأسرة لأنه كان راجعاً إلى الوظائف التي

---

(١) السيد المرتضي الزبيدي ت ١٢٠٥هـ: محمد محمد عبد الرازق الحسيني أبو الفيض، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، الناشر دار هداية، القاهرة، ١٩٨٤م، ج١١، ص٢٦٥.

(٢) ابن عثمان البوصيري ت ٨٤٠هـ: "أبو العباس شهاب الدين أحمد بن أبى بكر بن إسماعيل ابن سليم بن قايماز البوصيري الشافعي، إتحاف الخيرة المسهرة بزوائد المسانيد العشرة، تقديم فضيلة الشيخ أحمد معبد عبد الكريم، المحقق: دار المشكاة للبحث العلمي بإشراف أبو تميم ياسر بن إبراهيم، دار الوطن للنشر، الرياض، ج٥، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م، ص٤٥٥.

(٣) وردت كلمة المُدَبِّر في أمثلة كثيرة في كتب التاريخ اذكر بعضها لأوضح معناها فمن ذلك ما ذكره ابن تغري بردي ضمن أحداث سنة١٦٦هـ "وفيها توفي خالد بن برمك والد البرامكة..... وولي الأعمال الجليلة، وكان عاملاً مُدَبِّراً سيوساً'' ابن تغري بردي ت ٨٧٤هـ: جمال الدين أبو المحاسن يوسف الأتابكي، النجوم الزاهرة، الهيئة المصرية العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٨، ج٢، ص ١٣٣. وفي عصر الدولة الفاطمية يذكر صاحب مورد اللطافة "كان الآمر بأحكام الله الخليفة الفاطمي العُبَيْدي، السابع من خلفاء مصر من الفاطميين، وكان مُدَبِّر سلطانه شاهنشاه بن أمير الجيوش بدر الجمالي". انظر بن تغري بردي، مورد اللطافة فيمن ولي السلطنة والخلافة، تحقيق نبيل محمد عبد العزيز، الناشر دار الكتاب المصري، القاهرة، د.ت، ج١، ص٢٨٥، أيضا، ج٢، ص٩.

←←←

تولوها وكانوا مُدَبِّرين لها مثل: وظيفة كاتب أو وزير أو عامل خراج إلى غير ذلك، فهم الذين ساسوا ودبروا ما تولوه من وظائف، وربما كان هذا اللقب يرجع إلى جدهم الأعلى في تدبير أمور الخليفة، لأنها وظيفة سياسة مهمة مَنْ يتولاها هي الإشراف على صغار السن عند توليهم الخلافة أو السلطنة، ولم يطلق هذا اللقب على أحد سوى أفراد هذه الأسرة، والتي ورثت هذه المنزلة الرفيعة بفضل عمل الجد ثم الأب بعد ذلك في الأعمال القريبة من الخليفة ببغداد فهو بمثابة الخبير بالمطبخ السياسي وتسيير أمور الإدارة فَأَهَّلَهم ذلك إلى جانب شخصياتهم الأدبية والإدارية لتولي هذه المناصب والنبوغ وإثبات ذاتهم فيها وكسب ثقة الخلفاء أيضا.

وغالباً ما تُكْتَب هذه الأسرة في كتب التاريخ بابن المُدَبِّر ولكنها وردت أيضا بدون الألف واللام أحيانًا مثل قول البلوي مثلا: "دخل أحمد ابن طولون مصر، وكان على خراجها أحمد بن مُدَبِّر"(١) .

ـ لقب الضَّبِّي:

أطلق بعض المؤرخين والشعراء على بني المُدَبِّر لقب الضَّبِّي، وجاء هذا اللقب يحمل أكثر من معنى فهو إما يرجع إلى نسب الدم أو المكان وإما يرجع إلى براعتهم في اللغة

←←←

واستمر استخدام هذا اللقب في كل الفترات تقريباً ففي عهد الأيوبيين "تولى ناصر الدين محمد ابن السلطان الملك العزيز عثمان، سنة خمسة وتسعين وخمسمائة وصار مُدَبِّر ملكه الأمير بهاء الدين قراقوش، ابن تغري بردي، مورد اللطافة، ج٢، ص٩، وهناك أمثلة لاستخدامه في العصر المملوكي أيضًا انظر ابن تغرى بردى، نفسه، ص٩٥.

(١) فربما أخذوا هذا اللقب من كونهم كانوا كتاباً ماهرين فقد قسم البطليوس الكُتَّاب إلى أصناف وكل صنف بطبيعة الحال له منهاج في التعامل مع الألفاظ، ويقول إن أصناف الكتاب خمسة، " كاتب خط، وكاتب لفظ، وكاتب عقد، وكاتب حكم، وكاتب مُدَبِّر" انظر ص١٤٢، من كتاب أحمد بن يوسف الكاتب الوزير، دراسة أسلوبية في أثاره النثرية، د/ على إبراهيم أبو زيد، دار المعارف، طبعة أولي، نقلا عن السيد البطليوس، الاقتضاب في شرح أدب الكُتَّاب، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٧، ص٦٦.

العربية أو كنوع من الهجاء لهم. فقد أطلق عليهم بعض المؤرخين والشعراء هذا اللقب بصورة مباشرة أي تأكيد نسبهم بالفعل إلى بني ضَبَّة [١]، وإذا كان الأمر حقيقيا فهم ينتسبون إذاً إلى العنصر العربي الأصيل حيث ينتمون إلى قريش البِطاح فقد ذكر البلاذري[٢]: " أن قريش البطاح التي تلزم الحرم تعرف بالضَب " وهذه تعتبر ميزة كبيرة لهم من حيث شرف النسب وعلى هذا وُجِدَت بعض الروايات التاريخية التي تعتبرهم بالفعل تابعين للنسب الضَّبِّي وليس الغرض منها نسب الدم فالذهبي يقول عن إبراهيم ابن المُدَبِّر إنه: "الوزير الكبير إبراهيم بن محمد بن عبيد الله ابن المُدَبِّر الضَّبِّي" [٣].وأحياناً يُسمى الضَّبِّي البصري أبو إسحاق أخو محمد وأحمد أبناء محمد ابن المُدَبِّر[٤]، ولعل نسبة الضَّبِّي البصري هذه فيها شيء من الصحة حيث توجد مساكن بعض بنى ضبة بالبصرة[٥] أو أنهم من أهل دستميسان [١]،، وهي قريبه من البصرة.

---

(١) بنو ضبة: نسبة إلى ضبة بن أُد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، وكان من نسلهم الديالمة وذلك أن باسل بنى ضبة خرج مغاضبا لأبيه فوقع في أرض الديلم فتزوج امرأة من العجم فولدت له ديلم بن باسل، فهو أبو الديالمة كلهم، ومنهم ملوك بني بويه، وكانوا مجوساً لم ينقادوا إلى مِلَّة فأسلم بعضهم، انظر أحمد بن يوسف القرماني (ت ١٠١٩هـ/١٦١٠م)، أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، دراسة وتحقيق، أحمد حطيط، د/ فهمي سعد، المجلد الثاني، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٩٩٢م، ص٤٤٣.

(٢) البلاذري ت ٢٧٩هـ: أحمد بن يحيى بن داوود، أنساب الأشراف، تحقيق محمد حميد الله، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٩م، ط١، ج١، ص٣٩.

(٣) الذهبي ت٤٧٨هـ: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء، الجزء الثالث عشر، أشرف على تحقيق الكتاب وخرَّج أحاديثه شعيب الأرنؤوط، حقق هذا الجزء على أبو زيد، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م، ص١٢٤.

(٤) تقى الدين المقريزي ت٨٤٥هـ: أحمد بن علي أبو العباس، المقفي الكبير، تحقيق محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩١م، ج١، ص٣٠٩.

(٥) ياقوت الحموي ت ٦٢٦ هـ: شهاب الدين أبو عبد الله، المُشْتَرِك وَضْعاً والمُفْتَرِق صقْعاً، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦م، ص١٠٤، يوجد مكان يسمى الجفار وهو ثلاثة مواضع ←←←

أو من الممكن أن يكون هذا اللقب التصق بهم لشدة فصاحتهم وبلاغتهم التي عكستها أشعارهم فكانوا مثل حَرْشَة الضِّبَاب[٢]، يذكر أبو بكر بن دريد أنه سأل أبا الفضل الرّياشي وكان عالماً باللغة والنحو والشعر عن مصدر أخذهم اللغة فقال: إنما أخذنا اللغة من حرشة الضباب"[٣]، وإما أن تكون هذه النسبة "الضَّبِّي" على سبيل التعريض[٤] بهم والهجاء والذم فيهم، ولذلك نجد بعض المصادر تتهمهم بأنهم يدعون النسب الضَّبِّي[٥].

ولذلك فقد وجد بعض الشعراء الذين قاموا بالهجاء عليهم ومن هؤلاء الشاعر مخلد بن على الشامي الحوراني الذي هجا إبراهيم ابن المُدَبِّر فقال[٦]:

→→→

الأول بين مصر وفلسطين، والثاني منها الجفار من حياة الضباب بنجد، والثالث الجفار من بلاد بنى تميم بين الكوفة والبصرة وتدعيه بنو ضبة أيضًا، نفس المصدر، نفس الصفحة.

(١) دستميسان: هي كورة بين واسط والبصرة والأهواز وهي إلى الأهواز أقرب، انظر ياقوت الحموي ت ٦٢٦هـ: شهاب الدين أبو عبد الله، معجم البلدان، دار صادر بيروت، تحقيقه د/ فريد عبد العزيز الجندي، الطبعة الأولى، ١٩٧٧ م، جـ٢، ط١، ص ٤٥٥.

(٢) حرشة الضِبَاب: أي صائد الضباب، والضب حيوان ذنبه كثير العُقَد، لويس معروف ت١٣٦٥هـ: المنجد في اللغة "أقدم معجم شامل للمشترك اللفظي"، تحقيق د. أحمد مختار عمر – د. ضاحي عبد الباقي، الناشر عالم الكتب، القاهرة، ج١، ط٢، ١٩٨٨م، ص١٢٦.

(٣) هالة شاكر عبد الرحمن، الورق والوراقون في العصر العباسي ١٣٢هـ–٦٥٦هـ، دار عيسى للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ط١، ٢٤٠٠م هامش ص ١٥٠.

(٤) التعريض: هو عدول عن التصريح إلى الكناية والإشارة وهذا يقع في سائر فنون الكلام وأنواع المقاصد عما يتعلق بهذا الفعل ما عدل به عن صريح الذم إما اتقاءً وإما مراقبة، انظر ابن حمدون ت٥٦٢هـ: محمد بن الحسن، مختصر كتاب التذكرة الحمدونية، اختصار وتقديم أحمد مهدلي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ج١، ٢٠١٥م، ص٣١٠.

(٥) ياقوت الحموي ت٦٢٦هـ: شهاب الدين أبو عبد الله، معجم الأدباء "إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب"، تحقيق د/إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٣، ج١، ص١٠٢، أيضاً المقريزي، المقفي الكبير، ج١، ص٣٠٩.

(٦) ياقوت الحموي، نفسه، ج١، ص١٠٤.

علـــى أبوابـــه مـــن كـــل وجـــه ∴ قَصَـــدْتُ لـــه أخـــو مُـــرِّ بـــن أُدّ

وهو يعني ضبه بن أد، يعني أبوابه مضببة باللؤم أو محكمة عن الخير؛ وذلك لأنه ينسب إلى ضبة، وفي بني المُدَبِّر أيضا يقول الشاعر محمد بن على الشطرنجي[1]، الذى كان في ناحية ابن المُدَبِّر فعتب عليه، فقال يهجوه لانتمائه إلى ضبة:

قَـــدْ أَحَـــدَثَ القَـــوْمُ دينـــاً ∴ وجَـــدَّدَ القَـــوْمُ نِسَـــبَةَ

وكـــانَ أَمْـــراً ضـــعيفاً ∴ فَضَـــبَّبوهُ بضَـــبّةٍ

وهم بذلك ينتسبون إلى العنصر العربي الأصيل على عكس ما اعتبرهم البعض أنهم أسرة غير عربية ممن اشتغل أفرادها بالكتابة خلال العصر العباسي الثاني "[2]

(١) المرزباني ت٣٨٤هـ: أبو عبيد الله محمد بن عمران بن موسى، معجم الشعراء، تحقيق د. فاروق أسليم، دار صادر بيروت، ط١، ٢٠٠٥م، ص٤٧٤، أيضا المقريزي، المقفي الكبير، ج١، ص٣١٢.

(٢) أحمد علي الحنفي، الكتاب ودورهم السياسي والحضاري في عصري نفوذ الأتراك والبويهي، ص ٢١٢.

أولا: بَنُو المُدَبِّر بِالعِرَاق

(٢١٥هـ - ٢٧٩هـ) (٨٣٠م - ٨٩٢م)

بنو المُدَبِّر بالعراق:

ظهر نشاط بني المُدَبِّر في العراق في بداية أمرهم بحكم المولد والنشأة لهذه الأسرة، وخاصة على يد أحمد وإبراهيم ابني المُدَبِّر. أما عن الأب محمد بن عبيد الله ابن المُدَبِّر فإنه لم ترد عنه أية معلومات عن حياته في بغداد على الرغم من وجوده بها فيما عدا معلومة واحدة تُبيِّن فقط طبيعة الوظيفة التي كان يعمل بها في عهد الخليفة العباسي المأمون ت ٢١٨هـ / ٨٣٣م.

الأب: محمد بن عبيد الله ابن المُدَبِّر:

محمد بن عبيد الله ابن المُدَبِّر هو أبو الأخوة الثلاثة محمد وأحمد وإبراهيم، ولا يوجد له تاريخ ميلاد أو وفاة، ولم يشتهر كما اشتهر ابناه أحمد وإبراهيم اللذان نالا شهرة واسعة أكثر من أي فرد بهذه الأسرة. ولم يرد اسم الأب إلا في حالة واحدة فقط ذكرها الجهشياري[١] عند حديثه عن خروج ابنه أحمد إلى الشام مع الخليفة المأمون، وقد علمنا من هذه الرواية أيضا نوع الوظيفة التي كان يتولاها ـ يتقلَّدها ـ الأب ببغداد وهي وظيفة الأسْكُدَار [٢].

(١) الجهشياري ت ٣٣١ هـ: أبو عبد الله محمد بن عبدوس، الوزراء والكتاب، تحقيق مصطفي السقا وآخرون، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، تقديم د. عطية القوصي، ٢٠٠٤م، ص١٩٩.

(٢) الأسْكُدَار: لفظة فارسية، وتفسيره أزكوداري ومعناها :(من أين يمسك السجل). انظر الخوارزمي ت ٢٣٢هـ: "أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف الكاتب، مفاتيح العلوم، تحقيق فافلوتن، قدم هذه الطبعة د/ محمد حسن عبد العزيز، الذخائر، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ص٦٤.

←←←

ولا نعرف هل اشتغل بوظيفة أخرى غيرها أم لا، ولم ترد أية إشارة عن الخلفاء الذين عمل لهم سوى الخليفة المأمون فقط، ولذلك فنُدرة المعلومات عنه كانت سبباً في عدم معرفة الكثير عن شخصيته وحياته. وكان لابد من التعرُّض لهذه الوظيفة، ومعرفة المهمة التي يقوم فيها صاحبها ولو بطريقة مختصرة، فقد عمل بها الأب محمد ابن المُدَبِّر كما عمل بها ابنه أحمد أيضا وذلك أثناء حياة أبيه كما سيرد فيما بعد.

فالأسْكُدَار هي السجلات[1] التي كانت تُعتمَد في دواوين الجيش والخَراج والبريد، ونلاحظ من خلال النصوص التاريخية أنه قد أصبح للأسكدار مجلس خاص في دواوين

→→→

وقد ورد لفظ أسْكُدَار في بعض المصادر التاريخية، ولكن بدون الألف واللام، لكن بنفس التشكيل للكلمة، وجاءت هذه اللفظة أيضاً لتدل على اسم مكان بتركيا يسمي أسكدار، وهذا المكان مشهور لأنه دفن به كثير من العلماء الكتبة الذين انتهت إليهم جودة الخط مثل مولانا "شيخ المشايخ بن الشيخ مصطفي الأماسي ـ نسبة إلى مدينة أماسيا بتركيا. والذي كان يعرف بابن الشيخ، وكانت له طريقة في الكتابة وله تلامذته المشهورون أيضا وكان له ابنه مصطفي در الذي برع مثل أبيه بحسن الخط، ودفن أيضا بأسكدار عند والده، والنسبة إلى هذه المدينة هي إسكداري .انظر، السيد المرتضي الزبيدي: مخطوط حكمة الإشراق إلى كُتَّاب الآفاق، ص٨٩، ضمن نوادر المخطوطات، المجموعة الخامسة، تحقيق عبد السلام هارون، الطبعة الثانية ١٣٩٣هـ-١٩٧٣م، مكتبة الحلبي، القاهرة، ص٨٨، ٩١.

(١) السجلات: الشيء الحديث الذي أوجده بنو العباس وهو أنهم جمعوا الدواوين في دفاتر وسجلات بدلاً من أن تكون صحفاً مبعثرة متفرقة. انظر حسين الحاج حسن، النُّظُم الإسلامية، الناشر مؤسسة الجامعة للدوريات والنشر والتوزيع، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ-١٩٨٧م، ص٢١٥.

وكانت الدولة تقسم الدفاتر في دواوين الخراج إلى باب الاستخراج أو الدخل وباب النفقات وكذلك يقسم باب النفقات إلى النفقات الراتبة والحادثة. انظر آدم متز، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، نقله إلى العربية محمد عبد الهادي أبو ريدة، أعدَّ فهارسه رفعت البدراوي، المجلد الأول، تقديم مصطفي لبيب عبد الغني، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٣م، ص١٨٥.

الدولة[١]، ويُعَرِّف الخوارزمي الأسْكُدَار فيقول: "هو مُدّرج[٢] يكتب فيه عدد الخرائط[٣]، والكتب الواردة، والنافذة وأسامي أربابها"[٤].

---

(١) خَوْلَة عيسى صالح الفاضلي، مجلة آفاق الحضارة الإسلامية، مقال بعنوان: "آلية المصطلحات الإدارية الواردة في كتاب مفاتيح العلوم للخوارزمي، (ص١–١٣٨)، جامعة بغداد، كلية البنات، موقع الحوزة الإعلامي، ص١٤.

(٢) مُدّرج: يقصد به درج البردي الذي كان يتألف من عشرين ورقة ملصقة بعضها ببعض وتسمي الورقة الأولى من هذه الأوراق باليونانية بروتوكول "protocol" وكانت تشتمل على الكتابة الرسمية التي تسمي الطراز انظر: أدولف جروهمان، أوراق البردي العربية بدار الكتب المصرية، القاهرة، ترجمه إلى العربية د. حسن إبراهيم حسن، راجع الترجمة عبد الحميد حسن، ٢٠١٢م، ج١، ص٤.

"وكانت كتابة الدواوين في صدر الإسلام أن يجعل ما يُكتَب فيه صحف مدرجة، فلما انقضت دولة بني أمية وقام عبد الله السفاح استوزر خالد بن برمك بعد أبى سلمة حفص بن سليمان الخلال، فجعل الدفاتر في الدواوين من الجلود، وكتب فيها وترك الدرج إلى أن تصرَّف جعفر بن يحيى بن برمك في الأمور أيام الرشيد فاتخذ الكاغد وتداوله الناس من بعده إلى اليوم". انظر المقريزي ت ٨٤٥هـ: تقي الدين أحمد بن علي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، تحقيق د/ محمد زينهم– مديحة الشرقاوي، مكتبة مدبولي القاهرة، ١٩٩٨، ج١، ص٢٦٣.

(٣) الخرائط: عبارة عن وعاء من آدُم أو ديباج أو خزف أو ليف هندي أو خيش أو نحوها، يسرج على ما فيه، ويوضع في داخل هذه الخرائط كتب الولاة والعمال، أو الدراهم التي ترد إلى العاصمة أو غيرها. الصابيء ت ٤٤٨هـ: " أبو الحسين هلال ابن المحسن، رسوم دار الخلافة، عني بتحقيقه والتعليق عليه ميخائيل عواد، دار الرائد العربي، بيروت، ص١٧.وقد كانت كلمة خريطة تحمل نفس المعني السابق في عهد الدولة الفاطمية بمصر من أمثلة ذلك إذا ركب الخليفة إلى الميادين في المناسبات المختلفة. " يؤمر مُتولي خزائن الخاص أن يكون معه في السَّرْج خَريطة ديباج، تسمي خريطة المؤكب، فيها ألف دينار مُعدَّة لمن يُؤمَر بالإنعام عليه في حال ركوبه. انظر ابن البطائحي ت ٥٨٨هـ: الأمير جمال الملك موسى بن المأمون، السيرة المأمونية أو أخبار مصر(٥٠١هـ–٥١٩هـ)، قدم لها أيمن فؤاد سيد، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة، ١٤٣٦هـ–٢٠١٤م، ص٦٣، ١٤١.

(٤) الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص٦٤.

وفي موضع آخر يقول أيضا " هو مدرج يكتب فيه جوامع الكتب المُنْفَذَة للخَتْم[١] "وهذا معناه أنه سجل يتم فيه تدوين ورصد كل شيء. وصاحب مجلس الأسْكُدَار في ديوان الخراج مهمته هو إنفاذ سراحات (بيانات) بما يرد عليه من الكتب إلى صاحب الديوان على حسب قيمة الدواوين والأعمال، ومعه كاتب يعمل جوامع الكتب التي يحتاج إلى عرضها، وناسخ ينسخ ما يعمل من ذلك في هذا الديوان[٢].

وبتفصيل آخر فإن ديوان الخراج كانت تمر كافة الكتب والحمول الواردة إليه فيقوم العاملون بتسجيلها في سجل خاص يبينون فيه نوعيتها والجهة التي وردت منها ثم يقوم بتحويلها إلى المجلس المختص بها بعد عرضها على صاحب الديوان، وكذلك الأمر مع الكتب والحمول الصادرة عن ديوان الخَراج[٣].

وفي ديوان الجيش يقوم مجلس الأسْكُدَار بتنظيم الأوامر والكتب الصادرة والواردة وتصنيفها بعد عرضها على صاحب الديوان، ويعمل خُلاصة بما يرده من كتب ليسهل الاطلاع عليها عند الضرورة من قِبَل الخليفة أو الوزير"[٤]، وفي ديوان البريد أيضا ورد الأسْكُدَار بأنه هو السجل الذي يُدَوَّن فيه عدد حقائب البريد والخطابات، ويُثْبِت فيه كذلك ساعات الوصول إلى سكك البريد والخروج منها"[٥].

ومما سبق يتبين أن وظيفة صاحب الأسْكُدَار سواء كان يعمل في ديوان الخَراج أو الجيش أو البريد هي إثبات المعلومات الكافية والواضحة عن كل ما يَرِد إلى الديوان أو

(١) الخوارزمي، نفسه، ص٧٨.

(٢) قدامة ابن جعفر ت ٣٣٧ هـ: الخراج وصناعة الكتابة، شرح وتحقيق د. محمد حسين الزبيدي، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨١م، ص٥٨.

(٣) خولة عيسى، مجلة آفاق الحضارة الإسلامية، ص١١.

(٤) قدامه، نفسه، ص٢١.

(٥) آدم متز، الحضارة الإسلامية، المجلد الثاني، ص٤١٠.

يخرج منه، وهذا يوفر معلومات دقيقة عن كل الرسائل والمكاتبات وما ينفذ منها إلى الخليفة لتكون مُعَدَّة للخَتم عليها، وبالرجوع إلى وظيفة الأسْكُدَار التي عمل بها الأب محمد بن عبيد الله ابن المُدَبِّر، فمن المرجح أنه كان يعمل في مجلس الأسْكُدَار التابع لديوان الخراج وذلك كما سيرد فيما بعد عند الحديث عن عمل ابنه أحمد بنفس هذه الوظيفة في عصر المأمون.

أحمد ابن المُدَبِّر بالعراق:

ولد أحمد ابن المُدَبِّر بالعراق فكانت بها نشأته الأولى حتى أصبح غلامًا معروفًا حينئذٍ.

لقبه :

أما لقبه فهو ابن المُدَبِّر ولم يغلب عليه اللقب الضَّبِّي مثل أخيه إبراهيم.

أما كُنْيَتَهُ :

فهو يُكَنَّي في معظم الروايات التاريخية بأبي الحسن ويبدو أن ابنه الحسن كان أكبر أبنائه ولذلك كانت تغلب عليه هذه الكنية، وأحياناً قليلة كان يكني بأبي عبد الله فقد كناه ابن دقماق في كتابه الانتصار لواسطة عقد الأمصار: بأبي عبد الله عند حديثه عن الدار الجديدة التي بناها أحمد ابن المُدَبِّر بمصر"[(١)].

أما ميلاده:

لم ترد أية معلومة تخص تاريخ ميلاد أحمد ابن المُدَبِّر، ولكن استناداً إلى القول بأن "أحمد ابن المُدَبِّر كان أسن من أخيه إبراهيم" [(٢)] أي أكبر من إبراهيم، وأقدم موتًا منه، وإذا

(١) ابن دقماق ت٨٠٩هـ: إبراهيم ابن الدمر العلائي، الانتصار لواسطة عقد الأمصار، د.ت، ج٤، ص٢٣.

(٢) ابن الآبار ت٦٥٨هـ: أبو عبد الله محمد بن عبد الله ابن أبي بكر القضاعي، إعتاب الكُتَّاب، حققه وعلق عليه د.صالح الأشتر، الطبعة الأولى، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٦١م، ص١٥٨.

كانت بعض الروايات قد حددت ميلاد إبراهيم سنة٢١١هـ / ٨٢٦م "، [١] فيكون ميلاد أحمد ابن المُدَبِّر قبل هذا التاريخ بالطبع، ولكن ثبت خطأ تاريخ ميلاد إبراهيم بهذه الرواية، ويمكن الوصول إلى تحديد ميلاد أحمد ابن المُدَبِّر ولو بصورة تقريبية وذلك بقراءة وتحليل بعض الأحداث التي وقعت مع أحمد ابن المُدَبِّر نفسه أو بالمقارنة بينه وبين بعض أصحابه المعاصرين له.

أما عن أشهر الأحداث التي حدثت له مع بداية حياته فهو ما رواه الجهشياري على لسان عبد الواحد بن محمد الخصيبى قال [٢] : حدثني عبد الله بن محمد بن أحمد ابن المُدَبِّر ـ أي حفيد أحمد ابن المُدَبِّر ـ قال: سمعت جدي أحمد ابن المُدَبِّر يقول: كنت أتقلد الأسْكُدَار في ديوان الخراج.. فلما خرج المأمون إلى بلاد الروم، سألني جعفر ابن الخياط[٣] الخروج معه؛ لأكتب بين يديه، ففعلت على كُره من أبى بذلك، وجهد ألَّا أخرج فلم أُطِعْهُ".

وكان سبب رفض والده – حسب ما فهمت من هذه القصة – هو صغر سن أحمد وقتها وبناء على هذا القول يكون أحمد ابن المُدَبِّر قد تأكد خروجه إلى الشام ٢١٥هـ

(١) ابن ناصر الدين الدمشقي ت١٢٨٣هـ: شمس الدين محمد بن عبد الله بن محمد القيسي، توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم، تحقيق محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة رسالة، بيروت، ط١، ١٩٩٣م، ج٨، ص٥٩.

(٢) المقريزى، المقفي الكبير، ج ١، ص ١٠٩، أيضا الجهشيارى، الوزراء، ص ١٩٩.

(٣) جعفر بن الخياط: هو جعفر بن دينار بن عبد الله الخياط، كان من قواد العباسيين وولاتهم وممن اصطفاه المأمون فقاد الجيش وفتح الفتوح وولى الولايات وله منزلة ومروءة ظاهرة وهو من البرصان، انظر الجاحظ ت٢٥٥هـ: أبو عثمان عمر بن بحر، البرصان والعرجان والحولان، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩٠م، ص١٦٨.

/٨٣٠م مع المأمون حيث سار المأمون من الموصل [١] إلى غزو دابق[٢]، وأنطاكية [٣] . فغزاهما وتوجه إلى الشام ودخلها وأقام بها [٤]، ثم قدم المأمون إلى مصر ٢١٦هـ/٨٣١م للقضاء على ثورة أهلها، ثم رحل الخليفة المأمون من مصر لثمانِ عشرة خلت من صفر بعد أن أقام بمصر وأعمالها تسعة وأربعين يوماً ثم كَرَّ المأمون راجعاً إلى العراق. [٥]

ثم عاد المأمون إلى الشام لكونه بلغه أن ملك الروم قتل خلقاً من المسلمين من أهل طرسوس والمصيصة فسار إليها حتى وصلها في جمادي الأولى ٢١٦هـ /٨٣١م فأقام بها إلى نصف شعبان، ووزع الجند لحرب الروم وانتهي الأمر حتى دخل دمشق في أول سنة ثماني عشرة ومائتين" [٦]، وقيل إنما خرج من مصر في أول سنة ٢١٧ هـ/٨٣٢م متجهاً

---

(١) الموصل: مدينة الموصل في الإقليم الرابع، وهى في الإقليم الغربي من دجلة، بناها محمد بن مروان بن الحكم، إذ ولى الجزيرة في خلافة أخيه عبد الملك بن مروان ونقل الناس إليها، أكثر أهلها من همذان، والطريق من الموصل إلى أذربيجان شهرًا .انظر إسحاق بن الحسين المنجم توفي في القرن الرابع الهجري، آكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة، الناشر عالم الكتب، بيروت، ط١، ج١، ١٩٨٧م، ص ٦٣.

(٢) دابق: بكسر الباء وقد روى بفتحها وآخرها قاف وهى قرية قرب حلب من أعمال عزاز بينها وبين حلب أربعة فراسخ بها قبر سليمان بن عبد الملك، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٤١٦.

(٣) أنطاكية: بالفتح ثم السكون والباء، ولم تزل أنطاكية قصبة العواصم من الثغور الشامية، وهى من أعيان البلاد وأمهاتها، وقد فتحها أبو عبيدة بن الجراح سار إليها من حلب . انظر ياقوت، نفسه، ج١، ص٢٦٦

(٤) ابن تغري بردي، النجوم، ج٢، ص ٢١٣–٢١٦، أيضا ابن أيبك الدويداري ت بعد ٧٣٦هـ، أبو بكر عبد الله، كتاب كنز الدرر وجامع الغرر، ج٥، "الدرة السنية في أخبار الدولة العباسية"، تحقيق دور تياكرا فولسكي، بيروت، ١٩٩٢م، ص٢٠٣.

(٥) ابن تغري بردي، نفسه، ج٢، ص ٢١٧.

(٦) اليعقوبي ت ٢٨٤هـ: أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن واضح، تاريخ اليعقوبي، تحقيق عبد الأمير مهنا، ط١، الجزء الثاني، دار صادر بيروت، ٢٠١٠ م، ص ٤٢٦ هـ، أيضاً ابن تغري بردي، نفسه، ج٢، ص٢٢٣ .

إلى الشام لحرب الروم وأعد الجيوش لذلك"، وكما هو معروف فقد توفي الخليفة المأمون بالشام ٢١٨هـ/٨٣٣م، وعلى هذا يكون وجود ابن المُدَبِّر في الشام مع الخليفة المأمون في الفترة من ٢١٥هـ/٨٣٠م وحتى ٢١٨هـ/٨٣٣م وهي سنة وفاة الخليفة.

ونخلص من القصة السابقة أنه كان صغير السن عند خروجه مع الجيش ومع المأمون إلى الشام ٢١٥هـ/٨٣٠م بدليل خوف والده عليه ورفضه لذلك بسبب صغر سنه، ثم يستكمل عبد الله بن محمد بن أحمد ابن المُدَبِّر بقية القصة فيقول على لسان أحمد ابن المُدَبِّر: [١] '' كنت يوماً بين يدي جعفر أعمل، حتى دخلت عَرِيب الكبيرة إليه، وكنت قد اكتملت فنظرت إليَّ فأطالت النظر وكنت غلاما [٢]، فقالت لجعفر: من أين لك هذا الطير المُرَارِيّ فاستحييت وخجلت ونهضت".

فيُفهم من ذلك أنه كان غلاماً أي كان تقريباً في العاشرة من عمره، وقوله كنت قد اكتملت فربما يقصد أنه كان قد أتم البلوغ فيكون عمره بالتقريب حوالي ١٤ عام، وعندما خرج إلى الشام كان سنة ٢١٥ هـ / ٨٣٠م فيكون ميلاده حوالي سنة ٢٠٠هـ/٨١٥م.

وفي رواية أخرى يقول ابن المعتز: حدثني ابن المُدَبِّر قال[٣]: "خرجت مع المأمون إلى أرض الروم، أطلب ما يطلبه الأحداث [٤]من الرزق.. الخ القصة". وعند ربط الكلام

---

(١) الجهشياري، الوزراء، ص٢٠٠.

(٢) غلام: ''يقال للطفل منذ أن يعظم إلى أن يبلغ عشر سنين غلام''، انظر بن حمدون، التذكرة الحمدونية، ص٣٥، وقيل أيضا إن الغلام يطلق على الطفل منذ لحظة ولادته إلى أن يشب، ووردت في القرآن الكريم كلمة غلام عندما بُشِّر زكريا بيحيي في سورة آل عمران: **" قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ، وَقَدْ بَلَغَنِيَ الكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ** "، سورة آل عمران، آية ٤٠، وقيل إنَّ الغلام من عامين إلى سبعة عشر عاماً، انظر المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، ط٤، ٢٠٠٤م، ص٦٦٠.

(٣) أبو الفرج الأصفهاني ت٣٥٦هـ: الأغاني، شرحه وكتب حواشيه أ. عبد أعلى مهنا، دار الفكر، طبعة الهيئة الصرية العامة للكتاب، إشراف د. محمد أبو الفضل إبراهيم، بولاق، القاهرة ج٢١، ص٧٣.

(٤) الأحداث: أي "الصغار جمع حدث" انظر المعجم الوسيط، ص١٦٠.

عن ابن المُدَبِّر مع أحد زملائه والقريبين منه ممكن أن تقرب إلينا الصورة من تاريخ ميلاده وأقصد بذلك سليمان بن وهب[١] الذي كان معاصراً لفترة أحمد ابن المُدَبِّر وقريب العهد به في الميلاد وفي العمل الإداري فيروي أنه [٢]: "كان وهو صبي بين يدي محمد بن يزداد وزير المأمون"، وكلمة أنه كان في وقت المأمون صبيا، أي سنَّه يقارب سن البلوغ فهو تقريباً في نفس سن أحمد ابن المُدَبِّر الذي خرج مع المأمون في نفس هذا السن.

وقد حددت بعض المصادر عمر سليمان بن وهب بالضبط وقت عمله هذا أنه لما كان سليمان بن وهب يعمل للمأمون مع وزيره محمد بن يزداد كان عُمره ١٤سنة، "فهو كتب للمأمون وهو حدث ابن أربع عشرة سنة" [٣] .من كل ما سبق يمكن أن يكون ميلاد أحمد ابن المُدَبِّر في حدود سنة ٢٠٠ هـ .

وظائف أحمد ابن المُدَبِّر بالعراق (٢١٥هـ – ٢٤١هـ) :

أما عن أحمد ابن المُدَبِّر وفترة وجوده بالعراق فقد وقعت له أكثر من حادثة أو موقف، وتولى أكثر من منصب أو وظيفة وبرز دوره ابتداءً من سنة ٢٢٩هـ أو ربما قبيل هذا

---

(١) سليمان بن وهب: ولي الوزارة للمعتز بالله والمهتدي ثم وليها للمعتمد سنة٢٦٣هـ، وأهل هذا الوزير كانوا من النصارى وأسلموا، وقد حدَّث ابنه عبيد الله قال: حدثني أبى قال: كان مبدأ سعادتي أني كنت وأنا صبي بين يدي محمد بن يزداد وزير المأمون، وكان الوزير ابن يزداد إذا بات في داره ترك سليمان بن وهب أو أحدا من زملائه في القصر مع المأمون لقضاء أي طلب للخليفة. انظر ابن طباطبا ت٧٠٩هـ: محمد علي، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، عني بنشره محمود توفيق الكتبي، المطبعة الرحمانية بالخرنفش، مصر، ١٩٣٩هـ، ج١، ص١٨٠.

(٢) الجهشياري، الوزراء، ص٣١ .

محمد بن يزداد بن سويد المروزي ت٢٣٠هـ، : أحد كتاب المأمون ووزرائه، كان إمامًا كاتبًا فاضلاً مات بسر من رأى في شهر ربيع بعدما لزم داره سنتين، النجوم الزاهرة، ج٢، ص٢٥٨.

(٣) الكتبي ت ٧٦٤هـ: محمد بن شاكر، عيون التواريخ وفيه من سنة ٢١٩هـ إلى سنة ٢٥٠هـ، حققه وقدم له د. عفيف نايف حاطوم، دار الثقافة بيروت، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، ص١٥٢، أيضا الجهيشاري، الوزراء، ص ٣١.

التاريخ لأن نكبته مع الكُتَّاب كانت في تلك السنة، وبتتبع أعماله أو نشاطه يتضح أنه تولي الوظائف الكبيرة من تلك السنة٢٢٩ هـ وحتى ٢٤١هـ.

هذا ولم ترد معلومات مباشرة عن هذه الوظائف، ولا عن تاريخها لذا فقد قمت بربط الأحداث مع بعضها البعض، وتبينت الظروف المحيطة به، وذلك حتى أستطيع أن أصل إلى أقرب تاريخ للأعمال التي تولاها أو قام بها بالعراق، ووجدتها تنحصر في النقاط التالية:

- **أحمد ابن المُدَبِّر في عهد الواثق بالله(٢٢٧هـ- ٢٣٢هـ) :**

١- عمل أحمد ابن المُدَبِّر كاتبا على ديوان الجيش لابن الزيات قبيل سنة ٢٢٩هـ

٢- عمل أحمد ابن المُدَبِّر كاتباً للخليفة الواثق بالله ونكبته سنة ٢٢٩هـ/٨٤٣م.

- **أحمد ابن المُدَبِّر في عهد المتوكل على الله (٢٣٢هـ – ٢٤٧هـ):**

١-تولى أحمد ابن المُدَبِّر وظيفة قهرمنة الدار حوالي سنة ٢٣٣هـ/٨٤٧م.

٢-أحمد ابن المُدَبِّر وحضور بيعة المتوكل لأبنائه سنة ٢٣٥ هـ /٨٤٩م.

٣-أعمال أحمد ابن المُدَبِّر في الفترة (٢٣٦هـ- ٢٤٠هـ) :

- أحمد ابن المُدَبِّر يتولي ديوان الخراج سنة ٢٣٦ هـ .
- أحمد ابن المُدَبِّر على ديوان الضياع سنة ٢٤٠هـ .[١]

(١) ديوان الضياع: هذه الضياع هي أملاك الأسرة الحاكمة، وكانت هذه الضياع واسعة وكبيرة ولا تقتصر على العراق فحسب بل على الأقاليم الأخرى. فرات حمدان عبد المجيد، تجارب الأمم لمسكويه''الجوانب الاقتصادية والمالية ''، الطبعة الأولى، دار الأمل الجديدة دمشق، ٢٠١٥م، ص ٣٥٤. وفي تعريف آخر هو" ديوان تحدد مسئولياته بموارد الضياع العائدة للخلافة والتي صودرت في الأصل مع العهود السابقة مثل الأمويين والعباسيين، وزاد فيها العباسيون بطرق شتى". انظر فوزي فاروق عمر، تاريخ النظم ←←←

وسوف أتناول ذكر هذه الأحداث بشيء من التفصيل محاولة من خلالها ربط الأحداث حتى أصل بقدر المستطاع إلى السنة الأقرب لوقوع كل منها بشكل منفصل مع تصوُّر واضح للوظائف التي تولاها أحمد ابن المُدَبِّر بالعراق قبل ذهابه إلى الشام في سنة٢٤١هـ/٨٥٥م.

- **أحمد ابن المُدَبِّر خلال عهد الواثق بالله ٢٢٧ هـ – ٢٣٠ هـ :**

١–عمل أحمد ابن المُدَبِّر كاتبا على ديوان الجيش لابن الزيات قبيل سنة ٢٢٩هـ:

عمل أحمد ابن المُدَبِّر خلال عهد الواثق بالله بوظيفة الكاتب على ديوان الجيش(١) للوزير ابن الزيات، (٢) وعلمنا ذلك من خلال الرواية التالية، فقد حدَّث أحمد ابن المُدَبِّر فقال(٣): "كنت أكتب لمحمد بن عبد الملك الزيات على الجيش واحتيج إلى توجيه بعض القواد في أمرٍ مهم فعملت باستحقاقه ورجاله عملاً مفصلاً ثم أجملت التفصيل فغلطت فيه وصككت به وحُمل المال إلى القائد وقبضه وشخص، ثم رجعت إلى العمل فتتبعته فوقعت على الخطأ فاستحييت من محمد بن عبد الملك الزيات، فجلست عنه ثلاثة أيام فاستحضرني فكتبت إليه أصدقه عن القصة وأعترف بالخطأ وأعلمته أن الحياء منعني من الحضور وأحكّمه على نفسي في العقوبة، فوقّع إليّ "لا جُرم لك فيما لا تتعمد فارجع إلى مكانك ثم رضي عنه".

→→→

الإسلامية، دراسة لتطور المؤسسات المركزية في الدولة في القرون الإسلامية الأولى، الطبعة الأولى، دار الشروق، عمان، ٢٠٠٩م، ص٣٧٠.

(١) كتابة الديوان على ثلاثة أقسام: كتابة الجيوش، وكتابة الخراج، وكتابة الإنشاء والمكاتبات، ولابد لكل دولة من استعمال هذه الأقسام الثلاثة. انظر المقريزي، المواعظ، ج١، ص٢٦٣.

(٢) اتخذ الوزراء كُتَّاباً يختارونهم من بين الكُتَّاب، ونظراً للمكانة المهمة والمنزلة العليا التي تبوأها الكتاب كان لديهم الحرص أن يكون كاتبَ الخليفة أو الوزير، أحمد علي الحنفي، دور الكتاب، ص١٢٣.

(٣) ابن الآبار، إعتاب الكتاب، ص١٥٧.

ومن خلال الرواية السابقة لأحمد ابن المُدَبِّر لم توضح لنا تاريخ توليه هذا العمل إذ ربما تولاه أثناء عهد الخليفة المعتصم بالله أو الواثق بالله على اعتبار أن "ابن الزيات وُزّر طيلة عهد المعتصم والواثق[١]، ولكن أرجح أن يكون ذلك أثناء عهد الواثق وبخاصة قبيل سنة ٢٢٩هـ وهي السنة التي نكب فيها الواثق الكُتّاب جميعاً ومعهم أحمد ابن المُدَبِّر، وذلك لأن ابن الآبار الذي أورد هذه الرواية عقّب بعد سرده للقصة السابقة بقوله:" ثم تولى أيام المتوكل الأعمال الجليلة، وكان له دلال عليه".

٢- <u>عمل أحمد ابن المُدَبِّر كاتباً للخليفة الواثق ونَكْبَتَهُ سنة ٢٢٩ هـ / ٨٤٣ م:</u>

عمل أحمد ابن المُدَبِّر كاتباً للواثق ولا نعرف أي ديوان كان يعمل به، ثم كانت نكبته مع أقرانه من الكُتَّاب على يديه، وقد حدد الطبري أحداث تلك النكبة وما تعرض له الكُتَّاب من حبس ومصادرة وتعذيب ضربًا بالسياط بسنة ٢٢٩هـ/٨٤٣م[٢]، والغريب في الأمر أن الطبري ذكر جميع الكُتَّاب الذين عُذِّبُوا وأُخِذَت أموالهم بل ومقدار هذه الأموال لكنه لم يذكر أي شيء عن أحمد ابن المُدَبِّر في ذلك الحبس، لكن من خلال ما رواه أحمد ابن المُدَبِّر نفسه، عن بعض الأمور التي تعرض لها هو وأصحابه من الكُتَّاب جعلتني أتأكد بأنه كان ضمن مجموعة الكُتَّاب الذين تمت معاقبتهم كما سيتضح الآن، وأكد هذا التاريخ أيضا ما ذكره ابن تغري بردي في النجوم[٣]:"أنه في السنة الأولى من ولاية عيسى ابن منصور الثانية على مصر سنة٢٢٩هـ، وفيها صادر الخليفة الواثق بالله أموال كُتَّاب الدواوين وسجنهم".

(١) ابن طباطبا، الفخري في الآداب السلطانية، ص١٧٢.

(٢) الطبري، تاريخ، ج٩، ص١٢٥، أيضا التنوخي ت٣٨٤هـ: القاضي أبو علي المحسن علي، الفرج بعد الشدة، تحقيق عبود الشالجي، دار صادر بيروت، ١٩٧٨م، ج١، ص١٢٢.

(٣) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٢، ص٢٥٦.

أما عن تحديد تاريخ خروجهم من الحبس، وانتهاء هذه الأزمة فقد حددت تاريخه من رواية أحمد ابن المُدَبِّر، وقصة خروجه، مع سليمان بن وهب، وأحمد ان إسرائيل كُتّاب الواثق من الحبس وقت وفاة الواثق فيكون ذلك سنة ٢٣٢هـ، أما عن تفاصيل تلك الواقعة فقد حَدَّثَ أحمد ابن المُدَبِّر قال:" كنا في حبس الواثق أنا وسليمان بن وهب وأحمد بن إسرائيل مطالبين بالأموال . فقال لنا سليمان بن وهب يومًا، قد رأيت في المنام كأن قائلاً يقول لي: يموت الواثق بعد شهر، فاستغاث أحمد بن إسرائيل وقال: والله لا تزال حتى تُسْفَك دماؤنا، وخاف أشد الخوف أن يشيع هذا الحديث عنا.....، وقال ابن المُدَبِّر: فعددت من ذلك اليوم ثلاثين يومًا، فلما كان اليوم الثلاثون طُرِق الباب علينا طرقاً شديدا وصائح يصيح البشارة البشارة مات الواثق فاخرجوا أين شئتم إلى آخر القصة"(١).

وكان سبب حبس الواثق لهؤلاء الكتاب ونكبتهم هو اتهامه لهم بالخيانة، وأخذ في معاملتهم بالقسوة بقول جده هارون الرشيد، "إنما العاجز من لا يستبد"(٢)، وقيل إن محمد بن عبد الملك الزيات ــ وزير الواثق ــ نصب لهؤلاء العداوة فكُشِفُوا وحُبِسُوا وأجلس إسحاق بن إبراهيم ـ توفي سنة ٢٣٤هـ ـ فنظر أمرهم وأُقِيمُوا للناس ولقوا كل جهد"(٣).

ويقال إن هارون الواثق أخذ من الكُتَّاب في هذه النكبة ألفي ألف دينار فَضُرِبَ أحمد ابن إسرائيل ألف سوط وأُخِذَ منه ثمانون ألف دينار، وأُخِذَ من سليمان بن وهب كاتب الأمير إيتاخ الذي كان على خراج مصر وقتها أربعمائة ألف دينار"(٤)؛ ولم تذكر الروايات

---

(١) ابن طباطبا، الفخري في الأداب السلطانية، ص ٢٤٨، أيضا التنوخى، الفرج بعد الشدة، ج٢، ص٢٥٩.

(٢) الطبري، تاريخ، ج٩، ص١٢٨.

(٣) الطبري، نفسه، ج٩، ص١٢٥.

(٤) ابن تغري بردي، نفسه، ج٢، ص٢٥٦. وقيل إنه طالب سليمان بن وهب بمائة ألف دينار يؤديها بعد الذي أُخِذَ منه فإن أزعن بها وإلا فجرده وأضربه مائة سوط، وهو في ذلك اطلع عليه محمد بن عبد الملك بن الزيات، وكان من أشد أعدائه وطلب منه كتابة ما عليه من المائة ألف بخط يديه، وأن يقوم بتقسيط ما عليه من مال . انظر: ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ج١، ص٧٤، أيضا ابن مسكوية ت ٤٢١هـ: ←←←

التاريخية طريقة تعذيب أو مصادرة أحمد ابن المُدَبِّر ولا أي شيء عن قيمة الأموال التي أُخِذَتْ منه. وقد وصف أحمد ابن المُدَبِّر حال حبسه فقال:'' لما أمر محمد بن عبد الملك الزيات بحبسى أُدْخِلت محبسا فيه أحمد بن إسرائيل، وسليمان بن وهب وهما يطالبان فجُعِلْتُ في بيت ثالث فكنا نتحدث ونأكل معاً كثيراً، ففي مرة من المرات حدثنا سليمان بن وهب بالرؤيا التي تبشر بخروجهم" (١).

ويبدو أن محمد بن عبد الملك الزيات قد أحسن معاملة هؤلاء الكُتَّاب بعد موت الواثق وتولية المتوكل فقد أوضح ابن المُدَبِّر تغير ابن الزيات تجاه هؤلاء فيقول ابن المُدَبِّر: "إنه بعد خروجنا من الحبس قصدنا غير منازلنا واستترنا وبحثنا عن الأخبار فبلغنا إقرار الخليفة المتوكل على الله محمد ابن عبد الملك وزيراً ؛ فكتبت إليه رقعة عن جماعتنا نعرِّفَه خبرنا واتساع أملنا فيه ونستأذنه فيما نعمل، فوَقَّع ابن الزيات على ظهرها رداً على حال الثلاثة معا إلى أن قال :''أما أبو الحسن ابن المُدَبِّر، فإنه قُذِفَ بباطل، فاظهروا جميعاً واثقين عندي من رعايتكم فصرنا إليه وزال عنَّا ما كنا فيه"(٢).

وقيل إن إطلاق الكُتّاب من حبس الواثق كان في أثناء حياته "لأنه لما اشتدت علة الواثق دخل عليه أبو عبدالله أحمد بن أبي دؤاد القاضي فقال له الواثق يا أبا عبدالله ذهبت مني الدنيا والآخرة فهل عندك دواء ؟ فقال: نعم يا أمير المؤمنين: قد غرك ابن الزيات في الكُتَّاب وملأ بهم الحبوس ووراءهم ألف يد ترفع إلى الله تعالي بالدعاء عليك، فتأمر

→→→

أبو علي بن أحمد بن يعقوب، تجارب الأمم وتعاقب الهمم، تحقيق سيد كسروي حسين، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ج٤، ٢٠٠٣م، ص٩١.

(١) ابن مسكويه، تجارب الأمم، ج٦، ص٥٢٧، أيضاً التنوخي، الفرج بعد الشدة، ج٢، ص٢٥٩.

(٢) التنوخي: نفسه، ج٢، ص٢٥٩، أيضا ابن مسكويه، نفسه، ج٦، ص٥٢٨.

بإطلاقهم لترتفع تلك الأيدي بالدعاء لك فقال: نعم ما أشرت به ووقع الواثق إلى ابن الزيات بإطلاقهم" [١]

- **أحمد ابن المُدَبِّر في عهد المتوكل على الله " ٢٣٢هـ – ٢٤٧هـ ":**

١- تولى أحمد ابن المُدَبِّر وظيفة قهرمنة الدار حوالي سنة ٢٣٣هـ/٨٤٧م :

تولى أحمد ابن المُدَبِّر بعض الوظائف في عهد المتوكل على الله وكانت بداية ذلك في سنة ٢٣٣هـ ففي هذه الأثناء تقريبًا كانت نكبة إبراهيم بن العباس الصولى، ذكر السيوطي[٢] "كتب للمتوكل أحمد ابن المُدَبِّر وإبراهيم ابن العباس الصولي"، "وكان أحمد ابن المُدَبِّر يسلط عليه ابن الزيات ويقف ضده"، وكان ذلك مع بداية عهد المتوكل مباشرة لأن ابن الزيات قد نكب بعد قليل من خلافة المتوكل ثم توفي سنة ٢٣٣هـ[٣]. وقد أكد اليعقوبي ذلك فقال: "سنة ٢٣٣هـ كان إبراهيم بن العباس على الأهواز ونكب وحبس[٤]، وكان أحمد ابن المُدَبِّر يسلط عليه ابن الزيات في أثناء ذلك"[٥]، ودخل عليه أحمد ابن

---

(١) التنوخي، الفرج بعد الشدة، ج٢، ص٦٣

(٢) السيوطي ت٩١١هـ: الحافظ جلال الدين عبد الرحمن، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر دار إحياء العرب، عيسى البابي، ١٩٧٦م، ج٢، ص٢٣١.

(٣) كان محمد بن عبد الملك الزيات قد توفي بعد نكبته وحبسه فقد ذكر الطبري: "حبس بن الزيات بعد تولي المتوكل على الله بأربعين يوماً"، فإذا كان المتوكل قد تولى ٢٣ذي الحجه سنة ٢٣٢هـ فمعنى ذلك أن ابن الزيات حبس في حوالي اليوم الثالث من شهر صفر سنة ٢٣٢هـ ثم كانت وفاة ابن الزيات ١٩ ربيع الأول سنة ٢٣٣هـ".انظر الطبري، تاريخ، ج٩، ص١٥٨، أيضاً انظر ابن الآبار، إعتاب الكُتَّاب، ص ١٥٠ –١٥٢.

(٤) إبراهيم بن العباس: توفي عام ٢٤٣هـ، وكان عامل الخراج للمتوكل، وكان محمد بن عبدا لملك الزيات قد أغرى الواثق به، ثم توقف الواثق عن تحامله عليه فرفع يده عنه ورده إلى الحضرة مصونا، انظر الأغاني، ج١٠، ص٧٠ .

(٥) اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٤٥٢.

المدبر بعد خلاصة من النكبة مهنئا، وكان قد استعان به في أمر النكبة فقعد عنه فقال فيه إبراهيم بن العباس شعراً: (١)

و كنـت أخـي بالـدهر حتـي إذا نبـا ∴ نبـوت فلمـا عـاد عـدت مـع الـدهر

فـلا يـوم إقبـالي عـددتك طـائلا ∴ ولا يـوم إدبـاري عـددتك مـن وتـري

وعلي هذا فقد تولى ابن المُدَبِّر وظيفته الأولى في عهد الخليفة العباسي المتوكل على الله في حدود سنة ٢٣٣هـ/٨٤٧م، حيث تولى عدة مناصب لهذا الخليفة، وكانت الوظيفة الأولى لابن المُدَبِّر هي وظيفة " قهرمان القصر"(٢) . حيث كان يتولى أمر دار المتوكل من المطابخ والفُرش وغير ذلك (٣)، وقد احتال الفضل بن مروان(٤)، في تغيير المتوكل عليه حتى عزله عن قهرمنة الدار.

---

(١) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج١، ص٨٠ .

(٢) قهرمان القصر: في قاموس ومعانى الأسماء، قهرمان اسم علم مذكر كردى الأصل معناه البطل، وهو كذلك بالفارسية، ويسمون بذلك المؤنث كهرمانة ومعناها مديرة أمور المنزل أو القصر، والكهرمان من أمناء الملك وخاصته والجمع كهارمة.أيضاً تعني أمين الملك ووكيله الخاص بتدبير دخله وخرجه، المعجم الوسيط، ص٧٦٤.

أى أن الكهرمان يقوم بإدارة بيت الخليفة وتأدية الرسائل منه إلى الوزير، إلا أن الوظيفة تشعبت فيما بعد في عهد الخليفة المقتدر بالله، واتسعت حتى أصبح الكهرمان يتدخل في أمور الدولة .انظر عبد المنعم الدسوقى، مجالس الخاصة في العصر العباسى الثاني، جامعة المنصورة، مارس ١٩٩٣م، ص١٥

(٣) ابن الآبار، إعتاب الكتاب، ص ١٣٣.

(٤) الفضل بن مروان: (١٧٠هـ-٢٥٠هـ): استوزره الخليفة المعتصم نحو ثلاث سنوات، وخدم قبله وبعده عددا من الخلفاء، وقيل إنه كتب للمعتصم لأنه أخذ له البيعة بعد وفاة المأمون سنة٢١٨هـ، ثم آل إليه الأمر في خلافة المعتصم لأنه كان مربيًا له، ثم عزله المعتصم بعدما ألح عليه أبناء المأمون وغيرهم على أنه يأخذ أموالاً ولا يحترم المعتصم: انظر ابن الآبار، إعتاب الكتاب، ص١٣١، ١٣٢، أيضاً الجهشياري، الوزراء، ص١٢٠.

←←←

فقد ذكر ابن الآبار [١]" أنه في إحدى المرات قد تلاحي الفضل بن مروان مع أحمد ابن المُدَبِّر ؛: أي اشتد الحوار بينهما، وكان ذلك بين يدي المتوكل، وقد كان الخلفاء لا ينكرون تنازع الكُتَّاب بين أيديهم، وكان في المجلس مِرْفق [٢] قد جعلت لأمر ولم ترفع، فضرب الفضل بيده على المرفقة ضرباً شديداً فقام منها غبار كثير، فقال له أحمد: أتغبر بين يدي أمير المؤمنين؟ أمالك أدب أما خدمت الملوك فضحك الفضل وقال: من خدمتي للملوك فعلت هذا ليري أمير المؤمنين قلة كفايتك في فرشه وأنك لا تهتم بنفضها، ولولا خوفي من سوء الأدب فعلاً لضرب البساط فيري ما هو أعظم من هذا، فبهت أحمد ابن المُدَبِّر، وجعل يعتذر، فما مضت إلا أيام حتى عُزِلَ عن قهرمنة الدار.

أما عن تحديد تاريخ عزل ابن المُدَبِّر عن وظيفته بسبب هذه الواقعة – وبربط الأحداث مع بعضها البعض – يمكن الوصول ولو بصورة تقريبية لفترة عزله، فقد كان الخليفة المتوكل قد غضب على الوزير الفضل بن مروان وقام بعزله لثلاث عشرة بقيت من شهر رمضان ٢٣٣هـ /٨٤٧م عن ديوان الخراج وولاه يحيى بن خاقان الخراساني مولى الأزد" [٣]، وقيل بل تولى بعده الفتح بن خاقان [٤]، فمن المؤكد أن يكون تاريخ عزله ابن

→→→

وفي عهد الواثق عمل الفضل أيضا له لكن نكبه الوزير محمد بن عبد الملك الزيات، فكان يعاديه وقال له في يوم من الأيام:" إن الخليفة يريد أموالك " فبكي الفضل في حضور الواثق وقال له: الله الله في دمي، أنا في سن السبعين من عمري وتعملون بي ذلك، وعهد الواثق إلى ابن الزيات ليحاسبه، وأخذ أمواله. وفي عهد المتوكل نكب الفضل بن مروان أيضا وعزل في شهر رمضان حوالي ١٧ منه سنة ٢٣٣هـ، الطبري، نفسه، ج٩، ص ١٦٢.

(١) ابن الآبار، إعتاب الكتاب، ص ١٣٣، أيضاً الطبري، نفسه، ج٩، ص١٦٢.

(٢) المِرفَقَ: أو المرفقة هي كل ما يرتفق عليه من متكأ، انظر ابن منظور، لسان العرب، ج١٠، ص ١١٩.

(٣) ابن الآبار، نفس المصدر، ص ١٣٢، ١٣٣.

(٤) ابن تغري بردي، النجوم، ج٢، ص٢٧١.

المُدَبِّر عن الدار قبل هذا التاريخ أي قبل شهر رمضان سنة ٢٣٣هـ/٨٤٧م، أي في أثناء وجود الفضل بن مروان في وظيفته وقبل عزله .

٢- أحمد ابن المُدَبِّر وحضوره بيعة المتوكل لأبنائه سنة ٢٣٥هـ / ٨٤٩م :

جاء موضوع بيعة المتوكل لبنيه الثلاثة محمد المنتصر بالله وأبى عبد الله المعتز بالله والمستعين بالله في سنة ٢٣٥هـ، وكان أحمد ابن المُدَبِّر حاضرا الاحتفال بتلك البيعة فقال في ذلك المجلس في وجود الخليفة[١] :

يـــا بيعـــة مثـــل بيعـــة الشـــجرة ∴ فيهـــا لكـــل الخلائـــق الخيـــرة

أكـــــدها جعفـــــر وصـــــيرها ∴ إلـــى بنيـــه الثـــلاثة البـــررة

وكانت تلك البيعة بسُرَ من رَأي لأن المتوكل " أحضر وجوه الناس من كل بلد إلى سُرَ من رَأي وأعطاهم على البيعة الجوائز"[٢]، وهذا يؤكد أن أحمد ابن المُدَبِّر كان يتولى وظيفة مهمة على اعتبار أنه من وجوه الناس لكن لم نعرف طبيعة هذه الوظيفة .

٣- أعمال أحمد ابن المُدَبِّر في الفترة "٢٣٦هـ" – ٢٤٠هـ ":

عمل أحمد ابن المُدَبِّر بالعديد من الوظائف في عهد المتوكل، يحكي ابن الآبار عن حادثه وقعت بين أحمد ابن المُدَبِّر ويحيي بن أكثم[٣] في حضور المتوكل بأن سأل يحيى بن أكثم ابن المُدَبِّر سؤالا فيه من الدهاء والخبث بهدف التقليل من مكانة ابن المُدَبِّر

---

(١) المسعودي أبو الحسن علي بن الحسين ت ٣٤٦هـ: مروج الذهب ومعادن الجوهر، منشورات دار الهجرة، إيران، قم، ج ٤، ط٢، ٢٠١٩م، ص٧٦، الطبري، تاريخ، ج٩، ص١٧٥.

(٢) اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٤٥٠ .

(٣) يحيى بن أكثم: كان يتولى قاضي القضاة في عهد الخليفة المأمون والمتوكل وقد توفي سنة٢٤٢هـ انظر ابن الآبار، إعتاب الكتاب، ص١٥٧، أيضا ابن خلكان ت٦٨١هـ: أبو العباس شمس الدين أحمد بن إبراهيم البرمكي، وفيات الأعيان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر بيروت، ١٩٩٤م، ج٧، ص١٤٧.

وإحراجه أمام المتوكل فقد سأله عن: " كُتَّاب النبي"، فرد ابن المُدَبِّر رداً أفحمه وذكر له أنه لا داعي أن يكون الكاتب فقيهاً لأنه لا يحل حلالاً ولا يحرم حراماً ثم عرَّض له أحمد ابن المُدَبِّر بقوله: ومن عمل عملك عند النبي فقتله . يعرِّض له باللواط "[١].فأفحم ابن أكثم واستغرق المتوكل في الضحك"[٢]، وهذا معناه أنه كان يكتب للخليفة أما عن تاريخ ذلك الموقف فربما يكون سنة ٢٣٧هـ فقد ذكر الطبرى في أحداث هذه السنة "وفيها رضى المتوكل عن ابن أكثم وكان ببغداد فأشخص إلى سامراء فَوَلِيَ القضاء على القضاة"[٣].

٤- <u>أحمد ابن المُدَبِّر يتولي ديوان الخراج ببغداد سنة "٢٣٦هـ – ٢٤٠هـ":</u>

تولي أحمد ابن المدبر ديوان الخراج ببغداد سنة ٢٣٦ هـ، وذلك بعد شهرين تقريباً من نكبة الخليفة المتوكل على الله بالكُتاب[٤]، يذكر اليعقوبي [٥]:" أن المتوكل أشخص عليا بن عيسى كاتب إسحاق ابن إبراهيم على طساسيج السواد – من سُر من رأي، فولاه ديوان

(١) كان البحترى يهجوه بسبب هذا اللواط فقال فيه:

ما في معاشرة ابن أكثم ساعة خطرٌ لِذي عقل ولا مجنون

يبدي لنا زيَّ القضاة وسمتهم وأجل طعمته من التقيين

وهذا تعريض واضح بابن أكثم الذي له طريقة وهيئة أهل الخير والصلاح، وأن طعامه من المتاجرة في القيان، انظر البحتري ت ٢٨٤هـ: أبو عبادة الوليد بن عبد الله الطائي، ديوان البحتري، عني بتحقيقه وشرحه والتعليق عليه حسن كامل الصيرفي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٣م، ج٢، ص٢٣٢٧.

(٢) ابن الآبار، نفس المصدر، ص١٥٨.

(٣) الطبرى، تاريخ، ج ٩، ص ١٨٨.

(٤) نكبة الكتاب في عهد المتوكل:

بعد وفاة إسحاق بن إبراهيم صاحب الشرطة سنة ٢٣٥ هـ عين المتوكل ابنه محمدا على كل أعماله، فأبقي محمد على عمال أبيه كما كانوا واستمروا حتي وفاته سنة ٢٣٦ هـ بعد سنة من ولايته ثم جعل المتوكل عبد الله بن إسحاق على الشُرط فقط، فأشخص عبد الله كُتّاب أخيه محمد والذين كانوا كتاب أبيه أيضا إلى باب المتوكل، فضرب عماله " انظر اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٤٥١.

(٥) اليعقوبي، نفسه، ج٢، ص٤٥٢.

الخراج الأعظم، فأقام عليه شهرين، ثم صرفه وولى أحمد بن محمد ابن مدبر مكانه، وأخذ أحمد بن مدبر عُماله على طساسيج السواد،(١) فصالحهم على أموال عظيمة " ولم يقتصر الأمر على تولية أحمد ابن المدبر لديوان الخراج ببغداد بل ولاه عدّة دواوين معه فيذكر اليعقوبي(٢):" أن المتوكل سنة ٢٣٦هـ ولّى أحمد بن محمد بن مدبر سبعة دواوين هي: ديوان الخراج والضياع والنفقات الخاصة والعامة والصدقات والموالي والغلمان والجند والشاكرية فوفر أموالاً عظيمة" (٣)

وقد احتفظ أحمد ابن المُدَبِّر بهذه الوظائف وعلي رأسها ديوان الخراج حتي ذهابه إلى الشام سنة ٢٤٠ هـ، فلما تمالأ عليه الكُتّاب أرسله المتوكل إلى الشام " حيث طلب منه الذهاب للشام للتعديل لأن الكُتّاب قالوا له لا يقوم بذلك إلا متولي ديوان الخراج " (٤) . وقد نقلت هذه الدواوين فيما بعد إلى مدينة الجعفرية التي بناها المتوكل سنة ٢٤٧هـ. (٥)

٥- **أحمد ابن المُدَبِّر على ديوان الضياع سنة ٢٤٠هـ:**

أما عن ديوان الضياع فقد تأكد استمرار عمل أحمد ابن المُدَبِّر به حتى خروجه للشام فقد ذكر الصفدي(٦): " أن أحمد بن محمد ابن المُدَبِّر الكاتب تقلَّد ديواني الخراج والضياع

---

(١) طساسيج السواد: هي كلمة فارسية أصلها تسد ثم عربت، وهي تعني الناحية وتستعمل هذه اللفظة في سواد العراق وقد قسموا سواد العراق على ٦٠ طسوجاً، أضيف كل منها إلى اسم . . انظر ياقوت الحموي معجم البلدان، ج٤، ص٣٥.

(٢) اليعقوبي نفسه، ج ٢٢، ص٤٥٢.

(٣) الشاكرية: هي فرقة من جند الأتراك وقد ظهرت في أيام المهتدي واستفحل أمرها في أيام المستعين بالله . جورجي زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي، ج١، مؤسسة هنداوي، القاهرة، ٢٠١٢، ص٩٠ .

(٤) اليعقوبي، نفسه، ج٢، ص٤٥٤ .

(٥) اليعقوبي ت ٢٨٤هـ: كتاب البلدان، النجف الأشراف، بغداد ١٩١٨ م، ص٣٣.

(٦) الصفدي ت ٧٦٤ هـ: صلاح الدين بن خليل بن أيبك، كتاب الوافي بالوفيات، الطبعة الثالثة، باعتناء من ديدر ينغ، ج٨، ١٩٩١، ص٦.

مجموعين للمتوكل إلى غير ذلك من الأعمال الجليلة ثم تمالأ عليه الكُتّاب فأخرجوه إلى الشام والياً عليها " وهذه الرواية التاريخية التي تحكي قصة تولي أحمد ابن المُدَبِّر على الديوان وما وقع له مع على بن عيسى، ليس لها أية إشارة تاريخية تدل على تاريخ وقوعها لنعرف متي كان ابن المُدَبِّر بهذه الوظيفة لكن بربط الأحداث التي بعدها في أن أحمد ابن المُدَبِّر كان يلي ديواني الضياع والخراج عقب نكبة الكُتَّاب ببغداد سنة ٢٤٠هـ وكانوا سببًا في عزله من العراق وإرساله إلى الشام في نفس السنة.

وما قيل إنه لما كان أحمد ابن المُدَبِّر على الديوان وقعت بينه وبين على بن عيسى ابن يزداد نيروز[١] قصة تذكر أن كلا من ابن المُدَبِّر وعلى بن عيسى كانت بينهما عداوة شديدة ومشهورة، وقد كانت لعلي بن عيسى مقاطعة يُكتب له بها من الدواوين في كل سنة، فلما حضر وقت الكُتَّاب، وأحمد يتقلد الديوان، قال على بن عيسى لصاحبه: ادخل الديوان سراً واعزِم عزماً حتى تأخذ الكتاب بالمقاطعة، ولا يراك أحمد فيبطلها، ففعل ذلك صاحبه واجتهد في ستر الأمر، وانتهي الخبر إلى أحمد ابن مُدَبِّر قبل فراغه، فدعا به وأنكر عليه مساترته له، ودعا بالكُتَّاب حتى انتسخوا الكتاب بحضرته وعلَّموا عليه، ودفعه إليه، فأفاض الرجل بالشكر لابن المُدَبِّر فقال له ابن المُدَبِّر: ''والله لا أرضى فيك بالمحقرات وأقتصر على أن أعترض عليك في مقاطعتك[٢] '' .

وهذا دليل واضح على تولي أحمد ابن المُدَبِّر ديواني الخراج والضياع في العراق قبيل رحيله إلى الشام سنة ٢٤٠ هـ وذلك لأن المتوكل طلب من أحمد ابن المُدَبِّر الذهاب للشام في هذه السنة.

---

(١) علي بن عيسى بن يزدانيروز: والده هو عيسى بن يزدانيوز كان كاتبا للخليفة العباسى هارون الرشيد، وكان مقربا منه، وكان على بن عيسى قلده الرشيد خراج فارس وضياعها بعد نكبة البرامكة، وكان أول من لبس الشاشية من الكُتَّاب، وكان أخوه موسى بن عيسى في أيام محمد الأمين يكتب للفضل بن الربيع . انظر الجهشيارى، الوزراء، ص٢٥٤، ٢٦٠، ٢٦١، ٥٨٩ .

(٢) الجهشياري، نفسه، ص ٢٥٢.

إبراهيم ابن المُدَبِّر بالعراق ت ٢٧٩هـ / ٨٩٢م :

تحددت ملامح شخصية إبراهيم ابن المُدَبِّر وحياته السياسة والأدبية في العراق وغيرها من البلاد عن طريق رصد الأحداث المهمة التي اشترك فيها، خاصة مع قربه من الخلفاء العباسيين الذين عاصرهم كما سيتضح، ومن خلال الروايات التاريخية التي تحدثت عن إبراهيم يمكن تحديد سنوات بعينها تولى فيها المناصب ولو بصورة تقريبية:

- وظائف إبراهيم ابن المُدَبِّر خلال عهد الخليفة المتوكل على الله "٢٣٢هـ-٢٤٧هـ".

١- إبراهيم ابن المُدَبِّر على ديواني الأبنية والتوقيع ببغداد سنة " ٢٣٢هـ-٢٣٥هـ"

٢- إبراهيم ابن المُدَبِّر ببغداد ومقتل القائد إيتاخ سنة ٢٣٥هـ.

٣- إبراهيم ابن المُدَبِّر على ديواني الضياع والخراج بالبصرة سنة "٢٣٥ هـ - ٢٣٧هـ".

٤- إبراهيم ابن المُدَبِّر ببغداد ومقتل إسحاق بن إبراهيم سنة ٢٣٨هـ.

٥- ولاية إبراهيم ابن المُدَبِّر على البصرة سنة "٢٣٨هـ-٢٤١هـ".

٦- إبراهيم ابن المُدَبِّر والياً على الثغور بعد سنة ٢٤١هـ /٨٥٥م .

٧- إبراهيم ابن المُدَبِّر يساعد أبا صالح العلوي سنة ٢٤٣هـ / ٨٥٧م.

- **<u>وظائفه خلال عهدي المهتدي بالله والمعتمد على الله:</u>**

١- إبراهيم ابن المُدَبِّر والياً على خراج الأهواز وحبس صاحب الزنج له سنة "٢٥٦هـ-٢٥٧هـ" " ٨٦٩م - ٨٧٠م ".

٢- إبراهيم ابن المُدَبِّر وزيراً للمعتمد حوالي سنة ٢٦٩هـ /٨٨٢م .

٣- إبراهيم ابن المُدَبِّر تولى ديوان الضياع سنة ٢٧٨هـ / ٨٩١م .

<u>ميلاد إبراهيم ابن المُدَبِّر بالعراق :</u>

هو إبراهيم بن محمد بن عبيد الله ابن المُدَبِّر الكاتب أخو أحمد ومحمد وكنيته هي أبو إسحاق، ولد في بغداد وتوفي بها سنة (٢٧٩هـ / ٨٩٢م).

أما عن تحديد تاريخ ميلاده فلم يرد عنه أي معلومة سواء في كتب التاريخ أو الأدب غير رواية واحدة للصفدي :" تُحدد تاريخ ميلاده بسنة ٢١١هـ/٨٢٦م[١] وهذا خطأ كما سيتضح من رواية خروجه مع أخيه أحمد إلى الشام في جيش المأمون.

فقد روى ابن المعتز "أن إبراهيم ابن المُدَبِّر قد خرج في جيش الخليفة العباسي المأمون من بغداد إلى الشام سنة (٢١٥هـ /٨٣٠م)، ومعروف أن أحمد أخاه كان خارجًا مع هذا الجيش أيضًا، وأنه لما كان إبراهيم يسير مع العسكر راهن بعض أترابه في أن يمر في جنبات العماريات ـ الهوادج ـ وذلك ليكلم عَرِيب المغنية"[٢] .

وقد حَدَّدْت تاريخ ميلاد أخيه أحمد من قبل وأنه كان في حدود الخامسة عشرة من عمره عند خروجه مع جيش المأمون، وبما أن أحمد ابن المُدَبِّر أسن ـ أي أكبر سناً ـ من أخيه إبراهيم، وقد حددت تاريخ ميلاد أحمد حوالي سنة ٢٠٠هـ فيكون إبراهيم عند خروجه مع جيش المأمون بعد هذا التاريخ وذلك لأنه "قد خرج مع جيش المأمون سنة ٢١٥هـ يطلب الرزق[٣]" كما يفعل الأحداث[٤]، والحدث أي صغير السن وبالتالي يكون عمره في حدود الثانية عشرة تقريباً، وهذا معناه اشتراك الأخوين أحمد وإبراهيم في هذا الجيش مما

(١) الصفدي الوافي بالوفيات، ج٦، ص ١١٠ أيضاً الكتبي، محمد بن شاكر، فوات الوفيات، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٧٣م، ج١، ص٤٥.

(٢) الأصفهاني، الأغاني، ج٢١، ص٦٤.

(٣) عمر فروخ، كتاب الأدب العربي "الأعصر العباسية"، دار العلم للملايين، ١٩٨١، ج٢، ط٤، ص٣٣٤.

(٤) مشاركة الأحداث كان الرسم جارياً في أيام الفرس، أن يجتمع أحداث الكتاب ومن نشأ منهم بباب الملك، متعرضين للأعمال، فيأمر الملك رؤساء كتابه بامتحانهم، والتفتيش عن عقولهم، فمن رُضِي منهم عُرِض عليه اسمه وأمر بملازمة الباب ليستعان به، ثم يأمر الملك بضمهم إلى العمال، وتصريفهم في الأعمال، انظر، الجهشياري، الوزراء والكتاب، ص٣ من مقدمة الكتاب، أيضاً الأغاني، ج٢١، ص٦٤.

يعكس مكانتهم العقلية والإدارية منذ نعومة أظافرهما وبالتالي من الممكن أن يكون تاريخ ميلاد إبراهيم حوالي سنة ٢٠٣هـ .

وظائف إبراهيم ابن المُدَبِّر خلال عهد الخليفة المتوكل على الله "٢٣٢هـ- ٢٤٧هـ":

لم يظهر دور واضح لإبراهيم ابن المُدَبِّر من خلال ما ورد عن سيرته بكتب التاريخ والأدب يحدد علاقته مع الخلفاء العباسيين السابقين على الخليفة المتوكل على الله، اللهم فيما عدا ما ذكره صاحب الأغاني أثناء حديثه عن عَرِيب المغنية "من أن إبراهيم ابن المُدَبِّر كان موجوداً في جيش المأمون عند ذهابه للشام سنة ٢١٥هـ[١]، ولكن يبدو أنه لصغر سنه لم يكن يعمل بأي عمل مؤثر كما كان يعمل أخوه أحمد ابن المُدَبِّر الذي كان في نفس الجيش مع جعفر بن دينار، وقد ذكرت ذلك من قبل.

١- إبراهيم ابن المُدَبِّر على ديواني الأبنية والتوقيع ببغداد سنة "٢٣٢هـ-٢٣٥هـ":

كانت بداية إبراهيم الحقيقية في الحياة السياسية في عهد المتوكل على الله فقد علا نجمه في أيام المتوكل فأصبح من وجوه كُتَّاب الدواوين[٢] في العراق، ومن ذوي الجاه المتصرفين في كبار الأعمال ومذكور الولايات[٣]، وزادت شهرته ابتداءً من عهده فقد " خدم المتوكل مدة طويلة وولاه ديوان الأبنية " [٤] كما تولى عدّة دواوين أخرى فهناك رواية

(١) الأصفهاني، الأغاني، ج٢١، ص ٦٤.

(٢) كُتَّاب الدواوين: كانت الدواوين كثيرة ومتنوعة في العصر العباسي الأول، وكان يقوم عليها كُتَّاب ينظرون في الدخل والنفقات، وكان ذلك عاملاً قوياً في نشاط الكتابة إذ اشتغل بها كثيرون، خاصة وأنها كانت تعود عليهم برواتب وأرزاق ضخمة، وكان الكاتب في دواوين الدولة إذا أظهر نبوغاً ارتقى سريعاً، وما يزال يترقى حتى يصبح رئيس مجموعة من الدواوين، وقد يصبح وزيراً يدبر أمور الدولة كلها، فإن فاتته الوزارة أصبح متولياً لمدينة كبيرة. انظر شوقي ضيف: العصر العباسي الثاني، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الخامسة عشرة، ٢٠١١م، ص٥٠٥.

(٣) عمر فروخ، كتاب الأدب العربي، ج٢، ص٣٣٤.

(٤) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ٦، ص١٠٧.

نتبين منها أنه تولي ديوان التوقيع أيضاً . فهو من الكُتَّاب المهمين الذين هم في مرتبة الوزراء فقد ذكر المقريزي[١]:" أنه لم يزل في رتبة الوزراء"، أما وظيفته على ديوان التوقيع. فقد روى إبراهيم ابن المُدَبِّر نفسه قال: قال لي المتوكل:'' إذا خرج إليك توقيعي بما فيه مصلحة الناس ورفق بالرعية فأنفذه ولا تراجعني فيه، وإذا خرج إليك فيه حيف على الرعية فراجعني فإن قلبي بيد الله عز وجل''[٢].

وهذه الرواية تبين لنا طبيعة وظيفة أخرى عَمِلَ بها إبراهيم ابن المُدَبِّر خلال عهد المتوكل ألا وهي وظيفة صاحب ديوان التوقيع، وصاحب هذه الوظيفة يرتبط عمله بصاحب ديوان الدار[٣] وكانت هذه التوقيعات عادة من الجمل المختصرة البليغة[٤].

٢- **إبراهيم ابن المُدَبِّر ببغداد ومقتل القائد إيتاخ سنة ٢٣٥هـ :**

من خلال رواية أحداث سنة ٢٣٥هـ يتضح أن إبراهيم ابن المُدَبِّر كان موجوداً ببغداد خلال هذه السنة، حيث يروي ابن المُدَبِّر واقعة مقتل القائد إيتاخ التركي[٥]، فيقول:

---

(١) المقريزي، المقفي الكبير، ج٨، ص٣٠٩.

(٢) التذكرة الحمدونية، ج١، ص٦٠.

(٣) صاحب ديوان الدار: قال أبو الفرج: إذا أنهي إلى الخليفة حال من قدم من النواحي عليه يسأل شيئاً عن حاجاته عنده فيجمع ذلك في عمل من الوزير إليه –أي إلى الخليفة– منشؤها ديوان الدار باقتصاص المسألة وشرح حالها، ثم إذا خرجت من عند الخليفة، موقعاً فيها بخطة وبإمضاء ما التمسه الملتمس، أنشئت وتم التوقيع فيها في ديوان التوقيع، وأنشيء من ديوان التوقيع كتاب إلى صاحب ديوان الدار بنسختها، واقتصاص ما تضمنت بذلك إلى صاحب الديوان الذى يتعلق به موضوع الطلب فإذا كان ذو علاقة بالخراج مثلا كتب إلى ديوان الخراج انظر ابن قدامة، الخراج وصناعة الكتابة، ص٥٣.

(٤) أحمد عبد الباقى، معالم الحضارة العربية في القرن الثالث الهجرى، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩١م، ص٢٠.

(٥) القائد إيتاخ: هو قائد تركي مشهور، كان غلاماً خزرياً لسلام الأبرشي طباخاً فاشتراه منه المعتصم في سنة تسع وتسعين ومائة، وقد رفعه المعتصم ومن بعده الواثق. وولاه المعتصم معونة سامراء إلى جانب ←←←

"خرجت مع إسحاق ابن إبراهيم سنة ٢٣٥هـ- صاحب الشرطة ببغداد أيام المتوكل على الله – إلى خارج بغداد، وكان السبب في ذلك هو استقبال إيتاخ القائد التركي المعروف عند عودته من مكة بعد قضاء موسم الحج، فقد كان وقتها والى مكة والمدينة والموسم، ودُعِي له على المنابر".

وقد غضب عليه الخليفة المتوكل على الله، وكان ذلك الغضب بسبب أن المتوكل كان قد خرج إلى منطقة القاطول[١] متنزهاً بعد أن استوت له الخلافة فشرب ليلة فعربد على إيتاخ فَهَمَّ إيتاخ بقتله، فلما أصبح المتوكل قيل له، فاعتذر إليه والتزمه وقال له: أنت أبى وربيبتي[٢] .

فلما سار المتوكل إلى سامراء وذلك لاثنتي عشرة ليلة بقيت من ذي الحجه سنة ٢٣٣هـ[٣] أشار عليه البعض بإخراج إيتاخ إلى الحج وترك غلمانه بالعراق، وصيَّره أميراً على كل بلد يدخلها، وعند عودته أرسل إليه الخليفة بإسحاق بن إبراهيم صاحب الشرطة ومعه إبراهيم ابن المُدَبِّر وأتيا به إلى بغداد أولاً، وكان يرغب في الذهاب إلى سامراء، وقال له [٤]: "هذه هي رغبة الخليفة فهو يريد أن يستقبلك بنو هاشم" " ثم حُبِسَ وقُيِّدَ وبقي في

→→→

إسحاق بن إبراهيم، وكان من أراد المعتصم أو الواثق قتله فعند إيتاخ يُقتَل، وبيده يُحبَس منهم محمد بن عبد الملك الزيات، انظر الطبري، تاريخ، ج٩، ص١٦٦.

(١) القاطول: هو اسم نهر مقطوع من دجلة – انظر اليعقوبي، تاريخ، ج٢، هامش ص ٤٣.

(٢) الطبري، نفسه، ج٩، ص٨١، أيضا ابن الأثير ت ٦٣٠هـ: أبو الحسن علي الشيباني، الكامل في التاريخ، ج٦ راجع وصححه محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٧، ص١٠٧.

(٣) الطبري، نفسه، ج٩، ص١٦٧.

(٤) الطبري، نفسه، ج٩، ص١٦٦، ص ١٦٨، أيضاً ابن مسكوية، تجارب الأمم وتعاقب الهمم، ج٤، ص١١٦

الحبس حتى مات سنة ٢٣٥هـ، وذلك بأمر من الخليفة العباسي وكان ذلك في حضور موسى بن بُغَا"[١].

٣- إبراهيم ابن المُدَبِّر على ديواني الضياع والخراج بالبصرة (٢٣٥هـ-٢٣٧هـ):

تولى إبراهيم ابن المُدَبِّر ديواني الضياع والخراج أثناء عهد الخليفة المتوكل على الله وكان بداية ذلك في حدود سنة ٢٣٥هـ واتضح ذلك من روايتين:

الرواية الأولى: كانت أثناء بيعة الخليفة المتوكل لأولاده وقصة إبراهيم ابن المُدَبِّر مع أبى السمط مروان بن أبى الجنوب[٢] فقد كان إبراهيم ابن المُدَبِّر حاضرًا في مجلس الخليفة المتوكل على الله بعدما عقد البيعة لأولاده الثلاثة المنتصر والمؤيد والمعتز بولاية العهد بعده وكان ذلك سنة ٢٣٥هـ"[٣]، ثم جاء الشاعر أبو السمط إلى مجلس الخليفة ليهنئه على البيعة لأولاده حيث يروى[٤]: "أنه لما صرت إلى أمير المؤمنين المتوكل على الله مدحت ولاة العهود، وأنشدته بعض الأبيات، ثم لما وصلت إلى البيت الذي أمدح فيه المتوكل وهو:

---

(١) موسى بن بُغَا: هو قائد تركي خلف موسى والده في منصبه، ولعب دوراً مهماً في اضطرابات سامراء وخرج منتصراً، ومات سنة ٢٦٤ هـ، وقدم دمشق مع المتوكل " انظر ابن عساكر ت ٥٧١هـ: الإمام أبو القاسم علي الشافعي، تاريخ مدينة دمشق، دار الفكر، دمشق، دراسة وتحقيق محب الدين العمروي، ط١،ج ٦٠، ١٩٩٧، ص٤٠١، وعن بغا والد موسى انظر الطبري، نفسه، ج٩، ص١٤٨.

(٢) مروان بن أبى الجنوب: الشاعر مروان يكني أبو السمط وهو مروان الأصغر، سلك سبيل جده في الطعن على آل على بن أبى طالب، فكان من المرزوقين بالشعر فأعطاه المتوكل مائتي ألف دينار ومدح المأمون والمعتصم والواثق، وقيل إن مروان بن أبى السمط توفي سنة مائتين وخمسين وهو شاعر المتوكل العباسي، ابن الرومي ت ٢٨٣هـ: أبو الحسن علي بن العباس، ديوان ابن الرومي، شرح أحمد حسن بسج، بيروت، ج١، ١٩٧١ م، ص٣٦٧، وقيل بل توفي سنة مائتين وأربعين. انظر المرزباني، معجم الشعراء، ص٣٧٩، أيضاً الموشح، ص٣٤٢.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل، ج٩، ص١٧٥.

(٤) الطبري، نفسه، ج٩، ص٢٣٢، أيضا أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج١٢، ص٨١.

فأمسك ندى كفيك عنى ولا تزد فقد خفت أن أطغي وأن أتجبرا

فقال المتوكل: لا والله لا أمسك حتى أعرفك بجودي، ولا برحت حتى تسأل حاجة، فقلت: يا أمير المؤمنين الضيعة التي أمرت بإقطاعي إياها باليمامة. ذكر ابن المُدَبِّر أنها وقف من المعتصم على ولده ولا يجوز إقطاعها.

فقال المتوكل: فإني أقبلكها بدرهم في السنة لمدة مائة عام، قلت ـ أي أبو السمط ـ لا يحسن يا أمير المؤمنين أن يؤدى درهم في الديوان، فقال ابن المُدَبِّر: فألف درهم، فقلت: نعم، فأنفذها لي ولعقبي(١)، وبما أن الإقطاع الذي يكون للشخص ولعقبه من بعده يكون تابعاً لصاحب ديوان الضياع فهذا معناه أن إبراهيم كان على ديوان الضياع وقتها ثم قال لي المتوكل: ليست هذه حاجة، هذه قِبَالَة".

أي يقول له أن هذه قبالة، ولابد أن تذكر حاجتك لأوفيها إليك فقال له أبو السمط فضياعي التي كانت لي، كان الواثق قد أمر بإقطاعي إياها فنفاني ابن الزيات وحال بيني وبينها، فتنفذها لي، فأمر بإنفاذها بمائة درهم في السنة وهي السيوح"(٢)، وهذا معناه أن إبراهيم كان على ديوان الخراج أيضاً، وذلك لأن الضيعة التي تُحمى ولا يدخلها عامل ويوضع عليها شيء من المال يُؤدَي إلى بيت المال بالعاصمة ويؤدى كل سنة، فهذا تابع لصاحب الخراج(٣)، ومن خلال القصة السابقة يتضح أيضاً أن إبراهيم ابن المُدَبِّر كان قد عهد إليه الخليفة بأمر القبالة لأرض اليمامة، وتنفيذ الإجراء الخاص بها، وهذا معناه أن هذه الناحية كانت تابعة لعمله.

وإذا نظرنا إلى التقسيم الإداري للولايات في الدولة الإسلامية، أو ما يعرف بأعمال الدولة الإسلامية في العصور العباسية وجدناها قد وصلت إلى ثلاثة عشر عملاً أو ولاية.

(١) ابن قدامة، الخراج وصناعة الكتابة، ص٥٤.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل، ج٩، ص٢٣٢.

(٣) انظر ابن قدامة، نفس المصدر، ص٥٣.

وإحدى هذه الأعمال هي "ولاية البصرة وما وراءها جنوبا إلى البحرين وعمان وما جاورها"[١]، وهذا معناه أن البحرين وعُمَان كانتا تابعتين لولاية البصرة وبالتالي يوضح لنا بعض الأمور أو الأحداث التي وقعت لإبراهيم ابن المُدَبِّر في تلك المناطق والتي تدل على ولايته المالية كعامل خراج على البصرة وما يتبعها من الأماكن.

الرواية الثانية: وهي الرواية التي أوردها ابن خرداذبة في المسالك[٢]، وأيضا ابن قدامة في كتاب الخراج[٣] " من أن ارتفاع اليمامة"[٤] والبحرين على ما ثبت في عمل كان ابن المُدَبِّر نظمه للارتفاع لسنة سبع وثلاثين ومائتين من العين خمسمائة ألف وعشرة آلاف دينار". فهذا يؤكد أن اليمامة كانت تابعة أيضًا لجهة عمل ابن المُدَبِّر، وبما أنه ذكر الارتفاع أيضا فهذا معناه أنه كان على ديوان الخراج .

٤- إبراهيم ابن المُدَبِّر ببغداد ومقتل إسحاق بن إسماعيل سنة ٢٣٨هـ:

" قدم الخليفة المتوكل من سامراء إلى مدينة السلام سنة ٢٣٨هـ " [٥] وفي أحداث هذه السنة قام بغا قائد جيش الخليفة المتوكل على الله بقتل إسحاق بن إسماعيل، وكان ذلك

---

(١) حسين الحاج حسن، النظم الإسلامية، ص٢١٢.

(٢) ابن خرداذبة ت ٢٨٠هـ: أبو القاسم عبيد الله، المسالك والممالك، الناشر دار صادر بيروت – أفست، ليدن، ١٨٨٩م، ج١، ص٦٨.

(٣) ابن قدامة، الخراج وصناعة الكتابة، ص١٨١.

(٤) اليمامة: ذكر ابن رستة اليمامة في الأعلاق النفيسة تحت عنوان "الطريق من البحرين إلى مكة" ما يحدد ارتباط اليمامة بالبحرين والاثنين معاً بالبصرة فقال: "تخرج الطريق إلى اليمامة ومن اليمامة إلى الضَّرية، ومن الضرية إلى مكة، والضرية ملتقي حاج البصرة والبحرين هناك يفترقون إذا انصرفوا من الحج ويأخذ حجاج البصرة ذات الشمال وحجاج البحرين ذات اليمين، وحدود البحرين متصلة مما يلي المغرب ببلاد اليمامة وبلاد اليمامة شرقها متصلة بحدود البحرين ذات اليمين وغربها يفضي إلى مكة وشمالها بواد متصلة بالعزيب والضرية والنباج وسائر حدود البصرة، انظر ابن رستة ت٣٠٠هـ: أبو علي أحمد بن عمر، الأعلاق النفيسة، دار صادر بيروت، ليدن، مطبعة بريل، ١٨٩٢م، ص١٨٢.

(٥) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص ٤٥٣.

بسبب أن بغا ظفر به، "وكان إسحاق مولي بني أمية، واتجه إليه بغا لما صار إلى دَبيل[١] بسبب قتل القاتلين من أهل أرمينية يوسف بن محمد"[٢].

واستطاع جنود بغا القبض عليه فأمر فضربت عنقه سنة٢٣٨هـ، وأرسلها إلى الخليفة ولم يذكر الطبري أن إبراهيم ابن المُدَبِّر كان حاضراً وقت قدوم بغا برأس إسحاق، لكن الذي ذكر تلك الواقعة هو أبو الهلال العسكري: قال: أخبر المازني قال: [٣] ''سمعت إبراهيم ابن المُدَبِّر الكاتب الضَّبِّي يثني على علي بن الجَهْم [٤] في صداقته ومروءته فقال في ذلك: كنت واقفاً بين يدي المتوكل وقد جيئ برأس إسحاق بن إسماعيل وَجَّه به بُغَا، فارتجل على بن الجهم شعراً وقال:

أهـــلاً وســـهلاً بـــك مـــن رســـول ∴ جئـــت بمـــا يشـــفي مـــن الغليـــل

بجملـــة تغنـــي عـــن التفصـــيل ∴ بـــرأس إســـحاق بـــن إســـماعيل

وقيل إن المتوكل على الله غضب على عَلّي بن الجهم الشاعر ونفاه إلى خُراسان. يذكر المسعودي: "في سنة اثنتين وثلاثين ومائتين نفى المتوكل عَلّي بن الجهم وقيل سنة تسع وثلاثين ومائتين " [٥] ولكني أرجح القول بأن نفيه كان سنة اثنتين وثلاثين ومائتين

(١) دَبيل: بفتح أوله، وكسر ثانيه بوزنّ ذبيل وهى من قرى الرملة بالشام .انظر ياقوت الحموى، معجم البلدان، ج٢، ص٤٣٨.

(٢) الطبري، تاريخ، ج٩، ص١٩٢.

(٣) أبو هلال العسكري ت٣٩٥ هـ: كتاب ديوان المعاني، تحقيق د/ أحمد سليم غنم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، قدم هذه الطبعة عبد الحكم راضي، القاهرة، ٢٠١٢، ج٢، ص١٠٣٤، ١٠٣٥.

(٤) علي بن الجهم: هو علي بن الجهم من بني سامة بن لؤي توفي سنة ٢٤٩هـ، كان معاصراً لأبي تمام وخاصة بالمتوكل العباسي، ثم غضب عليه المتوكل فنفاه إلى خرسان. انظر بن فضل الله العمري ت ٧٤٩هـ: شهاب الدين بن يحيى، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، أشرف على تحقيق الموسوعة وحقق هذا الجزء كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧١ م، ج١٤، ص٤٦٤

(٥) المسعودي، مروج الذهب، ج٤، ص٩١.

على اعتبار أن المتوكل حين نفاه الى خُراسان أرسل الى ابن طاهر أن يصلبه يوماً واحداً وابن طاهر أتى من خُراسان الى بغداد سنة ٢٣٧ هـ فيكون ذلك قبلها.

٥- ولاية إبراهيم ابن المُدَبِّر على البصرة سنة "٢٣٨هـ- ٢٤٠هـ":

لما كان إبراهيم ابن المُدَبِّر من المقربين للمتوكل على الله، لذلك كانت له مكانة خاصة ومعلومة عند الخليفة، واتضح ذلك من رواية إبراهيم نفسه[١]: "أن المتوكل مرض مرضة خِيف عليه منها ثم عُوفي، وأذن للناس في الوصول إليه فدخلوا على طبقاتهم، ولما رآني استدناني، حتى قمت وراء الفتح ونظر إليَّ مستنطقاً فأنشدته:

يـــــوم أتانـــــا بالســـــرور ∴ فالحمـــــد لله الكبيـــــر

أخلصـــــت فيـــــه شـــــكره ∴ ووفيـــــت فيـــــه بالنـــــذور

إلى آخر القصيدة، فقال المتوكل للفتح: إن إبراهيم لينطق عن نية خالصة، وود محض، وما قضينا حقه، فتقدم بأن يُحمل إليه الساعة خمسون ألف درهم، وتقدم إلى عبيد الله بن يحيى بأن يُوَليه عملاً سريًا – أي شريفاً – ينتفع به [٢] .

فكان هذا العمل هو ولاية البصرة، ولم تحدد المصادر التاريخية ولا حتى الأدبية طبيعة هذا العمل ولا حتي تاريخه لكن من المؤكد أن يكون ذلك بعد سنة ٢٣٨هـ، وذلك لوجود إبراهيم ابن المُدَبِّر ببغداد وقتها عندما جيء برأس إسحاق بن إسماعيل

وهناك روايات وردت لبعض الشعراء الذين كانوا في البصرة ولهم علاقة وطيدة مع إبراهيم ابن المُدَبِّر تبين ولايته عليها ولاية سياسية، وذلك في عهد المتوكل وقبل أن يُعزل

---

(١) الأصفهاني، الأغاني، ج٢٢، ص١٥٧، ١٥٨.

(٢) في سنة ٢٣٧ هـ " سخط المتوكل على محمد بن الفضل كاتب ديوان التوقيع وصير مكانه عبيد الله بن يحيى بن خاقان، وكان يولي عمال ديوان الضياع والخراج والبريد والمعاون والقضاة " انظر اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٤٥٢.

عنها على يد عبيد الله ابن يحيى بن خاقان فيذكر الأصفهاني[١]: أخبرنا أبو الفياض سوار بن أبى شراعة[٢]، القيسى البصري قال: كان إبراهيم ابن المُدَبِّر يتولي البصرة، وكان محسناً إلى أهل البلد إحساناً يعمهم، ويشتمل على جماعتهم نفعه، ويخصنا من ذلك بأوفر حظ وأجزل نصيب، فلما صُرِف عن البصرة شيَّعه أهلها، وتفجعوا لفراقه وساءهم صرفه، فجعل يرد الناس من تشييعهم على قدر مراتبهم في الأنس به، حتى لم يبق معه إلا أبى فقال له: يا أبا شراعة، إن المشيع مودع لا محالة، وقد بلغت أقصى الغايات فبحقي عليك إلا انصرفت، ثم قال: يا غلام، احمل إلى أبى شُراعة، ما أمرتك له به، فأحضر ثياباً وطيبا ومالا، فودعه أبى ثم قال:

يـا أبـا إسـحاق سـر فـي دعـــة ∴ و امـض مصـحوبا فمـا منـك خلـف

ليـــت شـــعري أي أرض أجـــدبت ∴ فأغيثت بك من جهد العجف[٣]؟

وبالتالي كان تركه للمدينة بسبب عزله عنها، وأبو شُراعة هذا له عدة أخبار مع إبراهيم ابن المُدَبِّر، "حيث كان صديقا له أيام تقلده البصرة، وكان لا يفارقه في سائر أحواله، ولا يمنعه حاجة يسأله إياها، ولا يشفع لأحد إلا شفّعه" [٤] .

---

(١) الأصهفاني، الأغاني، ج٢٢، ص١٨٣.

(٢) أبو شراعة: هو أحمد بن محمد بن شراعة القيسي، من شعراء البصرة في المائة الثالثة، وهو من أشهر أهل زمانه، وقد قيل إن أبا شراعة هذا قد رثي الجاحظ بعد وفاته فيكون معني ذلك أنه عاش بعد سنة ٢٥٥هـ وهي السنة التي توفي فيها الجاحظ، انظر أبو هلال العسكري، ديوان المعاني، المجلد الثاني، ص١٠٤٥.

(٣) العجف: أي الهذال الشديد، انظر الأصفهاني، نفسه، ج٢٢، هامش ص١٨٠، وعن شعر أبى شُراعة، انظر ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ج٢، ص ٢٣٧.

(٤) بيان على عبد الرحيم المظفر، شعر أبى شراعه القيسى، جامعة البصرة، مركز دراسات البصرة والخليج العربي، مجلة آداب البصرة العدد ٦٥، سنة ٢٠١٣م، ص٧٤، ٧٥.

وفي رواية ثانية لأبى هلال العسكري[١]، أنه لما عُزِلَ إبراهيم عن البصرة أنشده أبو صفوان الثقفي:

أبـا إسـحاق أن تكـن الليـالـي ∴ عطفـن عليـك بـالعزل اللئـيم

فلـم أر صـرف هـذا الـدهر يجـري ∴ بمكـروه علـى غيـر الكريـم

وهذه الرواية تدل أيضا على أنه كان على ولاية البصرة، وقد عزل عنها وقال فيه أهلها شعراً يحمل كل معاني الحب له نتيجة لحسن معاملته لهم.

ولأبي صفوان القديدي البصري من أبيات إلى إبراهيم ابن المُدَبِّر لما عزل عن البصرة قوله[٢] :-

ورُبَّ مـن كـان معـزولاً فيعـزل مَـنْ ∴ وُلِّـيَ عليـه وللأحـوال تصـريف

فكـم عزيـز رأينـا بـات محتـجباً ∴ فصـار يحجـب عـن قـوم بـه خيـف

نكبة إبراهيم ابن المُدَبِّر وعزله عن ولاية البصرة ٢٤٠هـ :

كانت نكبة إبراهيم ابن المُدَبِّر هذه هي النكبة الأولى له، حيث كان وقتها على ولاية البصرة وعزله عنها عبيد الله بن يحيى بن خاقان[٣]، وحبسه بعد أن صَرَفَه عنها وذلك في عهد الخليفة المتوكل على الله.

---

(١) أبو هلال العسكري، ديوان المعاني، المجلد الثاني، ص ١٠٤٩ .

(٢) التنوخي، الفرج بعد الشدة، ج٥، ص٥٧.

(٣) عبيد الله بن يحيى بن خاقان: قام المتوكل بتعيين الأب يحيى ابن خاقان مولي الأزد على ديوان الخراج بعد عزل الفضل بن مروان سنة ٢٣٣هـ، وقيل إن يحيى استناب ابنه عليه واستمر وجود ابنه عبيد الله على مسرح الأحداث إلى آخر عهد الخليفة المتوكل، انظر الطبري، تاريخ، ج٩، ص١٦٢، ١٧١، ١٨٥، وقيل إن الفتح بن خاقان كان وزيرًا للمتوكل بعد عزل الخليفة لوزيره محمد بن الفضل الجرجرائى سنة ٢٣٦هـ ثم أناب الفتح بن خاقان عنه ابن أخيه عبيد الله بن يحيى بن خاقان الذى استكتبه المتوكل ←←←

وعلى الرغم من إجماع المصادر التاريخية والأدبية على عزل عبيد الله بن يحيى بن خاقان لإبراهيم ابن المُدَبِّر، إلا أن هذه المصادر لم تحدد تاريخ ولايته عليها ولا حتى تاريخ عزله عنها.

وكان ذلك سبباً في حدوث خلط كبير من ناحية بعض المؤرخين بين هذه النكبة التي حدثت له في عهد المتوكل وبين النكبة الأخرى التي وقعت له في عهد الخليفة العباسي المعتمد على الله على أيدي الزنج عند دخولهم للأهواز والبصرة سنة ٢٥٦هـ.

ويمكن تحديد تاريخ هذه النكبة على وجه التقريب سنة ٢٤٠هـ وذلك أن المتوكل بعد أن استكتب عبيد الله بن يحيى سنة ٢٣٦هـ ثم جعله وزيراً له سنة ٢٤٠هـ بعد عزل الجرجرائي[١] قد أصبح له تأثير على رأي المتوكل في ابن المُدَبِّر "وكان إبراهيم ابن المُدَبِّر على ولاية البصرة وقيل بل يلي عملاً في البصرة فصرفه ـ أي عزله ـ ابن خاقان وحبسه فترة" [٢] . فكان عبيد الله هو السبب الأول والأخير في عزل إبراهيم ابن المُدَبِّر عن ولاية البصرة .

حبس إبراهيم ابن المُدَبِّر بعد عزله عن البصرة " ٢٤٠هـ – ٢٤١هـ" :

أما عن بداية تاريخ حبس إبراهيم بعد عزله عن البصرة يمكن أن يكون سنة ٢٤٠هـ وذلك بمجرد رحيله عنها بعد العزل مباشرة وأنه استمر محبوساً إلى سنة ٢٤١هـ، لأن هذه

←←←

في هذه السنة، انظر ابن العمرانى ت ٥٨٠هـ: محمد بن علي، الإنباء في تاريخ الخلفاء، تحقيق وتقديم د / قاسم السامرائي، دار الآفاق العربية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٩ م، ص١٢٠.

(١) محمد بن الفضل الجرجرائي ت سنة ٢٥٠هـ: كان المتوكل قد استوزر شخصا يسمي أبو الوزير، وهو من كتابه لكن من غير أن يسميه وزيراً، ثم استوزر محمد بن الفضل الجرجرائي ثم عزله، وقال أنا أريد حدثاً أستوزره فأشير عليه بعبيد الله بن يحيى بن خاقان وقد ظل وزيراً إلى نهاية عهد المتوكل على الله، انظر ابن طباطبا، الفخري في الأداب السلطانية، ص١٧٣، ١٧٤.

(٢) المرزباني، نفسه، ص١٥٨، أيضا عمر فروخ، كتاب الأدب العربي، ص٣٣٤ .

السنة الأخيرة كان فيها أحمد ابن المُدَبِّر في الشام، وذلك لما قيل من أن أحمد كان السبب المباشر، وذلك بسبب اتهام عبيد الله له بأخذ أموال من عمله فيذكر الأصفهاني[١]:'' إن أحمد ابن المُدَبِّر كان قد وُلِّي لعبيد الله بن يحيى بن خاقان عملاً، فلم يحمد أثره فيه، وعمل على أن ينكبه، وبلغ ذلك أحمد فهرب، واضطر عبيد الله بسبب هروب أحمد من تحت يديه، وأيضا بسبب كراهية إبراهيم أخيه فسعي ضد إبراهيم عند المتوكل وتسبب في حبسه ".

فقد كان عبيد الله شديد النفاسة عليه برأي المتوكل فيه فأغراه به، وعرفه خبر أخيه أحمد وادعى عليه مالاً جليلاً، وذكر أنه عند إبراهيم أخيه، فأوغر صدر المتوكل عليه حتى أذن له في حبسه فقال وهو محبوس[٢]:

هو الحبس ما فيه غضاضة وهل كان في حبس الخليفة من عار

وبدليل – أيضا – أن أحمد كان يخاطب أخاه إبراهيم أثناء وجوده في حبس عبيد الله فقد أرسل إبراهيم إليه بخطاب، وأنه من الممكن أن تكون مدة حبسه حوالي سنة كاملة فيكون دخل الحبس سنة ٢٤٠هـ وأفرج عنه سنة ٢٤١هـ .

إذن من الممكن أن نستنتج أن ذلك الحبس كان في الفترة من سنة ٢٤٠هـ إلى سنة ٢٤١هـ، السنة الأولى هي ولاية عبيد الله الوزارة والثانية هي سنة وجود أحمد ابن المُدَبِّر في الشام.

وبعد عزل إبراهيم ابن المُدَبِّر عن البصرة ثم حبسه، كتب وهو في الحبس إلى صديقه أبى عبد الله بن حمدون[٣]، يُذِّكره بصداقته وعلاقته الطيبة معه، وطلب منه أن يذكر حالهُ عند الفتح بن خاقان، وعند الخليفة المتوكل على الله.

---

(١) الأصفهاني، نفسه، ج ٢٢، ص١٦٢.

(٢) الأصفهاني، نفسه، ج٢٢، ص١٦٢، أيضا ابن الآبار، إعتاب الكتاب، ص١٥٩، ١٦٠.

(٣) ابن حمدون: هو أبو عبد الله أحمد بن حمدون كان نديماً للمتوكل، ومن بعده للخلفاء، وله عدة مؤلفات، وحمدون والده هو إبراهيم بن إسماعيل، وكان نديماً للمتوكل أيضا وأحمد هذا هو أبو الشاعر أبو العبيس ←←←

فأرسل له قصيدة يوضح له فيها حاله في الحبس، وعن الأشخاص الذين كانوا سبباً في نكبته وجاء في القصيدة ذكر لأسمائهم مثل: نجاح بن سلمة توفي سنة ٢٤٥هـ، [١] وأيضا أبو عمران موسى بن عبد الملك توفي سنة ٢٤٦هـ[٢] وكان على ديوان الخراج في عهد المتوكل[٣]

فقال مخاطبا لابن حمدون[٤]:

فتى الجـــود الذي أنا منه في جنى ورد جني

→→→

بن أحمد وحفيده إبراهيم وكانا مشهورين بالغناء وجودته، انظر التذكرة الحمدونية، ج١، ص٩، أيضا الأصفهاني، الأغاني، ج٢٢، ص١٧٠.

(١) نجاح بن سلمة: كان على ديوان التوقيع والتتبع على العمال في عهد المتوكل، فكان مخشي الجانب نافذ الكلمة يتقيه العمال جميعاً، وربما نادم المتوكل، وكانت بين نجاح وبين عبيد الله بن خاقان وزير المتوكل وحشة فانتهز فرصة احتياج المتوكل سنة ٢٤٥هـ إلى المال لبناء قصوره بسامراء فأشار عليه نجاح بأن يكل إليه أمر كثير من الناس، منهم وزيره، ومن يميلون إليه كالحسن بن مخلد(وكان على ديوان الضياع)، وموسى بن عبد الملك وكان على ديوان الخراج، ولكن تدبيره باء بالفشل، إذ قبض عليه عبيد الله ووكل به موسى بن عبد الملك ليستأدي ما عليه من الأموال، وقد هلك نجاح في المطالبة والعقاب سنة ٢٤٥هـ، انظر الطبري، تاريخ، ج٢، ص٢١٤، ٢١٥، أيضا ابن الأثير الكامل، ج٦، ص ١٣١، أيضا البحتري، ديوان، ج١، هامش ص٤٦٣. ذكر التنوخي في أن نجاح بن سلمة سجن إبراهيم في عهد المتوكل مكايدة في أخيه أحمد، التنوخي، الفرج بعد الشدة، ج٢، ص١٢٤.

(٢) موسى بن عبد الملك: أبو عمران موسى بن عبد الملك صاحب ديوان الخراج في عهد المتوكل وكان من جملة الرؤساء وفضلاء الكتاب، تنقل في خدمة بعض الخلفاء وكان إليه ديوان السواد وغيره في أيام المتوكل، وقد توفي في شوال سنة ٢٤٦هـ، وقد خان عبيد الله موسى بن عبد الملك ومن قبله نجاح بن سلمة انظر ابن الأثير، نفس المصدر، ج٦، ص١٣١، أيضا المرزباني، معجم الشعراء، ص١٤٨، ص١٦٠.

(٣) الطبري، تاريخ، ج٩، ص ٢١٤.

(٤) ابن الآبار، إعتاب الكتاب، ص١٥٩، ١٦٠، أيضا الأصفهاني، نفسه، ج٢٢، ص١٧١.

ثم استطرد في الأبيات ليوضح حالته في باقي أبيات القصيدة قائلا له ماذا تنتظر من موسى بن عبد الملك الحاقد عليَّ فيقول:

وأبو عمران موسى حَنِقٌ حاقد يطلبني بالإحـــنِ

وفي البيت الذي يليه:

وعبيـــــد الله أيضـــــا مثلـــــه ∴ ونجـــــاح فَمُجِـــــدٌ لاينـــــي[١].

لـــيس يشـــفيه ســـوى ســـفك دمـــى ∴ أو يرانـــي مـــدرجاً فـــي كفـــنِ

وقد كان عبيد الله بن يحيى بن خاقان بالفعل سبباً في نكبة إبراهيم وغضب المتوكل عليه وحبسه، وذلك لأنه "سعى بإبراهيم لانحرافه عنه ونفاسته عليه، كما ذكرت من قبل وقد سعى إبراهيم إلى إيصال صوته إلى الخليفة المتوكل.

وظل إبراهيم محبوساً رغم ذلك "ولجَّ عبيد الله فلم يكن لأحد في خلاصه معه حيلة، حتى استغاث بمحمد بن عبد الله بن طاهر [٢]، فأرسل له إبراهيم قصيدة يذكر له مجد الآباء والأجداد مادحاً لهم جميعاً بقوله[٣]:

---

(١) لاينى: أي من فتر وضعف وكلّ . انظر الأغاني، ج٢٢، هامش ص١٧١.

(٢) محمد بن عبد الله بن طاهر: كان جده طاهر بن الحسين قائد جيش المأمون الذي خرج لمحاربة جيش أخيه الأمين بقيادة على بن عيسى انظر الطبري، تاريخ، ج٨، ص٣٩٠ وما بعدها، وقد توفي طاهر بن الحسين سنة ٢٠٧هـ، انظر ابن الآبار، إعتاب الكتاب، ص١٢٢، ووالده عبد الله بن طاهر من أشهر الولاة في العصر العباسي ت ٢٣٠هـ، انظر ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، ج ٤، ص٥٤١ أما محمد بن عبد الله أبو العباس الخزاعي استدعاه المتوكل من خراسان وولاه خلافته ببغداد سنة ٢٣٧هـ، ثم تولي المدينة أيضا من قبل المستعين سنة ٢٤٨هـ، وكان محمد أديباً شاعراً جواداً، عظم سلطانه في دولة المعتز لأنه كان أميراً على خراسان نيابة عن المعتز الذي كان حاكماً اسمياً فقط، وقد مات محمد سنة ٢٥٣هـ، وقد مدحه البحتري في قصائد ثلاث انظر البحتري، ديوان، ج٥، ص٩٦٢.

(٣) ابن الآبار، نفسه، ص١٦١، ١٦٢.

فما لكم غير الأسرة مجلـــس وما لكم غير السيوف مخاصر[١].

ويستنصره ويرجوه فيقول له :

كـــلام أميـــر المـــؤمنين وعطفـــــــه ∴ فمـــالي بعـــد الله غيـــرك ناصـــــــر

فـــإن ســـاعد المقـــدار فالصـــفح واقـــع ∴ وإلا فـــإني مخلـــص الـــود شاكـــــر

فعزم محمد على تخليصه ولم يلتفت إلى عبيد الله، وبذل أن يتحمل من ماله كل ما يُطالب، فأعفاه المتوكل من ذلك ووهبه له وأفرج عنه. وكان إبراهيم يقول: [٢]"نُكِبنا نكبة من نكباتنا، فسقط من إخواننا من كنا نجعل من أهل الود".

وكان إبراهيم ابن المُدَبِّر أثناء حبسه قد التجأ أيضا إلى المغنية عَرِيب[٣]، لتسعي له عند المتوكل لخروجه من الحبس، وفي ذلك يذكر صاحب الأغاني تفاصيل هذه المراسلات

---

(١) مخاصر، جمع مخصرة، وهو ما يتوكأ عليه من عصا وما يجعله الملك بيده ليشير به إذا خطب، انظر ابن الآبار، نفسه، هامش ص١٦١.

(٢) الطبري، تاريخ، ج٩، ٣٧٢.

(٣) عَرِيب المغنية: هي شاعرة بليغة ومغنية كانت أسن من إبراهيم ابن المُدَبِّر، وكان يحبها وهي من جواري الخليفة العباسى المأمون، وكان إبراهيم شديد الكلف بها، ويروي فيها الشعر من ذلك قوله:

زعموا أني أحب عَرِيباً صدقوا ذلك حباً عجيباً

حل من قلبي هواها محلا لم يدع فيه لخلق نصيباً

هي شمس والنساء نجوم فإذا لاحت أفلن غروبًا

انظر الكتبي، عيون التواريخ، ص١٥٩ وقد ذكر عبيد الله بن أحمد بن أبى طاهر أن عَرِيب توفيت في شهر ربيع الآخر سنة سبع وسبعين ومائتين. وذكر غيره أنها توفيت في سرمن رأي سنة ست وتسعين ومائتين انظر ابن الساعي ت ٦٧٤هـ: تاج الدين أبى طالب على بن أنجب المعروف بابن الساعي، نساء الخلفاء المسمي "جهات الأئمة الخلفاء من الحرائر والإماء" حققه وعلق عليه د/ مصطفي جواد، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٣م، ص٧٣.

بينهما فيقول[١]: اتصلت لعَرِيب أشغال دائمة في أيام عملها خارج بغداد وخدمتها هنالك، فلم يرها إبراهيم فكتب إليها:

إلى الله أشكو وحشتي وتفجعي وبُعد المدى بيني وبين عَرِيب

فكتبت إليه كتاباً تتشوقه وتخبره استيحاشها له واهتمامها بأمره، وأنها قد سألت الخليفة في أمره فوعدها ما تحب[٢]، وبذلك تمكن إبراهيم ابن المُدَبِّر من الخروج من الحبس على يد محمد بن عبد الله بن طاهر، وبشفاعة الجارية المغنية عَرِيب إلى المتوكل[٣].

وقيل إنه لما طال حبس إبراهيم ابن المُدَبِّر ولم يجد حيلة في الخلاص عمل أبياتاً أنفذها إلى المسدود الطنبوري وسأله أن يعمل بها لحنا ويغني بها المتوكل فإذا سأل عن قائلها عرَّفَهُ أنها له، ففعل المسدود ذلك وسأله المتوكل فقال لعبدك إبراهيم ابن المُدَبِّر فذكره فأمر بإطلاقه [٤]، والأبيات هي:

يـــأبى مـــن بـــات عنـــدي ∴ طارقـــاً مـــن غيـــر وعـــد

بـــات يشـــكو ألـــم الشـــو ∴ ق وأشـــكو فـــرط وجـــدي

كما أن خروج إبراهيم من البصرة والشعراء الذين قالوا شعراً في وداعه ومدحوه بهذه الأشعار لتؤكد أن الحالة التي خرج بها ابن المُدَبِّر لم تكن بعد حرب الزنج التي أُسر فيها إبراهيم وضُرب في وجهه وحبسه هو وزوجته وابن أخيه.

---

(١) الأصفهاني، الأغاني، ج٢٢، ص١٧٦.

(٢) النويرى ت ٧٣٣هـ: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب بالقاهرة، ٢٠٠٧ م، ط٣، ج ٢٥، ص١٠٥.

(٣) عمر فروخ، الأدب العربي، ج٢، ص٣٣٤ .

(٤) التنوخي، الفرج بعد الشدة، ج٢، ص١٢٤ .

٦- **إبراهيم ابن المُدَبِّر والياً على الثغور بعد سنة ٢٤١هـ/ ٨٥٥م :**

تولي إبراهيم ابن المُدَبِّر عقب خروجه من الحبس بعد عزله عن ولاية البصرة الثغور الجزرية فيروي الأصفهاني(١):" أخبرني جعفر بن قدامة قال: ولي إبراهيم ابن المُدَبِّر بعقب نكبته وزوالها عنه الثغور الجزرية (٢) فكان أكثر مقامه بمنبج (٣)

ثم استطرد الأصفهاني فذكر بعض القصائد التي جاءت على لسان إبراهيم نفسه والتي تثبت وجوده فعلاً بتلك الثغور ثم قال له جعفر: قرأت على ظهر دفتر فيه شعر إبراهيم ابن المُدَبِّر أهداه مجموعاً إلى أخيه أحمد فلما وصله قرأه وكتب عليه بخطة:

أبـــا إســـحاق إن تكـــن الليـــالي ∴ عطفـــن عليـــك بالخطـــب الجســـيم

فلـــم أرَ صـــرف هـــذا الـــدهر يجـــري ∴ بمـــــكروه علـــــى غيـــــر الكـــــريم

وهذا الشعر قاله أحمد ابن المُدَبِّر عندما كان إبراهيم محبوساً بأمر المتوكل، وأن عمله على الثغور قد انتهى قبل ٢٤٣ هـ وعاد للإقامة في سامراء كما سيأتي .

٧- **إبراهيم ابن المُدَبِّر مع محمد بن صالح الحسنى العلوى سنة(٢٤٣هـ /٨٥٧م) :**

كان محمد بن صالح الحسنى العلوى(٤) قد حبس في عهد المتوكل على الله، وبعد أن أُطلق من الحبس جاء إلى إبراهيم ابن المُدَبِّر، وحكى صاحب الأغانى على لسان

---

(١) الأصفهاني، الأغاني، ج٢٢، ص١٧٩.

(٢) الثغور الجزرية تشمل: انطاكية ومرعش، أيضا يقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص٢٠٥ .

(٣) من أعمال حلب شمال الشام " انظر ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٥٨٤ .

(٤) محمد بن صالح العلوى: القرشى من شجعان آل أبى طالب وأدبائهم وشعرائهم، خرج بسويقة المدينة سنة ٢٤٠هـ فأرسل إليه الخليفة العباسى المتوكل على الله جيشًا بقيادة أبي الساج فلما وصلوا إليه أعطوه الأمان فطرح سلاحه ونزل إليهم فقيدوه وخربوا سويقة المدينة وعقروا نخلها وحملوه إلى سمراء وسجن ثلاث سنين، ثم مدح المتوكل فأمر بإطلاقه فعاش فيها حتى مات . انظر أبو الفرج الأصفهاني ت ٣٥٦هـ: مقاتل الطالبيين، شرح وتحقيق السيد أحمد صقر، القاهرة، مطبعة عيسى الحلبي، ١٩٤٩ م، ص٦٠٠.

إبراهيم تلك الواقعة فقال[١]: " جاءنى يومًا محمد بن صالح الحسنى العلوى بعد أن أُطلق من الحبس فقال لى: إنى أُريد المقام عندك اليوم على خلوة لأبثك من أمرى شيئًا لا يصلح أن يسمعه غيرنا..... إلخ هذه الحكاية" .

لكن لم يحدد صاحب الأغانى تاريخ هذا اللقاء بينهما وأين كان؟، ولكن الذى حدد تاريخ حبسه والإفراج عنه هو المرزبانى في كتابه " معجم الشعراء[٢] " حيث يقول :" إن محمد بن صالح حمله المتوكل من البادية من الحجاز سنة أربعين ومائتين فيمن طلب من آل أبى طالب، فحُبس ثلاث سنين ثم أطلقه، فأقام بسُرمن رأى ثم رجع إلى الحجاز".

وبذلك يُفهم أنه حُبس سنة ٢٤٠هـ ثم أُفرج عنه سنة ٢٤٣هـ، وأنه لما خرج أقام بسامراء عند إبراهيم ابن المُدَبِّر، وأن الأخير توسط في زواج محمد بن صالح بعد رفض والد العروس له، وقد سجل الشاعر هذا في شعره[٣] .

وقد مدح محمد بن صالح إبراهيم ابن المُدَبِّر مدائح كثيرة لما أولاه من هذا الفعل ولصداقة كانت بينهما فمن جيد ما قاله [٤]:

أتخبر عنهم الدِّمن الدثور وقد يُنْبِى إذا سُئل الخبير

وكيف تبين الأنبـــاء دارٌ تعاقبها الشمائل والدَّبور[٥]

وهذه الواقعة تثبت وجود إبرهيم في سامراء وقتها، وبذلك نفهم أن إبراهيم ترك ولايته على الثغور قبل سنة ٢٤٣ هـ .

---

(١) أبو الفرج الاصفهاني، الأغاني، ج١٦، ص٣٩٣، ٣٩٤.

(٢) المرزبانى، معجم الشعراء، ص ٤٤٣.

(٣) الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص٦٠١ .

(٤) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٧، ٥٦.

(٥) الشمائل: الرياح الشمالية، والدبور: الرياح الغربية تقابل الصبا: وهى الرياح الشرقية .انظر المعجم الوسيط، ص ٤٩٤، ٢٦٩.

•وظائف إبراهيم ابن المُدَبِّر خلال عهدي الخليفة المهتدي بالله والمعتمد على الله:

١- إبراهيم ابن المُدَبِّر عامل الخراج بالأهواز ٢٥٦هـ-٢٥٧هـ/ ٨٦٩م - ٨٧٠م:

كان إبراهيم بن محمد ابن المُدَبِّر عاملاً على خراج مدينة الأهواز(١)، قبل سنة ٢٥٦ هـ وذلك حسبما ورد من أخبار ثورات الزنج(٢)، "وكانت بدايتها في أيام المهتدي بالله، حيث خرج صاحب الزنج، وسوف يكون لهم أخبار في أيام الخليفة المعتمد أيضا"(٣)، وقد تمكنوا من دخول مدينة الأهواز بعد أن هرب أهلها لما سمعوا بشأن تحولهم من عبدان إليها وهرب الجنود أيضا، ولم يبق إلا القليل منهم فدخلها الزنج وكان بها إبراهيم ابن المُدَبِّر عامل الخراج بها، فثبت فيمن كان معه من غلمانه وخدمه، فدخلوا المدينة فاحتووها وأسروا إبراهيم ابن المُدَبِّر بعد أن ضُرِبَ ضربة على وجهه، وحووا كل ما كان يملك من مال وأثاث ورقيق، وذلك يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر رمضان، سنة ست وخمسين ومائتين(٤)،

---

(١) الأهواز: هي مدينة نزهة جداً ليس في خوزستان مدينة أكثر نزاهة منها ذات نعم وفيره وشكل حسن، وخوزستان غربيها شيء من حدود العراق، انظر مؤلف مجهول ت عام ٣٧٢هـ، حدود العالم من المشرق إلى المغرب، تحقيق يوسف الهادي، دار الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٩/ ١٤١٩هـ، ص١٠٥.

(٢) ثورات الزنج: ثورات الزنج من الثورات الاجتماعية الخطيرة التي هزت كيان الدولة وأضعفت كثيراً من هيبة الخلافة، وعرفت باسم ثورة العبيد أو ثورة الزنج، وكان صاحب الزنج على ابن محمد قد أدعي أنه من ولد زيد بن على، وأعلن العصيان وانضم تحت لوائه العبيد فراراً من بؤسهم وذلهم، وقد أحرز الزنج الثائرون سلسلة انتصارات سريعة. انظر حسن أحمد محمود، حضارة الدولة الإسلامية " العصر الطولوني "، كلية الآداب، جامعة القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٩٨م، ص٦٢.

وكان صاحب الزنج قد قام بالثورة على الأُبُلَّة ودخلها عنوة سنة ٢٥٥هـ، ثم استولى على عبدان بعد أن استأمنه أهلها، وذهبوا للأهواز فأخذوا ما بها سنة ٢٥٦هـ، ثم دخلوا البصرة وقتلوا عددا كبيراً من أهلها سنة ٢٥٧هـ ثم قضى عليهم بها جيش الخليفة العباسي بقيادة إبراهيم بن سيما. انظر الطبري، تاريخ، ج٩، ص٤٧٢، أيضا ابن الأثير، الكامل، ج٦، ص٢٢٦.

(٣) ابن طباطبا، الفخري في الآداب السلطانية، ص١٨٠.

(٤) الطبري، نفسه، ج٩، ص٤٧٢، أيضا النويرى، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج٢٥، ص١١٥.

وقد ظل إبراهيم بن محمد ابن المُدَبِّر محبوساً بالأهواز تحت سيطرة الزنج ثم تمكن من الخلاص من الحبس[١]. هو وابن أخ له يقال له أبو غالب ورجل هاشمي كان معهما، وكان ذلك في رجب سنة ٢٥٧هـ .

وبالتالي يُثْبِت ذلك وجود إبراهيم ابن المُدَبِّر بالأهواز قبل سنة ٢٥٦هـ وحتي سنة٢٥٧هـ حسب رواية الأحداث السابقة وكان اتجاه الزنج بعد ذلك إلى مدينة البصرة[٢]، وقُضِي عليهم بها سنة ٢٥٧هـ[٣]. ومن ثم كانت هذه هى النكبة الثانية لإبراهيم ابن المُدَبِّر خلال حياته فهذا هو الحبس الثاني له؛ والذى كانت أحداثه في عهد الخليفة المعتمد على الله .

وقد مدح البحتري إبراهيم ابن المُدَبِّر بعد نجاحه في الفرار من حبس الزنج مهنئاً إياه حين فرَّج الله شدته وتمكن من نقب السجن والهرب، وذكر الضربة التي كانت في وجهه فقال[٤] :

ومبينة شهر المنازل وسمــها والخيل تكبو في العجاج الكابي

---

(١) خلاص إبراهيم من الحبس: ففي سنة ٢٥٧هـ كان خلاص ابن المُدَبِّر من صاحب الزنج وحبسه له، حيث كان محبوسا في منزل يحيى بن محمد البحراني، فضاق مكانه على البحراني فأنزله إلى بيت من أبيات داره، فحبسه فيه، وكان موكلاً به رجلين، ملاصقة مسكنهما المنزل الذي فيه إبراهيم ابن المُدَبِّر، فبذل لهما المال ورغبهما، فسربا له سرباً إلى الموضع الذي فيه إبراهيم من ناحيتهما (أي حفر له سرداباً لخارج المنزل)، فخرج هو وابن أخ له يقال له أبو غالب ورجل هاشمي كان محبوساً معهما، انظر الطبري، تاريخ، ج٩، ص٤٧٧، أيضا ابن الأثير، الكامل، ج٦، ص٢٢٩.

(٢) ابن الأثير، نفسه، ج٦، ص٢٣١.

(٣) أشرك الخليفة المعتمد أخاه الموفق طلحة في الأمر حتى يستعين به في مغالبة هذه الأحداث، ففي سنة ٢٥٧هـ قسم الدولة إلى قسمين وولى القسم الشرقي منها أخاه أبا الموفق طلحة، وهذا القسم يشمل الكوفة والحجاز والحرمين واليمن وبغداد وواسط والبصرة والأهواز وتمكن الموفق من تحقيق انتصار كبير عليهم. انظر ابن الأثير، نفسه، ج٦، ص٢٢٩.

(٤) البحتري، ديوان، ج٥، ص٢٧٧٤.

كانت بوجهك دون عرضك إذا رأوا إن الوجوه تصان بالأحساب

وهذه الأبيات تعبر عن حال إبراهيم بعد الهرب وأنه كان يوجد شج في وجهه، وأنه صمد للحرب ومقاومة الزنج حتى يزود عن امرأته وجميع الخدم والغلمان الذين معه، ولم يهرب من المدينة كما فعل غيره من السكان وذكر هذه القصة أيضا التنوخي في كتابه الفرج بعد الشدة(١).

وقد وصف ابن المعتز ما فعله صاحب الزنج بالمدن التي دخلها فقال(٢):

فخرب الأهواز والأُبُلَّه وواسطاً قد حل فيه حله

وتكر البصرة من رماد سوداء لا توقن بالميعاد

فواحد يُشْدَخ بالعمود وواحد يدخل في السفور

وهذه الأبيات تعكس ما وقع للبلاد ومن بينها البصرة والأهواز من تدمير وهلاك على يد صاحب الزنج، والقضاء على معالمها الاقتصادية والثقافية، وقد لاقت أعمال الإحراق والتنكيل التي قام بها الزنج إدانة عامة(٣). والبيت الأخير يتكلم عن إبراهيم ابن المُدَبِّر الذي شدخ في وجهه نتيجة لضربة العمود على رأسه.

ومن الذين مدحوا إبراهيم ابن المُدَبِّر أيضا بمناسبة هروبه من سجن الزنج سنة ٢٥٧هـ ابن الرومي، ولكن يبدو أن إبراهيم ابن المُدَبِّر لم يكن كريماً مع ابن الرومي بحيث يمنحه جائزة سخية على مديحه، ولعله بحكم شاعريته خاض في نقد شعر ابن الرومي

(١) التنوخي، الفرج بعد الشدة، ج٢، ص١٨-١٩.

(٢) ابن المعتز، ديوان ابن المعتز، دار صادر، بيروت، ص٤٨٥.

(٣) محمد نجيب أبو طالب، الصراع الاجتماعى في الدولة العباسية، تقديم د/الطاهر لبيب، دار المعارف للطباعة والنشر، سوسة، الجمهورية التونسية، ١٩٩٠، ص ٢١١.

ولهذين السببين استحق الهجاء وأخذ يطالبه ابن الرومي في هجائه برد قصائد مديحه فيقول له[١]:

أردِدْ عليَّ قراطيسى ممزقةً [٢] كيما تكون رؤوساً للدَّساتيج

فإن ذلك أدني من تشاغلها بحفظ مدحك ياعلج الفلاليج [٣]

٢- **إبراهيم ابن المُدَبِّر وزيرًا للمعتمد على الله حوالى سنة "٢٦٣هـ/٨٨٢م" :**

لم يرد ذكر تولي إبراهيم ابن المُدَبِّر منصب الوزارة خلال فترة الخلفاء العباسيين الذين عاصرهم قبل المعتمد على الله، لكن كان التأكيد على توليه هذا المنصب في عهد المعتمد على الله.

وعلى الرغم من الإشارة الصريحة والواضحة إلى توليته الوزارة إلا أن المصادر التاريخية لم تحدد تاريخ هذا المنصب بصورة مباشرة كما فعلت في كثير من الأحيان مع غيره من الوزراء.

ولذلك فقد وقع خلط كبير بين هذه المصادر سواءً التي تناولت أخبار هذه الفترة بشكل عام أو التي ركزت على تاريخ الوزراء بشكل خاصة.

---

(١) ابن الرومي ت٢٨٣هـ: أبو الحسن علي بن العباس بن جريج، ديوان ابن الرومي، شرح أ / أحمد حسن بَسجَ، دار الكتب العلمية، بيروت، ج١، ط٣، ٢٠٠٢م، ص٢٩٣، أيضا السيد محسن الأمين، ت ١٣٧١، أعيان الشيعة، حققه وأخرجه وعلق عليه السيد حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ١٩٨٣م، ج٨، ص٢٥٦.

(٢) قراطيس :جمع قرطاس وهو الورق – والدساتيج جمع دستيجة وهي الرزمة، ديوان ابن الرومي، هامش ٢٩٣ .

(٣) العِلج: الرجل الضخم من كفار العجم – الفلاليج – جمع فلوجة وهي الأرض الصالحة للزراعة وهي موضع بسواد العراق، انظر ابن الرومي، ديوان، هامش ٢٩٣.

ومـن هنـا كـان لابـد مـن خـلال سـرد أحـداث هـذه الفتـرة وأيضـا بالاسـتعانة بـبعض الإشارات التاريخية التي تذكر سنة وصول هؤلاء الوزراء إلى الوزارة، فقد حاولت أن أصل إلى فترة تولى إبراهيم للوزارة؛ لذلك فقد قمت بالمقارنة بينه وبين السابقين عليه والتالين له من هؤلاء الوزراء للوصول إلى أقرب تاريخ لتوليه هذا المنصب، فوجدت أن هناك فترتان خلال عهد المعتمد يمكن من خلالهما معرفة وضع إبراهيم ابن المُدَبِّر بالنسبة لمنصب الوزارة :

الفترة الأولى: من سنة ٢٦٣هـ حتى سنة ٢٦٦هـ .

الفترة الثانية: من سنة ٢٦٩هـ حتى سنة ٢٧٢هـ .

أما الفترة الأولى فقد حددتها بسنة ٢٦٣هـ لأن هذه السنة هي التي استُدعي فيها إبراهيم ابن المُدَبِّر للوزارة إلا أنه استعفي لكثرة المطالبة بالأموال(١)، فقد كان المتبع في أحيان كثيرة دفع مبالغ كبيرة في نظير تولى بعض هذه المناصب السياسية والإدارية المهمة(٢)، ولذلك فقد وجدنا كثرة الوزراء(٣) خلال فترة المعتمد ومن جاء بعده ومنهم من جمع بين الوزارة والكتابة ومنهم من انفرد بالوزارة دون الكتابة.

(١) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٣، ص١٢٥، أيضا المقريزي، المقفي الكبير، ج١، ص٣٠٩، أيضا الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٢، ص٢٥٧.

(٢) وترجع كثرة الوزراء في هذه المدة إلى سبب رئيسي هو المال وطريقة الحصول عليه، لإشباع نهم أهل القصر، وغلمان الأتراك والقواد، فقد كان الخاطبون للوزارة يتنافسون في اتخاذ الصنائع عند هؤلاء الأتراك، وقهرمانات دار الخلافة، وأمهات الخلفاء ليذكروهم عند الخليفة، وليساوموه على مقدار المال الذي يبيع به منصب الوزارة لمن يطلبه، فإذا تحققت قدرة الطامع في الوزارة على ما تصبوا إليه نفس الخليفة من الأموال قلده الوزارة، وأذن له في مناظرة الوزير السابق، ومطالبته بالأموال التي جمعها في وزارته. انظر الجهشياري، كتاب الوزراء والكتاب، ص١٠من مقدمة المحققين.

(٣) كان الوزير أحياناً يكتب خطاً على نفسه بمقدار المال الذي سيدفعه ومن أمثلة ذلك ما فعله الوزير القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب عندما تولى الوزارة للخليفة المعتضد كتب خطاً على نفسه بألفي ألف دينار فاستوزره المعتضد. انظر ابن طباطبا، الفخري، ص١٨٧.

ففي سنة ٢٦٣هـ كان ابن المُدَبِّر في رتبة الوزراء إلا أنه رفض تولي هذا المنصب كما ذكرت، لذا فقد استكتبه المعتمد لابنه المفوض[١]، وضم إليه الدواوين[٢]، وربما كان استدعاء إبراهيم ابن المُدَبِّر لتولي الوزارة في هذه السنة راجعاً إلى وفاة الوزير المخضرم عبيد الله بن يحيى بن خاقان[٣]في تلك السنة.

أما سنة ٢٦٦هـ التي حددتها نهاية المدة الأولى المحتمل وزارة ابن المُدَبِّر بها فهي السنة التي ذكر البعض أن إبراهيم ابن المُدَبِّر قد تولى فيها الوزارة بعد وفاة أحمد بن صالح بن شيرزاد[٤]، والذي مكث في الوزارة شهراً واحداً ثم مات سنة ٢٦٦هـ[١]، وقيل بل عمل بالوزارة لمدة خمسة وأربعين يوماً وتوفي[٢].

---

(١) ولى الخليفة المعتمد ابنه جعفراً العهد سنة ٢٦١ هـ، ولقبه المفوض إلى الله .انظر ابن العمرانى، الإنباء في تاريخ الخلفاء، ص١٣٨، أيضا ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٣، ص٢٤.

(٢) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٢، ص٢٥٧، أيضا المقريزي، المقفي الكبير، ج١، ص٣٠٩، ففي سنة ٢٦٣هـ استوزر الخليفة المعتمد الحسن بن مخلد بعد موت عبيد الله بن يحيى بن خاقان، ولما قدم موسى بن بغا إلى سامراء هرب الحسن المذكور، واستوزر مكانه سليمان بن وهب في ذى الحجة سنة ٢٦٣هـ . انظر ابن تغرى بردى، النجوم، ج٣، ص٣٧.

(٣) عبيد الله بن يحيى بن خاقان: الأمير التركي الذي وزر للمتوكل، وما زال على الوزارة حتى قتل المتوكل، ولم يزل المنتصر تحرضه الناس ضده بعد مقتل المتوكل، ويؤكدون له ميله للمعتز حتى هم بقتله، ثم إنه نفاه وأبعده إلى أقريطش ثم نفاه المستعين إلى برقة، ثم قدم ووزر للمعتمد وظل بالوزارة حتى مات، انظر ابن العمراني، نفسه، ص٢٨٩، أيضا ابن سعيدالأندلسي ت٦٨٥ هـ: أبو الحسن نور الدين علي، المُغْرِب في حُلَي المَغْرِب، عني بنشره والتعليق عليه د/ زكي محمد حسن، د/ سيدة الكاشف، الجزء الأول، القسم الخاص بمصر، القاهرة، ط٣، ١٩٥٥ م، ص٧٤.

وقد وزره للمعتمد أخوه الموفق طلحة، فقد كان هو المسئول على الخلافة فكان يعزل الوزراء ويوليهم حتى توفي سنة ٢٦٣هـ، انظر ابن طباطبا، الفخري، ص١٨٤، أيضا ابن العمراني نفسه، ص١٣٩، وقيل إن سبب وفاته أنه مات بالميدان قد صدمه خادم له، فسقط عن دابته ومات لوقته. انظر ابن الأثير، الكامل، ج٦، ص١٥، أيضا الذهبى، سير أعلام النبلاء، ج١٣، ص٩.

(٤) أحمد بن صالح بن شيرزاد ت سنة ٢٦٦هـ، تولى الوزارة للخليفة المعتمد. انظر الصابي، الوزارة، ص٨٩، ٩٠، وكان جده عبد الله بن محمد وزيراً أيضا للخليفة المستعين، وعمل على ضبط الأموال ←←←

وبـالنظر إلـى الـوزراء الـذين تولـوا خـلال عهـد المعتمـد حسـبما ورد فـي بعـض هـذه المصادر التاريخية، نجد أن بعضها لم يذكر أسماء هؤلاء الوزراء جميعاً[٣]، ويبدو لـي أنهم أَسقطوا مَنْ تواريخهم من كانت وزارته أياماً معدودة، ولم تذكر أيضا هذه المصادر إبراهيم ابن المُدَبِّر ضمن وزراء الخليفة المعتمد على الله.

وهناك من المؤرخين من ذكروا إبراهيم ابن المُدَبِّر ضمن وزراء الخليفة المعتمد لكنهم اختلفوا في عددهم ؛ فمنهم من يرى أنهم كانوا ثمانية وزراء فقط، وجعل إبراهيم ابن المُدَبِّر آخر هؤلاء الوزراء، ولم يذكر تكرار تولية الوزارة لأي منهم[٤].

←←←

فصعب ذلك على أمراء الدولة وضيق عليهم فتهددوه بالقتل فهرب إلى بغداد في شعبان سنة ٢٤٩هـ، لما غضب عليه حزب بغا الصغير، وكان البحتري قد مدحه بقصيدة عند توليه الوزارة للمستعين بعد مقتل أتامش وشجاع. انظر ابن طباطبا، نفسه، ص١٧٧، أيضا البحتري، ديوان، ج٢، ص٦٨٥، وكان أبو جده محمد بن يزداد وزيراً للخليفة المأمون أيضا لكن البحتري قام بهجاء أحمد بن صالح وولده سنة ٢٦٥هـ، قبل توليه الوزارة للمعتمد، أي أنه هجاه وهو كاتب، انظرالبحتري، ديوان، ج٢، ص٩٢٣.

(١) ابن طباطبا، الفخري في الآداب السلطانية، ص١٨٦.

(٢) ابن الكازرونى ت ٣٩٧ هـ: الشيخ ظهير الدين علي البغدادي، مختصر التاريخ، حققه وعلق عليه د/مصطفي جواد، دار اقرأ، بغداد، ١٩٧٠ م، ص١٦٣.

(٣) من هذه المصادر التي لم تأتِ بذكر جميع الوزراء في عهد الخليفة المعتمد ولم تذكر تاريخ توليهم كتاب "رأس مال النديم في تواريخ أعيان أهل الإسلام"، تأليف أبو العباس أحمد بن بابه الغاشي ت ٥١٠هـ/ ١١١٦م، دراسة وتحقيق د/ محمد عبد القادر فرسان، مركز زيدان للتراث والتاريخ، الجامعة الأوربية، طبعة أولي ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م، ص ١٠٥، أيضا القضاعى ت ٤٥٤ هـ: محمد بن سلامة بن جعفر الشافعي، أبو عبد الله، كتاب عيون المعارف، وفنون أخبار الخلائف، دراسة وتحقيق جميل عبد الله المصري، ١٩٩٥ م، ص ٤٧٨.

(٤) الأريلي، خلاصة الذهب المسبوك مختصر من سير الملوك، مرخص من مجلس معارف الولاية، ص١٧٢.

وهؤلاء الوزراء على الترتيب هم:

١- عبيد الله بن يحيى بن خاقان .

←←←

وهناك من عَدَّدَ هؤلاء الوزراء وذكرهم ستة وزراء، وكان إبراهيم الوزير الأخير منهم، وهم جميعاً كان يوليهم الموفق ومرجعهم إليه " [١]. وبعضهم ذكرهم تسعة وزراء[٢]، وذكر تولي هؤلاء الوزراء التسعة مرة واحدة فقط، وهناك اثنان آخران من الوزراء تولى أحدهما الوزارة مرتين وهو الحسن بن مخلد[٣]، والوزير الآخر تولى الوزارة ثلاث مرات وهو أبو الصقر إسماعيل بن بلبل ت٢٨٧هـ[٤].

→→→

٢- محمد بن الجراح .

٣- سليمان بن وهب .

٤- الحسن بن مخلد

٥- إسماعيل بن بلبل

٦- أحمد بن صالح بن شيرزاد

٧- صاعد بن مخد

٨- أبو إسحق إبراهيم ابن المُدَبِّر

(١) ابن العمراني، الإنباء في تاريخ الخلفاء، ص١٣٩، وذكرهم على الترتيب وهم:

١- عبيد الله بن يحيى بن خاقان.

٢- الحسن بن مخلد.

٣- سليمان بن وهب.

٤- إسماعيل بن بلبل.

٥- صاعد بن مخلد.

٦- إبراهيم ابن المُدَبِّر .

(٢) الكازروني، مختصر التاريخ، ص١٦٣.

(٣) الحسن بن مخلد ت٢٦٩هـ: استوزره المعتمد، فكان يعمل كاتباً للموفق ووزيراً للمعتمد وكان ذلك سنة ٢٦٣هـ بعد وفاة عبيد الله بن يحيى بن خاقان. انظر ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٣، ص٤٥، ولما قدم موسى بن بغا خاف منه وهرب في ٢٧ ذى القعدة سنة ٢٦٣هـ إلى بغداد .انظر الطبرى، تاريخ، ج٩، ص٥٣٢، وقد عزل عن الوزارة قبل وفاته بحوالي خمس سنوات.

(٤) أبو الصقر إسماعيل بن بلبل: استوزره الموفق لأخيه المعتمد، فكانت وزارته الأولى سنة ٢٦٥هـ، والثانية سنة ٢٦٦هـ، ولم يزل في الوزارة في المرة الثالثة إلى أن توفي سنة ٢٧٨هـ، وبعد قليل قبض عليه ←←←

أما الفترة الثانية وهي سنة ٢٦٩هـ وحتى سنة٢٧٢هـ

فالسنة الأولى في هذه الفترة هي سنة ٢٦٩هـ وهي السنة التي خلع فيها المعتمد على إبراهيم ابن المُدَبِّر بالوزارة عند خروجه للقاء ابن طولون ورغبة الخليفة في المجيئ مع ابن طولون إلى مصر(١)، فلما وصل الخليفة إلى تكريت خلع عليه المعتمد، ودفع إليه ثلاثمائة ألف دينار، وقال لمن معه ما استوزرت بعد عبيد الله بن يحيى وزيراً أرضاه غير الحسن بن مخلد وإبراهيم ابن المُدَبِّر(٢).

لكن يبدو أن إبراهيم ابن المُدَبِّر لم يتولَ مهام الوزارة سنة ٢٦٩هـ بعد أن خلع عليه المعتمد بها، وذلك لما حدث من أمور سياسية أجَّلت قيامه بتلك المهام، "وكان وزيره على بغداد حينئذ صاعد بن مخلد(٣)، والأمير الناصر لدين الله أبو أحمد طلحة بن المتوكل، وولي عهد المسلمين على حرب الزنج"(١).

المعتمد، وحبسه ثم قتله في محبسه. انظر ابن طباطبا، الفخري، ص١٨٤، أيضا الكازروني، مختصر التاريخ، ص١٦٣، وقيل إن المعتضد لما ولي الخلافة حبس أبا الصقر إسماعيل ثم قتله واستصفى أمواله .انظر الطبرى، ج٩، ص٥٤٤.

(١) يذكر البلوي أنه سنة ٢٦٩هـ قد ورد كتاب طيفور إلى أحمد ابن طولون بخروج المعتمد إليه.. وأخرج معه أخاه أبا عيسى وإبراهيم ابن مُدَبِّر وأحمد بن خاقان، ولما علم الموفق بذلك أرسل إلى إسحاق بن كنداج والي الموصل يأمره بإرجاع الخليفة المعتمد.انظر البلوي توفي في القرن الرابع الهجري: أبو محمد عبد الله بن محمد المدائني، سيرة أحمد ابن طولون، حققها وعلق عليها محمد كرد علي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهره، ١٩٨٨م، ص٢٩٠، وقيل إن المعتمد خرج ومعه إبراهيم ابن المُدَبِّر في أربعة آلاف فارس يريد مصر في هيئة متصيد وذلك سنة ٢٦٩هـ، انظر المقريزي، المقفي الكبير، ج٢، ص٤٤٦.

(٢) الأريلي، خلاصة الذهب المسبوك، ص١٧٢، أيضا المقريزي، نفسه، ج١، ص٣٠٩.

(٣) صاعد بن مخلد ت سنة ٢٧٢هـ: الوزير الكبير والكاتب، أسلم وكتب للموفق ثم تولى الوزارة للمعتمد سنة ٢٦٥هـ بعد نفي أبي الصقر إسماعيل بن بلبل بعد وزارته الثانية، وقبض عليه الموفق سنة ٢٧٢هـ، وصادر أملاكه كلها، وبقي في سجنه حتى مات سنة ٢٧٥هـ، وقيل بل نقل إلى داره في بغداد ومات فيها سنة ٢٧٦هـ، انظر ابن الجوزي ت ٥٩٧ هـ: أبو الفرج عبد الرحمن بن علي، المنتظم في تاريخ الملوك

"ولما وصل الخليفة ومن معه إلى الموصل قبض عليه إسحاق بن كنداج متولي الموصل وديار ربيعة فقبض على قواد المعتمد، وأراد القبض على إبراهيم فلم يمكنه، وعاد المعتمد من الموصل إلى سرمن رأي، فاستتر إبراهيم بسرمن رأي إلى أن ظفر به الوزير أبو العلاء صاعد بن مخلد الذي توفي سنة ٢٧٥هـ فحدَّره إلى بغداد وحبسه"[٢]، وقيل بل قبض على إبراهيم ابن المُدَبِّر وجميع القواد الذين معه على يد إسحاق بن كنداج في الموصل وظل يوبخهم على فعلتهم[٣]، وظل في الحبس إلى أن رضي عنه الموفق، وأفرج عنه بعد مُديدة وخلع عليه وقلده الأعمال سنة ٢٦٩هـ.

معني ذلك أن فترة حبس إبراهيم ابن المُدَبِّر لم تطل حيث أنه خلع عليه بالوزارة في هذه السنة ثم حبس فيها أيضا، ثم أفرج عنه بعد قليل، وخلع عليه بأعمال أخرى مثل تولية الدواوين أو غيرها؛ لأن صاعد بن مخلد ما زال على الوزارة. أما السنة الثانية التي حددتها في هذه الفترة الثانية لوزارة ابن المُدَبِّر هي سنة ٢٧٢هـ ولم يتول إبراهيم منصب الوزارة إلا بعد أن عُزِل منها صاعد بن مخلد في هذه السنة وكانت مدة وزارة إبراهيم وقتها فترة قصيرة حيث عزل منها وجاء بعده أبو الصقر إسماعيل بن بلبل للوزارة للمرة الثالثة له سنة ٢٧٢هـ.

→→→

والأمم، دراسة وتحقيق محمد عبد القادر عطا، ط ١، بيروت، ج١٢، ص٧٥. ، أيضا الكازروني مختصر التاريخ، ص١٦٣، أيضا ابن الرومي، ديوان، ص١٧، ولقَّب الموفق صاعد بن مخلد '' ذا الوزارتين'' وهذه إشارة إلى وزارته للمعتمد والموفق أو إلى جمعه بين السيف والقلم .انظر القضاعى، عيون المعارف، ص٤٧٥.

(١) المقريزي، المقفي الكبير، ج١، ص٣٠٩.

(٢) الزركلي، الأعلام، ج١، ص٦٠، أيضا المقريزي، المقفي الكبير، ج١، ص٣١٠، وعن حبس إبراهيم ابن المُدَبِّر. انظر الصابيء ت٤٤٨هـ:أبو الحسين هلال بن المحسن، الوزراء أو تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، مكتبة الأعيان، القاهرة، ص٣١.

(٣) البلوى، نفسه، ص٢٩٢.

ولعل ما يؤكد توليه هذا المنصب للمرة الثالثة بعد عزل ابن المُدَبِّر هو ما ذكره صاحب الأغاني[١]، "أن إبراهيم ابن المُدَبِّر كان صديقاً للوزير أبى الصقر إسماعيل بن بلبل، ولم يرضَ فعله لما نكب ولا نيابته عنه في منصبه حيث قال فيه:

يا أبا الصقـر سقـاك اللـ ـه تهـتانا ورواء[٢].

وأدام الله نعـمـا ك، وملاك البقـاء

لم تجاهلـت ودادي وتناسـيت الإخـاء؟

وهذه الأبيات إذاً تؤكد عزل إبراهيم ابن المُدَبِّر وولاية أبى الصقر للوزارة بعده وإذا كان أبو الصقر إسماعيل بن بلبل قد تولى الوزارة للمعتمد ثلاث مرات، وكانت المرة الأولى له سنة ٢٦٥هـ[٣]، ثم عزل وجاء الحسن بن مخلد فبقي دون شهر وعزل، ثم جاء أبو بكر أحمد بن صالح بن شيرزاد القطربلي الكاتب سنة ٢٦٥هـ وكانت وزارته خمسة وأربعين يوماً وتوفي سنة ٢٦٦هـ فأعاد أبا الصقر بن بلبل للمرة الثانية ؛ يعني في حدود سنة ٢٦٦هـ ثم أبا العلاء صاعد بن مخلد ثم عزله سنة ٢٧٢هـ فوزر له بعده أبو إسحاق إبراهيم ابن المُدَبِّر وعزل، وأعيد بعده أبو الصقر للمرة الثالثة[٤]، وكانت وزارة أبي الصقر هذه المرة سنة ٢٧٢هـ، ولم يزل على الوزارة إلى أن توفي الموفق بالله سنة ٢٧٨هـ، ثم قبض عليه المعتمد بعد وفاة الموفق وحبسه وعذَّبه حتى مات[٥]، فمعني ذلك أن إبراهيم عزل سنة ٢٧٢ هـ وهي نفس السنة التي تولى فيها أبو الصقر.

---

(١) الأغاني، ج٢٢، ص١٨٧.

(٢) التهتان: المطر المتواصل، رواء: مروياً. المعجم الوسيط، ص٩٢.

(٣) ابن الرومي، ديوان، ص١٧، ويؤكد وجود إسماعيل بن بلبل في الوزارة سنة ٢٦٥هـ تلك القصيدة التي مدح فيها البحتري سعد الحاجب في هذه السنة عندما كان يحجب لإسماعيل بن بلبل أثناء وزارته. انظر البحتري، ديوان، ج٢، ص٨٩٨.

(٤) ابن الكازروني، مختصر التاريخ، ص١٦٣، أيضا الصابئي، الوزراء، ص٨٢، ٢٨٤.

(٥) ابن العمرانى، الإنباء، ص٢٩٠.

٣- **تقلد إبراهيم ابن المُدَبِّر ديوان الضياع سنة " ٢٧٨هـ / ٨٩١م " :**

تولي إبراهيم ابن المُدَبِّر ديوان الضياع سنة ٢٧٨هـ فقد قيل: "إن إبراهيم مات وهو يتولي ديوان الضياع للخليفة المعتضد بالله "[١].فقد ذكر المرزباني: " أن عبيد الله بن سليمان ت ٢٨٨هـ قَلَّد إبراهيم ابن المُدَبِّر ديوان الضياع في سنة ثمان وسبعين ومائتين"[٢].

وكان إبراهيم بعد توليه هذه الوظيفة قد قام بإنقاص أرزاق الكُتَّاب، ثم توفي عقب ذلك، فقال فيه محمد بن على بن عثمان الماسح أحد الكُتَّاب[٣].

إن تولي مقال ذو إشقاق منذر من لقاء يوم التلاقي

من يري نقص كاتب من عطاء ذا ما ذاقه أبو إسحاق

منعوه الحياة إذا منع الرز ق كذا كل مانع الأرزاق

وما يؤكد أيضا اشتغال إبراهيم ابن المُدَبِّر في ديوان الضياع سنة ٢٧٨هـ ما ذكر عن أبى العيناء الشاعر ت ٢٨٢ هـ [٤]، أنه شكا تأخر أرزاقه إلى عبيد الله بن سليمان[٥]، فقال

---

(١) الطبري، تاريخ، ج١٠، ص٣١، أيضا ابن الأثير، الكامل، ج٦، ص٣٧٣.

(٢) المرزباني، معجم الشعراء، ص٤٧٤.

(٣) الماسح: هو أبو عبد الله بن الماسح كان في عهد الوزير على بن عيسى داود الجراح والمعتز. الصابيء، الوزراء، ص٣٠٣.

(٤) أبو العيناء الشاعر: هو محمد بن القاسم بن ياسر بن سليمان أبو عبد الله المعروف بأبي العيناء، حدث عنه الصولي وابن نجيح وآخرون، وكان فصيحاً بليغاً من ظرفاء العالم، انظر ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج٦، ص٦٠٢، أيضا ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج٥، ص١٥٨.

(٥) عبيد الله بن سليمان: ولي عبيد الله بن سليمان بن وهب الكتابة للمفوض ابن الخليفة المعتمد، وأيضا للموفق أخيه، وكان أبيه سليمان قد استوزره المعتمد ثم غضب عليه وحبسه وانتهب داره، وكان الموفق حينما شخص من بغداد كان معه عبيد الله بن سليمان. انظر الطبري، نفسه، ج٩، ص٢٣٢، وقد تولي عبيد الله بن سليمان الوزارة سنة ٢٧٨، لثلاث بقين من صفر للخليفة المعتضد بالله عند البيعة له، الطبري، ج١٠، ص٢٢، أيضا التذكرة الحمدونية، ج٢، ص١١٣.

فقال لـه: ألم نكن كتبنا لك إلى ابن المُدَبِّر، فما فعل في أمرك؟ قال:" جرني عن شوك المطل، وحرمني ثمرة الوعيد، فقال: أنت اخترته، فقال: وما على وقد اختار موسى قومه سبعين رجلاً فما كان منهم رجل رشيد.. الخ الحوار".[١] ولما كان عبيد الله بن سليمان قد تولى الوزارة سنة ٢٧٨هـ للمعتضد، فهذا يثبت أن ذلك الحوار كان أثناء تولية ابن المُدَبِّر على ديوان الضياع، وقد توفي إبراهيم ابن المُدَبِّر في شوال من هذه السنة ٢٧٩هـ وهو يلي ديوان الضياع"[٢].

احتجاب إبراهيم ابن المُدَبِّر :

كان إبراهيم ابن المُدَبِّر يحتجب عن الناس، وكان حاجبه يُسمَي بشر بن الفرج، وكان هذا الحاجب مكروها في الغالب من أصحاب إبراهيم ابن المُدَبِّر على وجه الخصوص، وكانوا في الغالب يقولون فيه شعراً يحمل كثيراً من اللوم والهجاء بسبب هذا المنع.

ولابد أن يكون احتجاب إبراهيم ابن المُدَبِّر أثناء توليه لأي وظيفة سواء سياسية أم إدارية يعني أثناء ولايته للوزارة أو أثناء توليه لبعض الدواوين، ولعله يكون فيه فائدة تاريخية في معرفة تاريخ بعض هذه الوظائف من خلال الشعراء الذين تضرروا كثيراً من احتجابه عنهم فمن هؤلاء الشعراء:

١- الشاعر العطوي الذي قال[٣]: أتيت إبراهيم ابن المُدَبِّر فاستأذنت عليه، فلم يأذن لي حاجبه، فأخذت ورقة وكتبت فيها:

أتيتك مشتاقاً فلم أرَ جالساً ولا ناظراً إلا بوَجْهٍ قَطُــوب

(١) ياقوت الحموي، نفسه، ج٥، ص٣٩٧

(٢) الطبري: ج١٠، ص٣١، أيضا فوات الوفيات، ج١، ص٤٥، أيضا السيد محسن الأمين، أعيان الشيعة ج٨، ص ٢٥٦.

(٣) الشاعر العطوى: كان في عهد المتوكل وهو محمد بن عبد الرحمن بن أبى عطية.انظر المرزبانى، معجم الشعراء، ص ٤٤٠.

كأني غريمٌ مقتض أو كأنني نهوضُ حبيبٍ أو حضور رقيب

فسألت الحاجب حتى أوصلها إليه، فلما قرأها قال:ويحك ادخلْ عليَّ هذا الرجل، فدخلت فأكرمني وقضى حوائجي(١).

وإذا نظرنا إلى الشاعر العطوي السابق الذكر نجد أنه ولد ونشأ بالبصرة ثم قَدِمَ سامراء وفيها بدأ العطوي في نظم الشعر، وكان للعطوي صيت ذائع في خلافة المتوكل وفي سامراء توثقت صلته بالوزير أحمد بن الخصيب(٢).

ومن هنا يمكن القول بأن اتصاله بإبراهيم ابن المُدَبِّر كان أثناء وجود الأخير في سامراء ويمكن تحديد فترة التواصل بينهما منذ سنة ٢٤٣ هـ عندما كان إبراهيم مقيماً بسُرَ من رَأي وقابله محمد بن صالح العلوي .أما عن تاريخ وفاة الشاعر العطوي فقيل إنه توفي سنة ٢٥٠هـ، وقيل بل كانت وفاته سنة٢٦٥هـ (٣) ".

٦–وروى محمد بن داود لأحمد بن الحارث في إبراهيم ابن المُدَبِّر وحاجبه بشر أيضًا:

وجه جميل وصاحب صَلِف كذاك أمر الملوك يختلف

فأنت تَلْقَي بالبشر واللطف وبشر يلقاهم به جّنَفُ(٤).

وقال أحمد بن الحارث في بشر حاجب إبراهيم ابن المُدَبِّر أيضاً:

(١) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج١، ص١٠٣.

(٢) خير الدين الزركلي ت ١٣٩٦ هـ: الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الخامسة عشر، ٢٠٠٠م، ج٦، ص١٨٩. وكان أحمد بن الخصيب يحرك الدسائس فأغضب عليه الموالي في جمادى الأولى سنة٢٤٨هـ فصرف عن الوزارة واستصفي ماله، ونفي إلى جزيرة أقريطش. انظر البحتري، ديوان، ج٥، ص٢٧٦١.

(٣) عمر فروخ، الأعصر العباسية، ص٣٢.

(٤) ياقوت الحموي، نفسه، ج١، ص٢٢٩.

قد تركناك لبشر وتركنا لك بشراً

٧-وهناك الشاعر أبو العنبس محمد بن إسحاق بن إبراهيم أحد أدباء الملحاء ت ٢٧٥هـ وهو القائل يهجو احتجاب إبراهيم ابن المُدَبِّر [١] :

أسلُ الذي عطف الموا كب بالأعِنة نحــو بابك

وأذل موقفي العــزيـ ز على وقوفي في رحــابك

ألا يطيل تجرعـــي غصـص المنية من حجابك

فمعنى ذلك أن هذا الهجاء كان قبل سنة ٢٧٥هـ .وكان الشاعر أبو العنبس قد ولي قضاء صيمرة[٢] فنسب إليها.

(٣) أبو غالب ابن أخي إبراهيم ابن المُدَبِّر : عاصر أحداث سنة(٢٥٧هـ/٨٧٠م)

هو أبو غالب بن أحمد ابن المُدَبِّر وأبو غالب هذا اشتهر بكنيته في جميع المصادر ولم يذكر له أي اسم، فالبحتري[٣]

الذي مدحه في ثلاث قصائد لم يسمه إلا بالكنية فقط، ومن ذلك قول البحتري فيه: [٤]

مَن مُخبِري بابن المُدَبِّر والوَغي تُسجِي أواخر قَسطل مُنجَابِ

غَضبَان تُجلَي عن وقائع سيفهِ عَكَرَاتُ حُمس في الحديدِ غِضَابِ

ومن خلال هذه الأبيات يمكن القول بأنه كان يعمل عملاً عسكرياً ضمن جيش عمه إبراهيم أو ربما كان يعمل كاتباً مع عمه إبراهيم أو أي عمل آخر مساعدا لعمه حينما كان

(١) المرزباني، معجم الشعراء، ص ٤٥٧.

(٢) صيمرة: بالفتح، وفتح الميم ثم راء، كلمة أعجمية، وهي في موضعين: أحدهما بالبصرة على فم نهر معقل وبها عدّة قري، انظر ياقوت، معجم البلدان، ج ٣، ص ٤٣٩ .

(٣) البحتري: ديوان، ج٢، ص٢٨٩، ص٢٣٠٣، ٢٣٠٨، ٢٣٩٧ -٢٤٠٠ .

(٤) البحتري، نفسه، ج٢، ص٦٥٥ .

موجودا بالبصرة وقت دخول الزنج إليها، وتمكن من الفرار مع عمه إبراهيم من حبس صاحب الزنج كما ذكرت من قبل(١).

وتحدث ابن الآبار عن شخص أرسل رسالة استعطاف لأبي غالب فقال(٢) :" كتب بعض الكتاب إلى أبي غالب ابن أخي إبراهيم ابن المُدَبِّر رسالة جاء فيها " وجدت استصغارك لعظيم ذنبي أعظم لقدر تجاوزك عني، ولعمري ما جَلّ ذنبٌ يقاس إلى فضلك، ولا عظم جرم يُقاس إلى صفحك ..... الخ الرسالة " .

وهذه الرسالة توضح مكانة أبي غالب الكبيرة والتي جعلته يصفح ويعفو عن صاحبها لكن لم نعلم منها أية تفاصيل عن طبيعة وظيفته لكنها في مجملها تشير إلى تولية صاحبها عملاً ما تحت إشراف أبو غالب ابن المُدَبِّر حيث يقول له في نهاية هذه الرسالة: "ووصلت إلى تقلّد عملك بمن أشركه في الشكر معك إن لم أكن جعلته دونك " " ولم أجد كرماً مما توصلت إليه فيه ولا تغلغلت في الإنعام به علي " وهكذا لم تفصح هذه الرسالة على أي عمل ولا أي مكان أو حتي أية معلومة خاصة بأبي غالب لأنها في الأساس رسالة أدبية فقط .

(٤) أبو الحسين الخصيبي :

قيل "إن اسمه هو عبد الواحد بن محمد الخصيبي، وهو ابن بنت ابن المُدَبِّر ببغداد"، فهو ينتمي إلى أسرة ابن المُدَبِّر وأحد الأحفاد، قيل إنه ابن بنت أحمد ابن المُدَبِّر ؟، فربما يكون ابن بنته فَحْلَة التي تزوجت من ابن أحمد ابن طولون في أثناء حياة أبيها بمصر، وكان زواجها قبل خروج أبيها من مصر سنة ٢٥٨هـ. وجاء ذلك في كتاب الفرج بعد الشدة عند حديثه عن خروج أحمد ابن المُدَبِّر إلى الشام في عهد المتوكل قوله (٣):" حدث أبو

(١) الطبري، تاريخ، ج٩، ص٤٧٧.

(٢) ابن الآبار، إعتاب الكتاب، ص١٥٥، ١٥٦.

(٣) التنوخي، الفرج بعد الشدة، ج١، ص٢٤٩.

الحسين عبد الواحد محمد الخصيبي قال: حدثني أبو خازم القاضي قال: حدثني جدك أحمد بن محمد ابن المُدَبِّر، وكان جده لأمه وحدثني أنه لم يره قط" إلى آخر الرواية .

وفي رواية نشوار المحاضرة التي جاءت بعنوان " إذا تم الأمر نقص" قال[١]: " حدثني أبو الحسين عبد الواحد بن محمد الخصيبي وهو ابن بنت إبراهيم ابن المُدَبِّر إلى آخر الرواية"، وهذه الرواية جعلته حفيدا لإبراهيم ابن المُدَبِّر وليس لأخيه أحمد ولم تذكر الروايات أيضا أية وظيفة تولاها أبو الحسين الخصيبى هذا خلال حياته ولا حتى عرفنا منها تاريخ ميلاده أو تاريخ وفاته.

لكن من الممكن أن نحدد الفترة التي عاش فيها من خلال رواية الجهشياري عن جده أحمد ابن المُدَبِّر عند ذهابه إلى الشام في جيش الخليفة المأمون سنة ٢١٥هـ حيث يقول الجهشياري[٢]: حدثني عبد الواحد بن محمد الخصيبي قال: حدثني عبد الله بن محمد بن أحمد ابن المُدَبِّر، قال: سمعت جدي أحمد ابن المُدَبِّر يقول: "كنت أتقلد مجلس الأسْكُدَار في ديوان الخراج..... إلخ هذه القصة".

وهذا معناه أن الخصيبي هو الذي روى قصة خروج أحمد ابن المُدَبِّر إلى الشام وأنه قد سمعها من حفيد ابن المُدَبِّر أيضاً وهو عبد الله بن محمد بن أحمد. وبالتالي فهو معاصر له.

لكن غير معروف ذلك التاريخ للاثنين ـ أي للحفيدين ـ وبالتالي يمكن أن نلجأ إلى المعاصرين لهما أو الذين روي عنهم الخصيبي، أو هم رووا عنه لإمكان تحديد فترة حياته على وجه التقريب " فهو صاحب أخبار وراوية للآداب".[٣]

(١) التنوخي، نشوار المحاضرة، ج ٨، ص ١٣١.

(٢) الجهشياري، الوزراء والكتاب، ص١٩٨، ١٩٩.

(٣) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١٢، ص٢٥٣.

فيذكر البغدادي قوله: حدث الخصيبي عن أبى العيناء محمد بن القاسم ت ٢٨٤هـ وأيضا ميمون بن هارون الكاتب ت ٢٩٧هـ .

وفي عهد المتوكل على الله حوالي سنة ٢٤٣هـ يقول صاحب الفرج أيضا [١]: "حدثني أبو القاسم طلحة بن محمد بن جعفر الشاهدالمقرئ المعروف بغلام ابن مجاهد قال: حدثني أبو الحسين الخصيبي، قال حدثني أبو خازم القاضي توفي سنة ٢٩٢هـ قال: حدثني أبو الحسن أحمد ابن المُدَبِّر قال ..... إلخ الرواية". يفهم من هذه الرواية أنه كان معاصراً للقاضي أبو خازم الذي توفي سنة ٢٩٢هـ[٢]. ويذكر التنوخي قوله[٣]: "حدثني أبو القاسم على بن شهران المتكلم القاضي من أهل عسكر مكرم قال: أخبرني أبو الحسين الخصيبي ابن بنت ابن المُدَبِّر قال لي أبو عبد الله محمد بن داود بن الجراح ت سنة ٢٩٦هـ، جلس يوماً عبيد الله بن سليمان للمظالم في دار المعتضد بالله وهو وزير .....إلخ القصة".

فيفهم من ذلك أنه كان معاصرا لأشخاص عاشوا إلى سنة ٢٩٦هـ أو بعدها لأنه روى عن محمد بن داود ابن الجراح[٤] الذي تولي الوزارة يوماً واحداً للخليفة المعتز بالله العباسي ثم قتل في سنة ٢٩٦هـ، "وحدث عنه المرزباني الذي توفي سنة ٣٨٤هـ". [٥].

مما سبق نستنتج أن أبا الحسين الخصيبي كانت حياته بالتقريب في الفترة ما بين سنة "٢٥٩ هـ حيث زواج أمه فَحْلَة بنت أحمد ابن المُدَبِّر من ابن أحمد ابن طولون وتمتد لحوالي سنة ٣٣١هـ؛ لأن وفاة الجهشياري الذي نقل روايته كانت سنة ٣٣١هـ، ومن الممكن أن تكون وفاة الخصيبي قبل سنة ٣٨٤هـ، وهي سنة وفاة المرزباني الذي روى عنه أيضاً.

---

(١) التنوخي، نفسه، ج١، ص ص٢٤٧ـ ٢٤٩.

(٢) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٣، ص١٥٨.

(٣) التنوخي، الفرج بعد الشدة، ج٢، ص٩٢.

(٤) الطبري، ج١٠، ص١٤٠، ١٤١، أيضا بن تغري بردي، النجوم، ج٣، ص١٦٥.

(٥) الخطيب البغدادي ت ٣٩٢ هـ : أحمد بن علي بن ثابت، تاريخ بغداد، تحقيق بشار عواد معروف، طبعة دار الغرب الإسلامي، بيروت، سنة ٢٠٠١م، ج٥، ص١٥٤.

(٥) عبد الله بن محمد بن أحمد ابن المُدَبِّر :

هو حفيد أحمد ابن المُدَبِّر، ولا يوجد عنه أية معلومات خاصة به من بعيد ولا قريب فيما عدا روايته للخصيبي ابن عمته . عن خروج جده أحمد إلى الشام في عهد المأمون سنة ٢١٥هـ[١].

وبما أنه كان معاصراً للخصيبي فهذا معناه أنه كان موجوداً في النصف الثاني من القرن الثالث وامتدت حياته إلى القرن الرابع الهجري هو وابن الخصيبي.

(١) الجهشياري، الوزراء والكتاب، ص١٩٨، ١٩٩.

ثانياً: أحمد ابن المُدَبِّر بالشام

(٢٤١هـ ـــ ٢٤٤هـ) / (٨٥٥م ـــ ٨٥٨م)

كانت المرة الأولى لوجود أحمد ابن المُدَبِّر بالشام في عهد الخليفة المتوكل على الله العباسي في الفترة "٢٤١هـ-٢٤٤هـ".

فلماكان أحمد ابن المُدَبِّر يتولى ديواني الضياع والخراج بالعراق للمتوكل[١]، حسدته الكُتَّاب وأوغروا صدر الخليفة المتوكل عليه حتى أخرجه إلى دمشق متولياً وناظراً في تحصيل أموالهم فكسب مالاً عظيماً"[٢].

وقيل إنه خرج إلى الشام متولياً مساحة دمشق وغيرها"[٣]، وقيل إنه ولاه خراج جند دمشق والأردن"ويوجد شعر للشاعر الجمل في مدحه لأحمد ابن المُدَبِّر وهو بالشام [٤].

كما حددت بعض المصادر تاريخ وجود أحمد ابن المُدَبِّر بالشام فذكرت أن أحمد ابن المُدَبِّر تولى المساحة بدمشق وغيرها في أيام المتوكل سنة إحدى وأربعين ومائتين"[٥].

---

(١) يذكر الطبرى أن إبراهيم بن العباس كان يتولى ديوان الضياع قبل وفاته سنة ٢٤٣هـ، ولما مات تولى مكانه الحسن بن مخلد ديوان الضياع للخليفة المتوكل سنة ٢٤٣هـ وهذا معناه أن ابن المُدَبِّر لم يكن بالعراق وقتها وإنما كان بالشام. انظر الطبرى، تاريخ، ج٩، ص٢٠٩، أيضا ابن الأثير، الكامل، ج٦، ص١٣١ .

(٢) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١، ص١٣٢، أيضا محمد بن شاكر الكتبي، فوات الوفيات، ج١، ص١٣٣.

(٣) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٣، ص١٢٦.

(٤) ابن منظور ت ٧١١هـ: الإمام جمال الدين الأنصاري، مختصر تاريخ ابن عساكر، ج٣، تحقيق رياض عبد الحميد مراد، مراجعة دار الفكر، دمشق، ط١، ص٢٦٩.

(٥) ابن ناصر الدين الدمشقي، توضيح المشتبه، ج٨، ص٥٩، أيضا الشابشتي ت٣٨٨هـ: أبو الحسن على بن محمد، الديارات، تحقيق كوركيس عواد، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، ط٣، سنة ١٩٩٨م، ص١٩٠.

ومن الأمور التي وقعت أيضا وتحدد أو تثبت وجود أحمد ابن المُدَبِّر في هذا التاريخ بدمشق هو قدوم الشاعر أبي على الحسن بن عبد السلام المعروف بالجمل الشاعر وافداً على أحمد ابن المُدَبِّر بدمشق[١] بعد خروجه من مصر؛ لأنه كان يتكسب من الشعر، وأحمد ابن المُدَبِّر كان يقصده الشعراء"[٢].

وكان ابن المُدَبِّر إذا مدحه شاعر لم يعجبه شعره أمر غلمانه بأن يذهبوا به إلى المسجد ويصلي مائة ركعة، وكان هذا دأبه دائماً فتحاشاه الشعراء، فلما أتاه أبو علي الحسن الشاعر الجمل ت ٢٥٨ هـ فاستأذنه في النشيد فقال: أما عرفت الشرط فقال: نعم، فقال له"[٣] :

أردنا في أبى حُسن مديحاً	كما بالمدح تنتجع الولاة
فقلت أكرم الثقلين طــراً	ومن كفيه دجــلة والفرات
فقالوا تقبل المــدحات لكن	جوائزه عليهــم الصــلاة
فقلت لهــم وما يغني عيالي	صلاتي إنما الشأن الزكــاة
فيأمرني بكــسر الصاد منه	فتصبح لي الصلاة هي الصِلات

فضحك ابن المُدَبِّر وقال له: من أين أخذت هذا ومن أين وقع لك: فقال :أخذته من قول أبى تمام هن الحمام فإن كسرت عيافه. قال: فأعجبه صدقه ووصله.

(١) عمر فروخ: تاريخ الأدب العربى، ج٢، ط٤، ص٣٢٠.أيضا عفيف عبد الرحمن، معجم الشعراء العباسيين، دار صادر، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م، ص ١٢٧.

(٢) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٣، ص٣٠، أيضا ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج٣، ص١١٣٠.

(٣) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج١، ص٢٠.

وكان الشاعر الجمل قد أتى إلى مصر في فترة وجود القاضى محمد بن أبى الليث الخوارزمى[١]، والذى تولى القضاء بها من شهر ربيع الآخر سنة ٢٢٦هـ من قبل الخليفة المعتصم بالله، وقدم بولايته أبو الوزير صاحب الخراج، وعُزل عنه في سنة ٢٣٥هـ، وكان هذا القاضى له تجاوزات فحُبس بمصر حتى سنة ٢٤١هـ وبالتالي يكون الشاعر الجمل قد رحل عن مصر مع نهاية حكم هذا القاضى سنة ٢٣٥هـ أو بعد الخروج من حبسه في سنة ٢٤١هـ؛ حيث لم يرد أن أحمد ابن المُدَبِّر تولى وزارة دمشق قبل هذا التاريخ . وقد قدم ديك الجن إلى الشام ومدح بها أحمد ابن المُدَبِّر أيضاً [٢] .

أسباب خروجه للشام:

يحكي أحمد ابن المُدَبِّر عن طريقة خروجه إلى بلاد الشام في عهد المتوكل وسبب ذلك حيث يروي التنوخي هذه القصة على لسان أحمد ابن المُدَبِّر نفسه فيقول: كان سبب خروجي إلى الشام أن المتوكل خرج يتنزه بالمحمدية[٣]. فخلا به الكُتَّاب هناك فأحكموا علىَّ القصة وأنا لا أعلم، ثم بعثوا إلىَّ وأنا لا أدري فحضرت وهم مجتمعون فقالوا لى: وكان المخاطب لي موسى بن عبد الملك.

فقال لي: قد جرت أسباب أوجبت أن أمير المؤمنين أمر أن تخرج إلى الرقة، فكم تحتاج لنفقتك؟، فقلت: أما خروجي، فالسمع والطاعة لأمير المؤمنين وأما الذي أحتاج إليه للنفقة فهو ثلاثون ألف درهم.. وذلك من الحديث الذي دار بينه وبينهم دون أن يودع أمير المؤمنين المتوكل"[٤].

---

(١) الكندي ت ٣٥٠هـ: أبى عمر محمد بن يوسف، أخبار قضاة مصر، تحقيق دكتور على عمر، القاهرة، ٢٠٠٨ م، ص١٤٠، ١٤٥

(٢) الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعيان، ج ٢٠، ص ١٢٣.

(٣) المحمدية: مدينة قرب سامراء أحدثها إيتاخ القائد الخزري، ثم سماها المتوكل المحمدية باسم ابنه محمد المنتصر، انظر ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص٦٥.

(٤) التنوخي، الفرج بعد الشدة، ج١، ص٢٤٧، ٢٤٨ .

ثم قال: خرجت من البلد وأنا في حالة الأسر عندي أحسن منها وأطيب"[١]، ولما دخلت الرقة، فلم أقم بها إلا أياما يسيرة حتى ورد كتاب أمير المؤمنين إليَّ بالخروج إلى الشام للتعديل ويقصد به تعيين واستيفاء حصة السلطان من الحاصلات الزراعية، وأجرى عليَّ مائة ألف درهم".

ويفهم من رواية التنوخى أن هذا العمل كان سبباً في ثرائه على عكس ما أراده الكُتَّاب له من استبعاده عن العراق . حيث يقول ابن المُدَبِّر: "إنني لما خرجت إلى الشام رأيت ما أحب، حتى لو بُذِلَت لي العراق بأسرها على فراق تلك الناحية ما سمحت نفساً بذلك، فلله الحمد والمنة".

وفي رواية أخرى لتلك الواقعة يذكر الجهشياري[٢] :"بعد أن روى قصة خروج أحمد إلى الشام ثم يستكمل" إلا أنه لم تتوفر له النفقة اللازمة لخروجه ومقدارها ثلاثون ألف درهم".

فيقول ابن المُدَبِّر فما ذكرت غير المعلّى بن أيوب[٣]، وكانت بيني وبينه وحشه فكتبت إليه رقعة حملت نفسى على الصعب فيها فوجه إليّ خمسة آلاف دينار وذكر باقي القصة.

وطالما تأكد وجود أحمد ابن المُدَبِّر في الشام سنة٢٤١هـ، فهذا معناه قبل مجيئه إلى مصر على رأس خراجها ويبدو أن عمل ابن المُدَبِّر بالشام قد استمر حتى آخر سنة

(١) التنوخي، نفسه، ج١، ص٢٤٩.

(٢) الجهشياري، الوزراء والكتاب، ص٢٥٠.

(٣) المعلي بن أيوب: من كتاب الدولة العباسية، وهو ابن خالة الفضل بن سهل وزير المأمون، ابن الآبار، إعتاب الكتاب، ص١٠٩، وكان على ديوان الإعطاء (الجيش) في أيام المأمون .ابن مسكويه، تجارب الأمم، ج٦، ص٤٦٩، ثم صحب الوزير محمدا بن عبد الملك الزيات، ثم خدم المتوكل وتوفي سنة٢٥٥هـ، الطبري، ج٩، ص٣٨٧.

٢٤٤هـ حيث كان خروج الخليفة المتوكل إلى الشام بسبب كثرة الدسائس والمؤامرات من القادة الأتراك فحملت هذه الظروف الخليفة على التفكير في ترك سامراء ونقل العاصمة إلى دمشق(١) .

"وكان شخوص المتوكل إلى الشام وخروجه من العراق لعشر بقين من ذي العقدة سنة ٢٤٣هـ(٢)".

وقد مدحه البحتري عند توجهه إلى الشام فيقول في بيت مديحه(٣):

فمتي تُخَيِّمْ بالشَّام فَيَكْتسي بَلَدِي نَبَاتاً من نَدَاك المُسْبِل

سفرٌ جَلَوِت بِهِ العُيون فأَبْصَرَتْ وفَرَجتْ ضِيقَه كُلِّ قَلْبٍ مُقْفلَ

ويؤكد ذلك وجود شعراء آخرين مدحوه عند خروجه أيضاً(٤)، ووصل المتوكل إلى دمشق في شهر صفر سنة ٢٤٤هـ، وكان من لدن شَخَصَ من سامراء إلى أن دخل إلى دمشق سبعة وتسعين يوماً وعزم على المقام بها، ونقل دواوين المُلك إليها، وأمر بالبناء بها ثم استوبأ البلد، "فكان قد أبى أن ينزل المدينة لتكاثف هواء الغوطة عليها، فنزل قصر المأمون وذلك بين داريا ودمشق على ساعة من المدينة ثم أقام شهرين وأياماً وعاد إلى سامراء، وكان بين خروجه منها ورجوعه إليها ثلاثة أشهر وسبعة أيام ." (٥)

---

(١) سيدة الكاشف، أحمد بن اطولون، ص٣٠.

(٢) الطبري، تاريخ، ج٩، ص٢٠٩، أيضا ابن الأثير، الكامل، ج٦، ص١٢٨.

(٣) البحترى، ديوان، ج٣، ص١٦٢٤.

(٤) فقد امتدحه أيضا يزيد بن محمد المهلبي حين خرج إلى الشام فقال:

أظن الشام تشمت بالعراق إذا عزم الإمام على انطلاق

فإن تدع العراق وساكنيها فقد تبلي المليحة بالطلاق

انظر الطبري، تاريخ، ج٩، ص٢٠٩.

(٥) ابن الأثير، الكامل، ج٦، ص١٢٨.

وقال البحتري قصيدته الثانية في أواخر ربيع الأول سنة ٢٤٤هـ عند اعتزام المتوكل الرحيل عن دمشق فقال(١).

لعمري قد آب الخليفة جعفـر وفي كل نفس حاجة من قفوله

دعاه الهوي من سُرَ من رَأي فانكفا إليها انكفاء الليث تلقاء غيلـة

معنى ذلك أن أحمد ابن المُدَبِّر كان موجوداً بالشام في الفترة من سنة ٢٤١هـ وحتى سنة ٢٤٤هـ .

أحمد ابن المُدَبِّر بالشام سنة ٢٤٤ هـ :

وقد تأكد استمرار وجود أحمد ابن المُدَبِّر بالشام منذ حضوره إليها سنة٢٤١هـ وحتى سنة ٢٤٣هـ أو في بداية سنة٢٤٤ هـ، وذلك من خلال القصة التي تروى محاسبته عن أعمال المساحة والتعديل بالشام وشكوى أهلها من ظلمه وشدة بأسه والأموال التي حققها من وراء ذلك، فقد ذكر الذهبي(٢): "أن أحمد قد ولى مساحة الشام للمتوكل"

ثم كانت محاسبة الخليفة المتوكل له وهو بالشام والذي تولي حسابه هو الحسن ابن مخلد(٣) وكان وقتها على ديوان الضياع، وكان عبيد الله بن يحيى بن خاقان قد أمر بالإجتماع بالكُتّاب وابن المُدَبِّر في مسجد دمشق وكان يحب الإيقاع بابن المُدَبِّر وإفساد حاله، وحضر أبو الحسن موسى بن عبد الملك صاحب ديوان الخراج، والحسن بن مخلد صاحب ديوان الضياع، وقد واطأهم عبيد الله بن يحيى على معارضة ابن المُدَبِّر(٤)،

(١) البحتري، ديوان، ج٢، ص١٦٣٠ .

(٢) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٣، ص١٢٥.

(٣) الحسن بن مخلد كان كاتبا لإبراهيم بن العباس الصولى الذي توفي سنة ٢٤٣هـ، والغالب عليه، ثم خلفه الحسن بن مخلد على ديوان الضياع، بعد وفاته في شهر شعبان سنة ٢٤٣هـ، الطبري، ج٩، ص٢١٤، ابن الآبار، إعتاب، ص١٦٣.

(٤) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٥٥، ص ٢١.

وحضر مع ابن المُدَبِّر نجاح بن سلمة وهو يتقلد ديوان التوقيع، وكان ميله مع ابن المُدَبِّر وقد حكى محمد بن عمرو أبو عبد الله السكسكي قصة تظلم أهل دمشق من أحمد ابن المُدَبِّر بالشام(١): " من استخلاف المُساح والأدلّاء ومن يقلد التعديل من أصحاب ابن المُدَبِّر فدعا هؤلاء القوم إلى اليمين فتلكأ بعضهم وقصد المتظلمون الأسباب التي كانوا وقَّعوا عليها وما وقعت عليه المصانعة وغير ذلك فسأل أبو محمد الحسن بن مخلد أحمد ابن المُدَبِّر عما تظلموا منه ونسبوه إليه فقال: قد علمت في أمر التعديل بما بلغه مجهودي، وما قصرت فيما أمكنني من اختيار العمال والمُسَّاح وغيرهم وأزحت علتهم في الأرزاق فقال له الحسن بن مخلد: قد صدقتك؛ ولكن الفساد قد وقع وظهر في العقود ووقعت الشكوك في جميعها، فقال له ابن المُدَبِّر فإذا كانت الشكوك قد وقعت عندك والفساد قد ظهر فأعد المساحة، فقال له الحسن بن مخلد: قد أعدنا المساحة ووجب عليك يا أبا الحسن رد ما ارتزقته وأنفقته، فقال له ابن المُدَبِّر: لم أظن أنك بلغت من الصناعة والتقدم في الأحكام فيها إلى ما قد بلغت، فقال له الحسن: دع عنك هذا القول الفارغ والواجب أن تعاد المساحة بأقوام ثقات تلزمك أرزاقهم إلى أن يصح عقد مال البلد ولا يلحق أمير المؤمنين إثم فيما يجتني له مما قد أحله الله له .....فاستصوب ابن المُدَبِّر هذا الأمر وتم إعادة المساحة وانقطع الظلم والتظلم بين أهل دمشق".

هذا ولم ترد أية أخبار لبني المُدَّبِر بالشام سوى ما ذكرته من قبل، وهو خاص بأحمد ابن المُدَّبِر فقط.

(١) وكان محمد بن عمرو السكسكي هذا يقيم في إقليم من أقاليم غوطة دمشق، يعرف ببيت ابن لِهيا، وكان له في هذا الأقليم عدّة قصور مبنية بالحجارة والخشب الصنوبر وكان ينزل عليه كل خليل يأتي من الحضرة أو من مصر، ومن هؤلاء عبيد الله بن يحيى والحسن بن مخلد، وأبو الحسن أحمد بن محمد ابن المُدَبِّر، انظر ابن عساكر، تاريخ، ج ٥٥، ص٢٠.

ثالثاً: بَنُـو المُدَبِّر فِي مِصْرَ

على الرغم من أن الروايات التاريخية عن آل المُدَبِّر في مصر وبداية وجودهم بها نادرة وشحيحة، وذلك في الفترة السابقة على تولي أحمد ابن المُدَبِّر الخَراج بها، إلا أنه وُجِدَت بعض الإشارات التي تدل على وجود هذه الأسرة منذ فترة أي قبل العصر العباسي الأول الذي اشتُهِر فيه ذكر أحمد ابن المُدَبِّر عند وجوده ببغداد ثم مصر.

ويؤكد ذلك أيضا ما ذكره صاحب الخطط التوفيقية[١] فقال: " ابن عبد الحكم وغيره من أصحاب التواريخ عن إقليم البُحَيْرَة[٢] "يدخل إلى هذه البحيرة خليج من النيل يسمي الحافر[٣]، طوله نصف يوم، وهو كثير الطير والعنب والعُشب، ثم انقطع الماء عن هذه البحيرة في أيام محمد ابن مُدَبِّر عامل مصر من قبل الوليد بن عبد الملك بن مروان (٨٦هـ-٩٦هـ) وبقيت الأراضي كلها سباخاً لا نبات فيها".

---

(١) على باشا مبارك ت١٣١١هـ: الخطط التوفيقية الجديدة لمصر والقاهرة، الطبعة الثانية، مطبعة دار الكتب، القاهرة، ٢٠٠٣، ج١٠، ص٢٦.

(٢) البحيرة: هى بحيرة الإسكندرية وهذه ليست بحيرة ماء، إنما هى كورة معروفة من نواحي الإسكندرية بمصر، تشتمل على قُرى كثيرة ودخل واسع، ياقوت الحموى، معجم البلدان، ج١، ص٣٥١ والبحيرة في اللغة هي البقعة الفسيحة من الأرض المنخفضة وربما أطلق اسم البحيرة على هذا الإقليم بسبب ذلك، ويأخذ إقليم البحيرة شكل مثلث ضلعه الأيمن فرع رشيد وضلعه الأيسر صحراء ليبيا من جهة الغرب وضلعه الأعلي على البحر المتوسط، انظر محمد محمود زيتون، إقليم البحيرة " صفحات مجيدة من الحضارة والثقافة والكفاح "، دار المعارف، مصر، ١٩٦٢م، ص٢٩، ٣٠.

(٣) خليج الحافر: ورد في كتاب (وقف الغورى) ٩١١هـ بالبحيرة، وذكر بأن لها شهرة تُغني عن وصفها وتحديدها، انظر محمد عثمان رمزى، القاموس الجغرافي للبلاد المصرية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٤م، الجزء الثاني، القسم الأول، ص٤٣، وقيل إن الحافر هو الاسم القديم، وفي القرن السابع الهجرى سميت هذه المنطقة منية السعيد، فوردت في الانتصار باسم الجنان والحافر وتعرف بمنية السعيد، وهى تابعة لمركز رشيد، فلما أنشأ مركز المحمودية في سنة١٩٢٨م ألحقت بها لقربها منه .انظر محمد رمزى، نفسه، الجزء الثانى، القسم الثانى، نفسه، ص٢٧٦ .

والرواية السابقة تعتبر دليلًا على وجود أحد أفراد هذه الأسرة في عهد الدولة الأموية، وعلى الرغم من أنني بحثت عن محمد ابن مُدَبِّر هذا إلا أنني لم أصل إلى درجة قرابته من أحمد ابن المُدَبِّر، لكن في نفس الوقت لم يكن المقصود به هو محمد بن عبيد الله ابن المُدَبِّر والد أحمد ابن المُدَبِّر؛ لأن محمدا أباه – كما اتضح من قبل – أنه كان يعمل في الديوان ''الأسْكُدَار '' في عهد المأمون العباسي ت ٢١٨هـ، فليس من المعقول أن يكون قد عاش كل هذه الفترة من عهد الوليد الذي تولى الخلافة سنة ٨٦ هـ/ ٧٠٥م ولذلك فلا يوجد تفسير لهذه الرواية غير أن محمد ابن مُدَبِّر الذي تَوَّلَي في عهد الوليد بن عبد الملك كان أحد أجداد أحمد ابن المُدَبِّر عامل الخَراج على مصر فترة ابن طولون.

- **<u>أحمد ابن المُدَبِّر في مصر قبل عهد المتوكل:</u>**

بالنسبة لمجيء أحمد ابن المُدَبِّر إلى مصر فهو أمر مؤكد ومعروف واشتهر وجوده بها خصوصاً مع عهد الخليفة المتوكل على الله ٢٣٢هـ–٢٤٧هـ لكن المصادر التاريخية لم تحدد بداية وجوده بمصر بصورة واضحة.

ومن خلال بعض الروايات التي وردت بها إشارات إلى شخص أحمد ابن المُدَبِّر نجد أنه من الممكن أن يكون بداية وجوده بمصر كانت في عهد الخليفة المعتصم ت ٢٢٧هـ/٨٤١م .

فقد روى ابن عساكر في تاريخه[١] قال: "حكى إسحاق بن إبراهيم بن مصعب بن رزيق عن القاسم بن أحمد الكاتب قال: قرأت بخط أبى الحسن الرازي أخبرني عبد الله بن أحمد ابن بنت أبى زُرعَة قال: سمعت جدي أبا زرعة عبد الرحمن بن عمرو[٢] يقول: قلت

(١) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٥، ص٣٩٠.

(٢) أبو زُرْعَة: عبد الرحمن بن عمرو بن صفوان القصري ت ٢٨١هـ، أحد العلماء ومن رواة الحديث من أهل السنة والجماعة، سكن بدمشق، وكانت داره عند باب الجابية قال عنه السمعاني أحد أئمة الحديث ومن تصانيفه كتاب التاريخ (علل الرجال). انظر الزركلي، الأعلام، ج٣، ص٣٢٠.

لأحمد ابن المُدَبِّر عندما أتى عليَّ بعد عودته إلى مصر: "سبحان من أتي بك بعد آبائك على فاقة إليك وحاجة وخلة واختلالاً".

وهذا تصريح واضح لأبي زرعة في حديثه لابن المُدَبِّر أنه عاد بعد آبائه أي أن آباء أحمد ابن المُدَبِّر كانوا موجودين بمصر قبله بالفعل، ولكن ليس معني ذلك وجود الأب محمد ابن المُدَبِّر بمصر؛ لأنه لم توجد أية إشارة توضح وجوده بها، إنما من المؤكد أنه يقصد هنا أجداد أحمد ابن المُدَبِّر .

ونظراً لعدم وجود روايات تاريخية صريحة عن وجود هذه الأسرة فقد اعتبرت أن وجودهم الأساسي كان بالعراق على اعتبار أن بداية هذه الأسرة الفعلية كانت في بغداد بصرف النظر عما قاله أبو زرعة.

واستكمالاً لحديث أبى زرعة مع أحمد ابن المُدَبِّر قوله(١): "ولقد أمَّلت بمقدمك مدَّ الله في طول أيامك أن تكون بركة كغيث نزل بأرض مصر أمَّلت لفقد الغيث فلما أغيثت أخرجت بركاتها، وظهرت زينتها وبهجتها، وإني لأرجو أن يُصلح الله بك، وعلى يديك أن تعمر الأرض ويزكو الفيء. قال أبو زرعة: فلما خرجنا عنه قال لي عبد الله بن ذكوان(٢): ليته كان قاضيا علينا".

وهذا كلام واضح من أبى زرعة لأحمد ابن المُدَبِّر الذي يأمل أن يكون رجوعه أو عودته إلى مصر كغيث نزل بها، وهذا معناه أن أحمد كان بمصر، ثم خرج منها، ثم عاد وكان حديثه مع أبى زرعة.

---

(١) ابن عساكر، نفسه، ج٥، ص٣٩٠

(٢) ابن ذكوان: هو عبد الله بن أحمد بن بشير بن ذكوان إمام جامع دمشق، قال عنه أبو زرعة لم يكن بالشام ومصر والعراق والحجاز أقرأ من ابن ذكوان وكان مولده سنة ثلاث وأربعين ومائة ومات سنة ٢٤٢هـ انظر ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٢، ص٣٠٨، وقد روي عنه أبو داود وابن ماجه وابن شاكر. انظر الكتبى، عيون التواريخ، ص٣٢٩.

ويبدو أن أحمد ابن المُدَبِّر كان ذائع الصيت في حسن الإدارة وتدبير الأمور لدرجة جعلت أبا زرعة يقول له: إن على يديه تعمر الأرض ويزكو الفيء، وهذا تأكيد واضح على وجود أحمد ابن المُدَبِّر بمصر في فترة ما قبل سنة ٢٤٢هـ، وذلك لأن عبد الله بن ذكوان الذي كان مع أبى زرعة عند أحمد ابن المُدَبِّر قد توفي سنة ٢٤٢هـ، فهذا دليل على وجود أحمد ابن المُدَبِّر بمصر قبل هذا التاريخ.

ولعل وجوده بمصر كان في عهد المعتصم ولم يكن في عهد الواثق لأنه كان ببغداد ويعمل كاتبا للأخير، وكان له ذكر في الأحداث بها في الفترة من سنة ٢٢٩هـ وحتى سنة ٢٤١ هـ كما سبق التوضيح أثناء وجوده بالعراق، وبالتالي يكون وجوده بمصر في عهد المعتصم ولو لفترة ما من عهده وذلك للأسباب التالية:

١- لما خرج أحمد ابن المُدَبِّر مع الخليفة العباسي المأمون إلى الشام قيل إن المأمون قَدِم بعد ذلك إلى مصر سنة ٢١٦هـ لإخماد ثورة البشمور بها[١]، فربما جاء أحمد إليها مع المأمون وظل بها فترة أو ربما خرج مع المأمون ثم كانت عودته لها بعد ذلك.

٢- قيل إن أحمد ابن المُدَبِّر له علاقة ومعاملة مع الفضل بن مروان[٢] وزير المعتصم، والذي أوقع به المأمون وعزله سنة ٢٢١هـ فهذا معناه أن أحمد كان ببغداد قبل هذه السنة فربما كان حضوره إلى مصر بعد هذا التاريخ.

٣- أحمد ابن المُدَبِّر كان يعمل كاتباً مع الواثق ببغداد وكان قد حبسه مع غيره من الكُتَّاب كما ذكرت من قبل.

---

(١) البُشْمور: بالضم، كورة بمصر قرب دمياط وفيها قري وعياض كثيرة . انظر ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٤٢٨.

(٢) الفضل بن مروان: هو أبو العباس الفضل بن مروان في الأصل كان نصرانياً من أهل البردان أخذ البيعة للمعتصم عندما كان المعتصم في بلاد الروم انظر القضاعي، كتاب عيون المعارف وفنون أخبار الخلائف، ص٤٤٤.

٤- بعض الدراسات الحديثة التي تناولت تاريخ مصر الإسلامية ذكرت[١]: "أن القبائل العربية كانت تأتي إلى مصر عن طريق القُلْزُم حتى تصل إلى عيذاب ثم تصل للنوبة دون أن تمر بالداخل خوفاً من ضرائب ابن المُدَبِّر والي الخراج في مصر في عهد الخليفة المعتصم بالله العباسي".

وقد بحثت كثيراً عن هذه الرواية التاريخية في كافة مصادر مصر الإسلامية ولم أصل لها، وتعقيباً على الرواية السابقة لا نعرف من هو ابن المُدَبِّر هذا لكن من المؤكد أنه أحمد ابن المُدَبِّر لأنه هو الذي اشتهر بفرض العديد من الضرائب وإن كانت المصادر ذكرت أنه فرضها سنة ٢٥٣هـ ولم توجد رواية صريحة تذكر أن أحمد ابن المُدَبِّر كان عامل خراج على مصر في عهد المعتصم، وفي نفس الوقت نجد أن العصر العباسي الأول قد زخر بطائفة من الكُتَّاب لم يسمع الدهر بمثلهم مثل: محمد بن عبد الملك الزيات والحسن بن وهب وأحمد ابن المُدَبِّر في عهد المعتصم والواثق"[٢].

فمعني ذلك أن أحمد ابن المُدَبِّر كان يعمل كاتباً في تلك الفترة مما يؤكد عمله بالكتابة في عهد المعتصم والواثق.

أحمد ابن المُدَبِّر بمصر ٢٤٧هـ/ ٨٦١م :

نقل الخليفة المنتصر بالله أحمد ابن المُدَبِّر عن الشامات إلى مصر وفرقت أعمال الشامات على جماعة [٣] وأحمد ابن المُدَبِّر صاحب مال مشهور بمصر، وتقلد منصب الخراج عليها عدة مرات، وكان ذلك على فترات متقطعة، فإذا كانت الروايات التاريخية قد

(١) ممدوح الريطي، دور القبائل العربية في صعيد مصر، مكتبة مدبولي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م، ص١٢٠.

(٢) حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي"، العصر العباسي الأول في الشام ومصر والمغرب والأندلس، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٦م، ج٢، ص٢١٥.

(٣) اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٤٥٨

اتفقت على وجوده بمصر قبيل قدوم أحمد ابن طولون إليها سنة ٢٥٤هـ- وكان وقتهاعلى خراج مصر- فإنه على الجانب الآخر نجد هناك روايات أخرى قد اختلفت وتباينت تبايناً شديداً في تواريخ وجوده بمصر قبل هذا التاريخ.

لكن ما يؤكد وجوده بمصر في عهد الخليفة المتوكل ما ذكره ابن دقماق عند حديثه عن سوق الرقيق بالفسطاط قوله: [١] "إن سوق الرقيق كانت تقع في رحبة أمام دار أحمد ابن المُدَبِّر عامل خراج مصر للمتوكل".

ولم تذكر كتب التاريخ متى تولى أحمد ابن المُدَبِّر خراج مصر في خلافة المتوكل، إلا أنه من الممكن أن تكون ولايته للخراج على مصر كانت تابعة له أثناء وجوده بالشام سنة ٢٤١هـ ولعل ما يؤكد ذلك هو:-

١- رواية الذهبي [٢]:" كان أحمد قد ولي مساحة الشام للمتوكل ثم ولي خراج مصر مع دمشق" فيكون ذلك في الفترة من سنة ٢٤١هـ وحتي ٢٤٤هـ .

٢- لقاء أبي زرعة مع ابن المُدَبِّر في مصر، وكان معه عبد الله بن ذكوان الذي توفي ٢٤٢هـ. [٣] .

٣- ربما كان وجوده بمصر ٢٤٥هـ إلى ٢٤٧هـ لأن ابن المُدَبِّر قدم مصر في عهد يزيد بن عبد الله والي مصر في الفترة من(٢٤٤هـ -٢٥٣هـ)، ويكون ذلك بعد فترة وجوده بالشام .

وربما كان ابن المُدَبِّر موجودا بالفعل على خراج مصر سنة٢٤٧هـ ولكن ربما كان ذلك في فترة قصيرة من هذه السنة على اعتبار ما ذكره جروهمان من وجود أوراق بردي

(١) ابن دقماق: الانتصار لواسطة عقد الأمصار، ج٤، ص٣٤.

(٢) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٣، ص١٢٥.

(٣) الذهبي، نفسه، ج١٣، ص١٢٥.

لدافعي الضرائب تثبت وجوده سنة ٢٤٧هـ، ٢٤٨هـ فيما عدا فترتين منفصلتين إحداهما مداها ثلاثة أشهر والثانية مداها تسعة أشهر وخمسة وعشرون يوماً على التوالي"(١).

وكان سليمان بن وهب على خراج مصر في هذه السنوات أيضا لكن ربما كان على فترات بدليل ما جاء في بعض المصادر التاريخية(٢) التي تبين أن سليمان بن وهب كان على خراج مصر في السنوات ٢٤٦هـ، ٢٤٧هـ، ٢٤٨هـ".

ولعل ما يؤكد وجود سليمان على مصر سنة ٢٤٧هـ هو "كتاب المتوكل الذي ورد على يزيد بن عبد الله بابتناء المقياس الهاشمي للنيل(٣)، وبعزل النصاري، فجعل يزيد عليه أبا الرداد المعلم وأجرى عليه سليمان بن وهب صاحب الخراج سبعين دينارا، وذلك سنة سبع وأربعين ومائتين"(٤).

وقيل إن أبا الرداد تولى بعد عزل سليمان بن وهب سنة ٢٤٧هـ وبمرتب شهرى يقدر بستة آلاف دينار(٥) . وذلك أيام محمد المنتصر بالله الذي بويع له لأربع خلون من شوال سنة ٢٤٧ هـ (٦)

---

(١) ملحق رقم (٢) .

(٢) ابن أيبك الدواداري، كنز الدرر، ج٥، ص٢٤٢، وما بعدها.

(٣) المقياس الهاشمي: هو مقياس الروضة بمصر وفي زمن الخليفة العباسي المتوكل على الله شهد تجديداً كاملاً مرتين الأولى سنة ٢٣٢ هـ والثانية سنة ٢٤٧هـ وعرف المقياس الذي أعيد بناؤه في زمن المتوكل بالمقياس الهاشمي والمقياس المتوكلي . انظر ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ١٧٨

(٤) الكندي ت٣٥٠هـ: أبو عمر محمد بن يوسف المصري، كتاب الولاة وكُتّاب القضاة، مهذبا ومصححا بقلم رافن كست، طبع بمطبعة الآباء الياسوعيين، بيروت، ١٩٠٨م، ص٢٠٣، أيضا ابن تغرى بردى، النجوم، ج٢، ص٣١١.

(٥) هويدا عبد العظيم رمضان، المجتمع في مصر الإسلامية من الفتح حتي العصر الفاطمي، تقديم عبد العظيم رمضان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٤، ج١، ص٢٥٢.

(٦) اليعقوبي، تاريخ، مجلد، ج٢، ص ٤٥٨.

وفي أحداث سنة ٢٤٨هـ يذكر صاحب كنز الدرر[١] "عزل سليمان بن وهب عن خراج مصر وولي مكانه أحمد ابن مُدَبِّر، وترك يزيد على الحرب سنة٢٤٨هـ وذلك في عهد المستعين" معنى ذلك وجود ابن المُدَبِّر أثناء ولاية يزيد بن عبد الله التركي[٢]، على مصر سنة (٢٤٤هـ –٢٥٣هـ / ٨٥٨م – ٨٦٧م)، وهناك الوثيقة التي تثبت وجوده بمصر سنة ٢٤٨هـ وتؤكده، والخاصة بدفع الضرائب ذكر فيها: "أن صاحبها دفع الخراج إلى أبى الحسن أحمد بن محمد سنة ثمان وأربعين ومائتين"[٣]، ويعلق جروهمان على هذه الوثيقة بقوله[٤]: إن عامل الخراج هو أبو الحسن أحمد بن محمد ابن المُدَبِّر صاحب بيت مال مصر المشهور، وقد تقلد هذا المنصب حوالي سنة ٢٤٧هـ، وظل فيه إلى سنة٢٤٨هـ، عدا

---

(١) بن أيبك الدواداري، كنز الدرر، ج٥، ص٢٤٩.

(٢) يزيد بن عبد الله بن دينار التركي: هناك وثيقة لدافعي الضرائب، وهي عبارة عن بردية أوردها جروهمان في كتابه أوراق البردي تنص على وجود يزيد على ولاية مصر، في نفس الوقت وجود ابن المُدَبِّر على الخراج فقد "تولى يزيد بن عبد الله التركي في ٢٠ رجب سنة٢٤٤هـ، وهو من الموالي وكان ذلك في خلافة جعفر المتوكل، وهو الذي أتم مقياس الروضة الموجودة الآن في سنة٢٤٧هـ، وأقام يزيد على مصر حاكما تسع سنين وأشهر ثم صرف في سنة٢٥٣هـ وخلفه أحمد بن مُزاحم بن خاقان على صلاة مصر في خلافة المعتز بالله ٢٥٤هـ/ ٨٦٨م، ثم أنوجور التركي سنة ٢٥٤هـ /٨٦٨م، ثم أحمد ابن طولون سنة ٢٥٤هـ/ ٨٦٨م.انظر جروهمان، أوراق البردي، ج٢، ص٣٧، ٣٨، أيضا الملواني العلامة يوسف الملواني، تحفة الأحباب بمن ولي مصر من الملوك والنواب، تحقيق عماد هلال، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م، ص١١٥، أيضا ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ص٧٦، أيضا الخطط التوفيقية، ج١٠، ص٧١.

(٣) جروهمان، نفسه، ج٣، ص١٤٤، ١٤٥، وقد اعتمد جروهمان في تحديد فترات وجود أحمد ابن المُدَبِّر بمصر على أوراق البردي، الخاصة بالأرشيدوق رينر ورقة رقم ٧٧٦ س٣ [٢٤٨هـ]، ورقة رقم ٢٧٧س ٦ [٢٤٧هـ]، ورقة الأرشيدوق رينر رقم ٣١٧٦س ٥ [٢٥١هـ].

(4) جروهمان، نفسه، ج٣، ص١٤٤، أيضا ص٣٧

Zaky M. Hassan: Les Tulunides, etude de l'egypte Musulmane ala fin du 1ex siede (868-905), paris 1933, p 242.

فترتين منفصلتين إحداهما ثلاثة أشهر والثانية تسعة أشهر وخمسة وعشرون يوماً على التوالي"، كما ذكر سابقاً.

وبالتالي يمكن أن يكون سليمان بن وهب قد تناوب على ولاية الخراج مع أحمد ابن المُدَبِّر في تلك السنوات ويروي بن أيبك الدويدار" أنه قد استمر الاثنان- يزيد وابن المُدَبِّر – معاً خلال العام التالي أي سنة ٢٤٩هـ فيقول: إن يزيد كان بمصر وكذلك ابن المُدَبِّر على الخراج".(١)

ويبدو أنه لمَّا تسبب ابن المُدَبِّر في انخفاض الخراج وسوء الأحوال المالية عزله المستعين فيذكر ابن إياس (٢)'' فلمَّا تلاشت أحوال مصر أرسل الخليفة المستعين بالله بعزل أحمد ابن المُدَبِّر ''.

ولاية ابن المُدَبِّر على خراج مصر سنة " ٢٥٠هـ – ٢٥١هـ":

كان ابن المُدَبِّر على خراج مصر سنة ٢٥٠هـ "لأن العمال كانوا على حالهم"(٣)، وهو كان على خراجها من قبل هذه السنة.

ومن الأمور التي تؤكد وجود ابن المُدَبِّر على الخراج بمصر سنة٢٥٠هـ أيضاً هو قصة ابن وزير التجيبي (١٧١هـ-٢٥٠هـ) (٤).

---

(١) ابن أيبك الدواداري، نفسه، ج٥، ص٢٤٩.

(٢) ابن إياس الحنفي ت٩٣٠هـ: بدائع الزهور في وقائع الدهور، حققها محمد مصطفي، الطبعة الثالثة، دار الكتب، القاهرة، ٢٠٠٨م، ج١، ق٢، ص١٦٠.

(٣) ابن أيبك الدواداري، كنز الدرر، ج٥، ص٢٥٠.

(٤) ابن وزير التجيبي: هو أحمد بن يحيى بن وزير بن سليمان بن مهاجر مولي آل الأزد، كان فقيهاً من أصحاب ابن وهب، وكان أعلم أهل زمانه بالشعر والغريب وأيام الناس، انظر هويدا عبد العظيم رمضان، المجتمع في مصر الإسلامية، ج١، ص١١٠. هذا وقد روى ابن وزير عن ابن وهب والشافعي وغيرهما، ←←←

وقد كان ابن وزير التجيبي يتقبل الأراضي الزراعية، أي يستأجر الأراضي الزراعية ويعمل بالفلاحة فانكسر عليه خراج لذلك فسجنه أحمد ابن المُدَبِّر متولي خراج مصر، فتوفي في سجنه سنة خمسين ومائتين"[١].

وقال ابن يونس[٢]: "إن ابن وزير التجيبي توفي سنة إحدى وخمسين ومائتين في شوال لخراج كان عليه" وبالتالى يؤكد أن ابن المُدَبِّر كان سنة ٢٥١هـ على خراج مصر، فقد ذكر أنه خلال هذه السنة "حيث يزيد بمصر وابن المُدَبِّر كذلك"[٣].

إذاً ذِكْر هذا الكلام في أكثر من مصدر يؤكد وجود ابن المُدَبِّر على خراج مصر إما في سنة٢٥٠هـ أو سنة٢٥١هـ.

وهناك أيضا ما ذكره جروهمان في شرحه لوثيقة دافعي الضرائب بأنه تولى الخراج في السنين ٢٥١هـ، ٢٥٢هـ"[٤].

أحمد ابن المُدَبِّر بمصر ٢٥٣هـ :

كان أحمد ابن المُدَبِّر موجودًا على خراج مصر في سنة ٢٥٣هـ، والدليل القاطع على ذلك هو أنه قام بمسح الأراضي الزراعية [٥] بها في هذا العام وكانت هذه هي المرة الثالثة

→→→

ولد ابن وزير سنة١٧١هـ وتوفي سنة ٢٥٠ هـ، ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، طبعه المعارف النظامية، الهند، ١٣٢٧هـ، ج١، ص٧٨، أيضا ياقوت الحموي، معجم الأدباء ج٢، ص٥٥٥ .

(١) السمعاني ت ٥٦٢هـ: عبد الكريم بن منصور التميمي، الأنساب، تحقيق عبد الرحمن اليماني، حيدر آباد، ط ١، ١٩٦٢م، ج٣، ص٣٣٨، أيضاً الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٨، ص١٦٠.

(٢) ابن يونس ت ٣٤٧ هـ: أبو سعيد الصفدي المصري، تاريخ المصريين، جمع وتحقيق د/ عبد الفتاح فتحي، دار الكتب العلمية، بيروت، ج١، ص٢٥.

(٣) ابن أيبك الدوادارى، نفس المصدر، ج٥، ص٢٥٣.

(٤) جروهمان، أوراق البردي، ج٣، ص١٤٥.

(٥) مسح الأراضي الزراعية: هو ما عرف باسم الروك، والروك في كتب المؤرخين مصدر الفعل الثلاثي راك، ومعناه في الأصل مسح أرض الزراعة في بلد من البلاد لتقدير الخراج المستحق عليها لبيت المال ←←←

لعملية مسح الأراضي بمصر والتي تمت على يد أحمد ابن المُدَبِّر في خلافة المعتز بالله العباسي حوالي سنة ٢٥٣هـ/ ٨٦٧م"(١).

والدليل الآخر على أنه كان بمصر في هذه السنة أيضا ما ذكر صاحب كنز الدرر(٢):

"من أن ابن المُدَبِّر كان على خراج مصر في هذه السنة من خلافة المعتز بالله أمير المؤمنين، ومزاحم بن خاقان(٣) على حرب مصر". وأيضا ما يذكره المقريزي "من أن ابن المُدَبِّر كان على خراج مصر قبيل سنة٢٥٣هـ"(٤)، ولكن يمكن تحديد التاريخ بالضبط أو على وجه التقريب فيكون بالاعتماد على الروايات التاريخية المؤكدة لوجوده بمصر أو عن طريق وثائق الضرائب الموجودة بأوراق البردي، (٥) والتي تذكر اسم عامل الخراج وقتها أنه أبو الحسن أحمد ابن المُدَبِّر .

←←←

وقد تم مسح أراضي مصر في العصور الإسلامية ثلاث مرات: المرة الأولى على يد ابن رفاعة عامل الخراج في مصر في خلافة الوليد وأخيه سليمان بن عبد الملك الأموي حوالي سنة٩٧هـ/ ٧١٥م، والمرة الثانية كانت على يد ابن الحبحاب في خلافة هشام بن عبد الملك الأموي حوالي سنة١١٠ هـ، ٧٢٩م، والمرة الثالثة على يد ابن المُدَبِّر سنة ٢٥٣هـ / ٨٦٧م. انظر القلقشندي، صبح الأعشي، قدم هذه الطبعة د / فوزي محمد، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٥ م، ج١٥، ص١٦٤.

(١) القلقشندي، نفسه، ج١٥، ص١٦٥.

(٢) ابن أيبك، كنز الدرر، ج٥، ص٢٥٧.

(٣) مزاحم بن خاقان: هو أخو الفتح بن خاقان وكان الخليفه المعتز بالله قد أرسله في جيش كبير سنة ٢٥٢هـ لإخماد الثورة التي نشبت في الإسكندرية على أمير مصر يزيد بن عبد الله فقمعها وولي الإمرة حتى مات بمصر سنة ٢٥٤هـ. انظر ديوان البحتري، ج٢، هامش ص١٠٠٥.

(٤) المقريزي، الخطط، ج١، ص٢٩٧.

(٥) أدولف جروهمان، أوراق البردي، ج٤، ض١٤٥.

ويؤكد وجود أحمد ابن المُدَبِّر على خراج مصر سنة٢٥٣هـ وسنة ٢٥٤هـ أيضاً، ما ذكره ابن الداية في كتابة المكافأة وحسن العقبى، وذلك من الأمور التي وقعت لأبيه يوسف بن إبراهيم من محاسبة أحمد ابن المُدَبِّر له أثناء ولايته على خراج مصر، وكان ذلك في عهد الوالي مزاحم بن خاقان الذي تولي سنة٢٥٣هـ وتوفي سنة٢٥٤هـ.

فيروي إبراهيم بن يوسف قال(١): كانت بيني وبين أحمد ابن مُدَبِّر سوالف تُرْعَى ويُحَافَظ عليها، فلما تولى مصر رأى حسن ظاهري، فظن ذلك عن أموال جمة لديَّ، فجد بي في المطالبة، وأخرج على بقايا لعقود انكسرت من آفات عرضت لضياعها فاحتبسني مع المتضمنين".

فلم يزل بي إلحاحه في طلب الأموال حتى بعت حُصر داري فضلاً عما فيها. ثم لما لم يستطع هذا الشخص في دفع ما طالبه به ابن المُدَبِّر أرسل إليه قائلاً: "بقي عليك سبعة عشر ألف دينار، فإن أزحت العلة فيها، وإلا سلمناك إلى أبي الفوارس مزاحم بن خاقان أيده الله".

وفي نهاية الأمر سار بي إلى مزاحم، فلما قرئت عليه الرقعة أدخلني إليه، فعرفني مزاحم ولم أعرفه لأن أبا مزاحم كان في الحارة التي فيها دار أبى يوسف في سُرمن رأي، فسهل له الأمر وكتب إلى أمير المؤمنين ببغداد على أن يعفيه من هذا المال، وإما ينجمه عليه وعلى رجاله أى يقوم بتقسيطه له في أوقات معلومة. وبالتالي تأكد وجود أحمد ابن المُدَبِّر على خراج مصر فترة الوالي مزاحم بن خاقان عليها سنة ٢٥٣هـ.

أحمد ابن المُدَبِّر بمصر سنة ٢٥٤هـ :

يروي ابن زولاق(٢) أن أحمد ابن المُدَبِّر تولى خراج مصر بعد موت محفوظ بن

(١) ابن الداية، كتاب المكافأة وحسن العقبي، ص١٩٠-١٩٢.

(٢) ابن زولاق، تاريخ مصر وفضائلها، تحقيق د على عمر، الناشر مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط١، ١٤٢٢ هـ /٢٠٠٢م، ص ٦٨، أيضاً كنز الدرر، ج٥، ٢٥٨.

سليمان عامل الخراج عليها سنة ٢٥٤ هـ فيقول[١]: إن محفوظ بن سليمان قد استمر متوليًا خراج مصر ودفن بها سنة ٢٥٤ هـ،ـ ثم تولى بعده الأمير أحمد بن محمد ابن المُدَبِّر . معنى ذلك أن أحمد ابن المُدَبِّر ولي خراج مصر سنة ٢٥٤هـ ومن ناحية أخرى يطلق ابن زولاق على من تولى خراج مصر لقب الأمير نظرًا لأهمية صاحب هذه الوظيفة، وأيضاً رواية المقريزي[٢] :"أن أحمد ابن طولون دخل مصر يوم الخميس لسبع بقين من رمضان سنة أربع وخمسين ومائتين متقلداً القصبة دون غيرها من الأعمال الخارجة عنها وكان يومئذٍ على خراج مصر أحمد بن محمد ابن المُدَبِّر ".

مسح أحمد ابن المُدَبِّر الأراضي الزراعية بمصر سنة ٢٥٥هـ:

قام أحمد ابن المُدَبِّر عامل الخراج بمصر سنة٢٥٥هـ بعمل "مسح شامل للأراضي الزراعية بمصر، [٣] وكان ذلك في إمارة أحمد ابن طولون وأثناء خلافة المعتز بالله".[٤]

---

(١) يذكر بن زولاق أن الأمير محفوظ بن سليمان تولى خراج مصر بعد الأمير يزيد التركي وذلك في عهد المتوكل على الله الذي عفا عن محفوظ بن سليمان نتيجة لما تبقى عليه من خراج مصر ومقدارها حوالي ثلاثمائة ألف دينار وأن المتوكل قد فك قيده وأخلعه خلعة ثانية ففرح فرحاً شديداً، ثم استمر متولياً حتى مات ودفن بمصر، انظر ابن زولاق، نفسه، ص٦٦ .

(٢) المقريزي، المقفي الكبير، ج١، ص٤٢٠.

(٣) هويدا عبد العظيم رمضان، المجتمع في مصر الإسلامية، ص١١٣.

(٤) مسح الأراضي بمصر: تم مسح مصر والأراضي المصرية مرة أخرى بعد عهد ابن المدبر على يد بدر الجمالي في عهد المستنصر بالله الفاطمي.سنة ٥٠١هـ وعرف بالروك الأفضلي . انظر المأمون البطائحي، أخبار مصر، ص١١، وأيضاً الروك الصالحي نسبة للسلطان صلاح الدين الأيوبي سنة ٥٧٢هـ، وأشهرها في عصر المماليك كان الروك الحسامي نسبة للسلطان حسام الدين لاجين ٦٩٧هـ والروك الناصري سنة ٧١٥هـ نسبة إلى السلطان الناصر محمد بن قلاوون. انظر أبو العباس القلقشندي، صبحي الأعشي في صناعة الإنشا، ج٣، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٩١٤، ص٤٣٦. أيضاً محمد رمزي، القاموس الجغرافي، القسم الأول، ص٩.

ويعرف ذلك بالروك، وهي كلمة قبطية تعني إجراءً زراعياً يتم خلاله القيام بعملية قياس الأرض وحصرها في سجلات وتثبيتها بهدف تعديل ما هو مفروض على البلاد من الأموال الخراجية، على أساس السنة الشمسية التي تشمل على ٣٦٥يوما وربع [١].

ولعل ذلك كان راجعاً وراء رغبة ابن المُدَبِّر الشديدة في جمع المال بدقة على كل شبر من أرض مصر، واستكمال باقي المنظومة المالية التي انتهجها ابن المُدَبِّر .

وقد حدد ابن المُدَبِّر مساحة مصر فقال أبو حازم القاضي: "قال لي أحمد ابن المُدَبِّر أبو الحسن "لو عُمِّرت مصر كلها لَوَفَّت بالدنيا، وقال لي: مساحة مصر ثمانية وعشرون ألف ألف فدان، وإنما يعمل فيها في ألف ألف فدان"[٢].

وقيل إن أحمد ابن المُدَبِّر اعتبر ما يصلح للزراعة بمصر فوجده أربعة وعشرين مليون فدان، والباقي تلف من قلة الزراعة، واعتبر أيضا مدة الحرث فوجدها ستين يوماً"[٣].

وفي رواية أخرى ذكر القاضي أبو حازم عبد الحميد بن عبد العزيز قاضي الواحة[٤]: سألت أحمد ابن المُدَبِّر بالشام عن مصر، فقال: كشفتها فوجدت غامرها أضعاف عامرها"[٥].

ويبدو أن عمل أحمد ابن المُدَبِّر بمصر كان يأخذ منه كل وقته ويقع عليه مجهود كبير حتى ينفذ هذا العمل فيقول: "إنه كان يتقلد ديوان الخراج ببغداد [٦] ''المشرق

---

(١) جروهمان، أوراق البردي، ج٢، ص٥٤، نقلاً عن قوانين الدواوين لابن مماتي ص٢٦.

(٢) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص١٣٨، أيضا ساويرس ابن المقفع، سير الآباء البطاركة، تحقيق د/ عبد العزيز جمال الدين، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠٠٢م، ج٣، ص٥٩٧.

(٣) هويدا عبد العظيم، المجتمع المصري، ص١١٢.

(٤) النجوم الزاهرة، ج١، ص٣٢.

(٥) الغامر من الأرض خلاف العامر، وهو ما غمره ماء أو رمل أو تراب، وصار لا يصلح للزرع، انظر ابن زولاق، فضائل مصر، هامش ص٩٤.

(٦) ديوان الخراج ببغداد: لقد توسع ديوان الخراج ببغداد حتى صرنا نشهد عدة دواوين تقوم وهى: ديوان السواد، وديوان المشرق، وديوان المغرب، وقد عُدت هذه الدواوين مع مجالسها وحدة متماسكة يتكون منها ←←←

والمغرب "، فقال :ولم أبت قط ليلة من الليالي حتى أنهيه ولا أبقيه، وتقلدت مصر فكنت ربما نمت، وقد بقي عليَّ شيء من العمل فأستتمه إذا أصبحت"(١).

وقوله إنه كان يتقلد ديوان المشرق والمغرب فالمقصود بها هو ديوان خراج الجزء الشرقى ببغداد(٢) وأيضًا ديوان خراج الناحية الغربية فقد كان لكل ناحية ديوان خاص بها، ودليل ذلك أيضا أن الناحية الشرقية ببغداد كان لها قاضٍ، والناحية الغربية لها قاضٍ آخر وذلك في خلافة المتوكل على الله العباسى(٣) .

الضرائب التي فرضها أحمد ابن المُدَبِّر في مصر بين سنتي ٢٤٧هـ – ٢٥٣هـ :

كانت أحوال مصر الاقتصادية قُبَيْل مجيء ابن طولون وفي السنوات الأولى التي أعقبت قدومه قد تناهت في السوء"(٤)، وكان ذلك راجعاً بصورة واضحة بسبب فرض الضرائب المتعددة التي وضعها أحمد ابن المُدَبِّر فترة وجوده بمصر بعد أن عُيِّن عاملاً على الخراج بها، ''فأسرف في القسوة في جمع الخراج والجزية"(٥).

→→→

ديوان الخراج إذ كان لكل ديوان مجلس خاص به.انظر فرات حمدان، كتاب تجارب الأمم لمسكويه '' الجوانب الاقتصادية والمالية''، ص٣٥٦.

(١) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص١٣٨.

(٢) الجزء الشرقى ببغداد: كانت خزانة المال ببغداد لا تُعنى إلا بدار الخلافة وحاجاتها وشئون الدواوين وبالجزء الشرقى من بغداد، لأنه كان بحسب رسم خاص تابع لدار الخلافة، أما الجانب الغربى وهو بغداد الحقيقية فكان جزءًا من عمالة بادوريا.انظر آدم متز، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع، ج١، ص١٨٤.

(٣) الطبرى، تاريخ، ج٩، ص١٨٩.

(٤) حسن أحمد محمود، حضارة العصر الطولوني، ص٥٠.

(٥) ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص١٦٦، أيضا ابن زولاق، تاريخ مصر وفضائلها، ص ٦٨.

وكان ابن المُدَبِّر قد تمادي في ظلاماته حتى أصبح المفروض على المصريين أربعة أضعاف ما كان عليهم بالأمس، "بل افْتَنَّ في فرض الضرائب حتى أصبحت البلاد على شفا حفرة من الإفلاس"(١).

ولم تكن في الدولة الإسلامية كلها إلا الضرائب الإسلامية الخالصة مثل الجزية والخراج والعشور(٢)، لكن لما قدم ابن المُدَبِّر إلى مصر فرض عدداً من الضرائب عرفت بالمال الهلالى لأنها كانت ضريبة تُحصَّل شهرياً"(٣)، فكانت هذه الضرائب زيادة عن الضرائب المعروفة.

فيذكر المقريزي(٤) :"أن أول مَن أحدث مالاً غير الخراج بمصر هو أحمد ابن المُدَبِّر بعد عام ٢٥٠هـ، فإنه كان من دهاة الناس وشياطين الكُتَّاب" .

ولذلك فقد كره الشعب المصري ابن المدبر، وتضررت أغلب طوائفه من أفعاله وتصدت له بأكثر من وسيلة ودعوا عليه بدلا من أن يدعوا له فكانت هذه الكراهية نتيجة طبيعية لما فرضه عليهم من ضرائب (٥)

---

(٤) Zaky M. Hassan: Les Tulunides, p 242.

(٢) آدم متز، نفسه، ج١، ص١٨١.

(٣) قسم المقريزي نقد مصر إلى قسمين: خراجي وهلالي، وأن المال الهلالى عدة أبواب كلها أحدثها ولاة السوء شيئاً بعد شيء، والمال الهلالي هو الذي يُستأدى مشاهرة أي شهرياً، أما المال الخراجي، فهو ما يؤخذ مسانهة أي سنويا، انظر المقريزي، الخطط، ج١، ص٢٩٦، ويبدو أن هذه الضرائب استمرت بعضها أو كلها حتى أبطلها السلطان الناصر سنة٧١٠هـ، انظر ابن تغري بردي، النجوم، ج٩، ص٤٩.

(٤) المقريزي، الخطط، ج١، ص٢٩٧، أيضاً القلقشندي ت٨٢١هـ: أحمد بن عبد الله، مآثر الإنافة في معالم الخلافة، عبد الستار فراج، مطبعة حكومة الكويت، ج١، ١٩٦٤، ص١١١.

(٥) إيمان مصطفي عبد العظيم، سياسات الخراج المصري، ص٣٣٧ .

أنواع الضرائب التي فرضها ابن المُدَبِّر :

أما عن الضرائب الجديدة التي أضافها ابن المُدَبِّر فهي كالآتي:

١-**ضريبة على النطرون:** "حيث جعل النطرون حكراً على الدولة، أي يحظر بيعه أو شراؤه إلا من خلاله وكان قبل ذلك مباحاً لمن يأخذه، وقيل إن هذه الضريبة فرضت سنة ٢٥٤هـ، وعمل له ديوان خاص به" (١).

٢- **ضريبة المراعي:** وهي ضريبة فرضها ابن المُدَبِّر على المراعي وهي الكلأ المباح، وضاعف بصفة عامة الضرائب على المسلمين.

٣- كما فرض على أهل الذمة ضريبة على رهبان دير وادي الأسقيط (وادي النطرون) (٢)، وقد فرض الضرائب أيضاً على أوقاف الكنائس والأديرة في عهد المعتز العباسي فأرسل البطريرك رجلين من عنده إلى الخليفة ببغداد يشكو له هذه الضرائب (٣) وفي عهد المنتصر بالله استمر ابن المدبر على خراج مصر وعندما سمع البابا بذلك "حزن وقال الله يزيل عن شعبه مؤامرة الشرير، ثم اختفى حتى يقلل ابن المدبر الخراج عن الأقباط إلا أنه لم يفعل بل زاد بطشه، وأثقل الخراج على الرهبان فتزوجوا وتركوا الأديرة المقدسة " . (٤)

---

(١) قاسم عبده قاسم :أهل الذمة في مصر في العصور الوسطى، القاهرة، ١٩٧٧م، ص٤٤.

(٢) سمير وديد جرجس، هجمات البربر على الأديرة، "دير وادي النطرون"القاهرة، ٢٠٠٢ م، ص١٥، ص١٢١.

(٣) لجنة التأليف القبطي، كتاب خلاصة تاريخ الكنيسة، الناشر مجلة مرقس، ١٩٩٦م، ص١٣١.

(4)http://www.coptichistory.org/new-page-1999,htm

وقيل إن رهبان دير القصير [١]، شكوا إلى أحمد ابن طولون "أن أحمد ابن المُدَبِّر يطلب منهم جزية رؤوسهم" [٢]، فكتب إليهم ابن طولون بإسقاطها وإعفائهم، وقال لهم استعملوا المداراة والاستكانة في إيصاله إليه" [٣] .فقد نبَّه عليهم ابن طولون ألا يستخدموا الكتاب المذكور كسيف يضرب به وإنما يظهروا الخضوع ويبلغوا أمر الكتاب إلى ابن المُدَبِّر في هدوء قبل أن يواجهوه بها.

٤– ضريبة على المصايد: فقد أوجد ضريبة على صيد الأسماك لم تكن موجودة من قبل وأنشأ لها ديوانا لتحصيل هذه الضريبة سماه ديوان، "خراج مضارب الأوتار ومغارس الشباك"[٤]، وقيل "إنه فرض هذه الضريبة مع ضريبة رعي المواشي بين سنتي ٢٤٧هـ، ٢٥٣هـ"[٥]، " وهكذا فقد اخترع ابن المدبر منذ عهد الخليفة المتوكل على الله ضرائب لم تكن موجودة من قبل فانهالت على خزينة الدولة أموال كثيرة " [٦]

ومن هنا كان هَمُّ ابن المُدَبِّر الأول والأخير هو جمع الأموال والضرائب من أي مصدر كان، بصرف النظر عما يحدثه من هلاك للزرع والنسل، وربما يؤكد ما فعله بمصر من استبداده في جمع الأموال، بقيامه بفرض هذه الضرائب نفسها على الشام فترات وجوده بها.

---

(١) دير القصير: كان في أعلى المقطم، يطل على الصحراء والنيل، انظر ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، ج٢٤، ص٨٤

(٢) البلوي، سيرة ابن طولون، ص٤٣.

(٣) المقريزي، المقفي الكبير، ج١، ص٤٤٤.

(٤) البلوي، نفس المصدر، ص٤٣.

(٥) أدولف جروهمان، محاضرات في أوراق البردي العربية، " المحاضرة الرابعة"، ترجمة توفيق اسكاروس، تصدير د / فاروق جميل جاويش، دار الكتب والوثائق، القاهرة ٢٠١٠م .

(6)http:www.coptichistory,org/new-page-1999,htm

وقيل إن هذه الضرائب كانت تعرف بالمرافق والمعاون، فإذا لم تكن كلمة المرافق يقصد بها كلمة عامة فهي تدل مباشرة على ما يُحَصَّل من مال على المراعي والمنتجات المحلية، حيث كانت المرافق تشمل المال الهلالي أيام ابن المُدَبِّر ثم أسقطها ابن طولون(١)".

وقيل إن هذه الضرائب عادت بعد ابن طولون بدليل "أن أبا الحسن على بن عيسى ابن الجراح (٢) قد حرص عند دخوله مصر أن ينقض شيئاً منها فلم يتهيأ له"، وفرضها الفاطميون وعرفت بالمكوس ثم ألغاها صلاح الدين الأيوبي وفي عهد المماليك كانت تعاد وتلغى(٣) .وهكذا بسبب هذه الضرائب اعتبر البعض أن "خراج مصر كان يدل على خرابها عند تسلم ابن طولون لها من ابن المُدَبِّر " (٤).

حيث بلغ خراج مصر في عصر أحمد ابن طولون أربعة آلاف ألف دينار بعد ما كان انحط خراجها إلى ثمانمائة ألف دينار في أيام أحمد ابن مُدَبِّر عامل خراج مصر" (٥)، وقيل وقيل أن أحمد ابن طولون كان له قوة عظيمة أن يستخرج خمسة آلاف ألف دينار في القرن الثالث الهجري (٦)، أو ربما لأن ابن طولون اتبع خطوات إصلاحية من عمران

---

(١) إحسان عباس ت١٤٢٤هـ، العرب في صقلية "دراسة في التاريخ والآداب"، الناشر دار الثقافة بيروت، ط١، ١٩٧٥م، ج١، ص٦٩.

(٢) على بن عيسى: قدم على بن عيسى بن الجراح من مكة إلى مصر لكشفها سنة٣١٣هـ، وخرج منها بعد ثلاثة أشهر للرملة، ابن تغري بردي، النجوم، ج٣، ص٢١٣.

(٣) ابن تغري بردي، نفسه، ج١٥، حاشية ص١٢٢.

(٤) البلوى، سيرة ابن طولون، ص٣٥.

(٥) السيوطي: حُسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، ج١، ص٥٩٥، أيضا ابن إياس الحنفي ت٩٣٠هـ، ت٩٣٠هـ، جواهر السلوك في أمر الخلفاء والملوك، تقديم وتحقيق وتعليق د/ محمد زينهم، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ٢٠٠٦م، ص٦٣.

(٦) آدم متز، الحضارة الإسلامية، ج١، ص٢١٥.

الأرض وحفر الترع والقنوات وتيسير سبل الري، نموذجاً لصاحب الخراج متحري العدل في تطبيق جباية الضرائب [١]

ويذكر بن إياس في كتابه بدائع الزهور[٢] :"أنه في أيام أحمد ابن المُدَبِّر قد انحط خراج مصر إلى الغاية حتى بقي ثمان مائة ألف دينار بعدما كان يجبى في أيام من تقدمه من أمراء مصر اثنا عشر ألف ألف دينار".

وطبقًا لما ورد من صيغ شائعة في إيصالات الضرائب ـ السابقة على عهد ابن المُدَبِّر ـ وأيضا طبقًا لما ورد في أوراق البردى كانت هذه الضرائب تؤدى على أساس المعيار الرسمى لوزن العملة المودعة ببيت المال[٣]. أما عن بداية فرض هذه الضرائب فيذكر ساويرس " أنه في أثناء ولاية مزاحم بن خاقان في سنة٢٥٣هـ، كتب أحمد ابن المُدَبِّر إلى جميع أراضي مصر بأن يؤخذ من كل واحد خراجين في تلك السنه، وكل نصراني جزيتين فزاد الذين بأرض مصر فقراً لهذا السبب حتى إن الأغنياء لم يجدوا خبزاً ولم يقدروا عليه[٤] .

أبواب الفرما:

قيل إن أحمد ابن المُدَبِّر ـــ عامل خراج مصر للمتوكل ـــ كان بتِنّيْس[٥] فتوجه إلى الفرما[٦] فهدم أبوابا من حجارة شرق الحصن لتُحمل لبناء داره

(١) إيمان مصطفي، سياسات الخراج المصري، ص٣٣٩.

(٢) بن اياس، بدائع الزهور، ج١، ق١، ص١٥٩.

(٣) جروهمان، أوراق البردى العربية، ج٢، ص٤٤.

(٤) هويدا عبد العظيم رمضان، المجتمع، ص٢٥٣.

(٥) تِنّيْس: بكسرتين وتشديد النون، وياء ساكنة، والسين المهملة هي جزيرة في بحر مصر قريبة من البر ما ما بين الفرما ودمياط. انظر ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٥١.

(٦) الفرما: هى أول مدن مصر من جهة الشمال، وهى مدينة كبيرة قديمة أزلية بها آثار عجيبة تدل على أنها كانت دار مملكة، ويقال إن الذى بناها هو الفرما الملك، ووجه ابن المُدَبِّر لهدمها لأن بها رخاما في شرق الحصن احتاج أن يعمل منه فرشًا في داره فمنعه أهلها، الحميري ت٩٠٠هـ: أبو عبد الله محمد، ←←←

بمصر[١] ـ قبل وجود أحمد ابن طولون بها ـ فلما هدم منها حجراً أو حجرين خرج إليه أهل الفرما بالسلاح فمنعوه وقالوا له: '' هذه الأبواب التي قال يعقوب عليه السلام لبنيه:'' لاَ تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ واحِدٍ وادْخُلُوا مِن أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَة ''[٢] .

وقد ذكر ابن دقماق[٣] هذه الدار وحدد مكانها وتاريخ هدمها فقال :'' كانت دار أحمد ابن المُدَبِّر عامل الخراج بمصر للمتوكل، وكان موضع سوق الرقيق بالفسطاط رحبة أمامها، فلما نكب أحمد ابن طولون ابن المُدَبِّر سنة ٢٥٥هـ هدم داره وجعل رحبتها سوقا للرقيق .''

مراحـل الصـراع بـين أحمـد ابـن طولـون وأحمـد ابـن المُـدَبِّر بمصـر (٢٥٤هـ-٢٧٠هـ /٨٦٨م ـ ٨٨٣م) :

مرت هذه الفترة التي تبدأ بسنة ٢٥٤هـ وهى تاريخ قدوم أحمد ابن طولون إلى مصر وتنتهي بسنة ٢٧٠هـ وهي تاريخ وفاة أحمد ابن المُدَبِّر على أيدي ابن طولون بعدة مراحل من الصراع والنزاع بين الرجلين، وقد قسمت هذه المراحل على أساس فترات وجود ابن المُدَبِّر أو عزله عن الخراج لذلك فقد جاءت أحداث هذه الفترة على ثلاثة مراحل هي:

أولاً: المرحلة الأولى: "٢٥٤هـ -٢٥٦هـ" "٨٦٨م ـ ٨٦٩م"

←←←

الروض المعطار في خبر الأقطار، المحقق إحسان عباس، الناشر مؤسسة ناصر للثقافة بيروت، ط٢، ١٩٨٠م، ج١، ص ٤٣٩، أيضا ابن دقماق، الانتصار لواسطة عقد الأمصار، ج٥، ص٥٣، وهى مدينة على الساحل من ناحية مصر، وهى مدينة قديمة بين العريش والفسطاط شرقى تنيس على ساحل البحر يمين القاصد لمصر، ياقوت الحموى، معجم البلدان، ج٤، ص٢٥٦ .

(١) ابن الكندى: عمر بن محمد بن يوسف، فضائل مصر المحروسة، تحقيق د / على محمد عمر، ط١، الناشر مكتبة الخانجى القاهرة، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م، ص٣٥.أيضا ابن زولاق، فضائل مصر وأخبارها، ص٥٨.

(٢) سورة يوسف آية ٦٧.

(٣) ابن دقماق، الانتصار، ج٤، ص ٣٤.

ثانيا: المرحلة الثانية: "٢٥٦هـ –٢٥٩هـ" " ٨٦٩م ـ ٨٧٢م"

ثالثاً: المرحلة الثالثة: "٢٥٩ هـ–٢٧٠هـ" "٨٧٢م ـ ٨٨٣م"

المرحلة الأولى: "٢٥٤هـ –٢٥٦هـ" " ٨٦٨م– ٨٦٩م "

بدأت هذه المرحلة بوصول أحمد ابن طولون إلى مصر لسبع بقين من شهر رمضان سنة ٢٥٤هـ[١]، وكان على خراجها وقتها أحمد ابن المُدَبِّر، وعند وصول ابن طولون إلى مصر في هذه السنة كان يرافقه أحمد بن محمد الواسطي[٢]، وكان ابن طولون متقلداً على حاضرتها الفسطاط دون غيرها، وذلك في عهد الخليفة العباسي المعتز بالله والذي تم خلعه في شعبان سنة ٢٥٥هـ [٣] .

وكانت السياسة السائدة آنذاك ألا يتولى مصر شخص واحد، وإنما كانت السلطة في هذا الإقليم موزعة على عدة قوى لتكون كل قوة عيناً ورقيباً على الأخرى"[٤]، فكان الخراج

---

(١) ابن سعيد المغربي، المُغْرب في حلي المغرب، ص٧٦، أيضا المقريزي، المقفي الكبير، ج١، ص٤٢٠، ٤٢١، أيضا شمس الدين محمد ابن طولون الدمشقي ت (٩٥٣هـ)، العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الطولونية، تحقيق مهنا أحمد مهنا، دار ابن حزم، القاهرة، ص١٥.

(٢) أحمد بن محمد الواسطي: هو كاتب ابن طولون بمصر، وقد كان مع المستعين أثناء وجود ابن طولون بطرسوس، ثم قدم هذا الشاب مع ابن طولون بعد ذلك إلى مصر وقت قدومه أول مرة سنة ٢٥٤هـ، وأصبح موضع ثقته، ابن سعيد المغربي، نفس المصدر، ص٧٥، أيضا المقريزي، الخطط، ج١، ص١٠٤.

(٣) كان الخليفة المعتز بالله، " ٢٥٢هـ –٢٥٥هـ". قد عهد بمصر للقائد التركي بايكباك والذي عهد بدوره إلى أحمد ابن طولون بأن يكون نائباً عنه بها، لكن لم تكن مصر كلها إنما كان على الفسطاط فقط، وكان بايكباك متزوجا من أم أحمد ابن طولون بعد وفاة والده فأقطع أحمد حكم مصر أي الفسطاط، وكان على الإسكندرية نائب خاص بها، وعلى برقة نائب آخر حيث كانت برقة تتبع مصر. انظر: ابن سعيد المغربي، نفسه، ص ٧٦، أيضاً المقريزي، المقفي الكبير، ج١، ص٢٤١، أيضا ساويرس بن المقفع، تاريخ بطاركة الأسكندرية، ج٥، ص٢٤٤.

(٤) محمد أحمد زيود، العلاقات بين الشام ومصر في العهدين الطولوني والإخشيدي "٢٥٤هـ –٣٥٨هـ/ ٨٦٨ –٩٦٨هـ، دار حسان للطباعة والنشر، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ–١٩٨٩م، ص٢٢.

في يد أحمد ابن المُدَبِّر، وهو دائماً يعمل للدس بين هذه القوى، وكان على القضاء بكار ابن قتيبة، وعلى البريد شقير الخادم غلام قبيحة أم المعتز، والإسكندرية عليها إسحاق بن دينار، وعلى برقة أحمد بن عيسى الصعيدي"(١).

وقد خرج ابن المُدَبِّر لمقابلة ابن طولون عند قدومه إلى مصر بالهدايا والأموال ما مقداره عشرة آلاف دينار(٢)، إلا أن ابن طولون ردها جميعاً، ثم طلب من ابن المُدَبِّر " المائة غلام الغور"(٣)، التي تمشى حوله، وقد أراد ابن طولون بذلك كسر هيبة ابن المُدَبِّر أمام المصريين.

وكان ابن المُدَبِّر قد أقلقه رد ابن طولون للهدايا التي أرسلها إليه فقال: ما ينبغي أن يتقى السلطان بمن لم يكن لعشرة آلاف دينار في عينه قدر على طرف من أطراف مملكته.

ولما طلب منه الغلمان تأكد من صدق ظنه بابن طولون فقال(٤): " قد ظهرت في هذا الرجل علامة أخرى، يرد الأغراض والأموال، ويستهدي الرجال"، أي يطلب الرجال هدية.

---

(١) محمد أحمد زيود، نفسه، ص٢٣.أيضاً سيدة إسماعيل كاشف، أحمد ابن طولون، الدار المصريه للتأليف والترجمة، القاهره، ١٩٦٥م، ص٥٩.

(٢) الهدايا والأموال: أهدي ابن المُدَبِّر لأحمد ابن طولون عند قدومه "من دِق مصر . أي الثياب القباطي – ودوابها والرقيق المجلوب إليها ما مقداره عشرة آلاف دينار، فرد ذلك عليه ابن طولون، وذكر أنه لا حاجة له بشيء منها فلما مضت أيام بعث إليه ابن طولون إنه قد بلغني أنه عندك مائة رجل من مولدي الغور وبي إليهم أمس الحاجة". انظر ابن الداية ت ٣٤٠ هـ، أبو جعفر أحمد بن يوسف الكاتب، كتاب المكافأة، صححه وضبطه وشرحه أحمد أمين وعلي الجارم بك، الطبعه الاولى، بولاق، القاهره، ١٩٤١ م، ص١٣١، أيضا البلوي، سيرة ابن طولون، ص٤٤، ٤٥.

(٣) الغلمان الغور: الغور هي بلاد موحشة بين هراة وغزنة، كان يؤتي منها بالسبي يولد ويربي، ابن الداية، نفسه، هامش ص١٣٢.

(٤) ابن الداية، المكافأة، ص ١٣٢، ١٣٣ .

وقد تنبه ابن المُدَبِّر منذ اللحظة الأولى لاتساع آمال ابن طولون فكتب[١] بذلك ابن المُدَبِّر إلى على بن الحسن المدائني ـ كاتب الخليفة ـ مبينًا أن مثل هذا الرجل يجب ألا يكون بعيداً عن الحضرة، واتهمه بأنه جاد في الاستقلال بها، وكتب بنفس المعني أيضا عامل البريد على مصر ـ شقير الخادم ـ فأرسل الاثنان معاً بكتب إلى الحضرة "[٢].

ولما علم ابن طولون بذلك أدرك أن استمراره في ولاية مصر مرهون برضى القوى المسيطرة في بغداد وسامراء ومدى دعمها له، ولذلك عمل منذ اللحظة الأولى على إيجاد قوة هناك تقف إلى جانبه وتدعمه في الاستمرار رغم كثرة الوشاة والكتب المتلاحقة من ابن المُدَبِّر وشقير الخادم عامل البريد.

فقد أرسل ابن طولون أحمد بن محمد الواسطي بالهدايا إلى الحضرة، [٣] واستطاع ابن طولون استمالة معَمّر الجوهري الموجود عند الخليفة بالعراق فأعلمه بأمر هذه الكتب[٤].

أما عن العلاقة غير الودية التي أصبحت موجودة بين ابن طولون وابن المُدَبِّر فلعل السبب فيها هو قوة شخصية كلا الرجلين، فابن المُدَبِّر الذي وصفه المقريزي[٥]: "بأنه كان من دهاة الناس وشياطين الكُتَّاب" جعلته هذه الصفات يدرك قوة ابن طولون ومدي خطره عليه، وعلى الوجه الآخر كان ابن طولون يتسم بشدة ذكائه وقوة شخصيته، ولعل نشأته مع أبيه في قصر الخلفاء ببغداد وسامراء جعلته قريباً من المطبخ السياسي وبالتالي معرفته الأكيدة بشخصية ابن المُدَبِّر وقت أن كان ببغداد، ولذلك حاول أن يزيحه عن طريقه

(١) البلوي، سيرة ابن طولون، ص٥٧.

(٢) عن كتب ابن المُدَبِّر وشقير إلى الحضرة انظر ابن سعيد المغربى، المغرب، ص٧٧ وأيضا البلوي، ص٤٥.

(3)Zaky M.Hassan: Les tulunides , p33 .

(٤) عن ابن طولون والناس الذين يساعدونه في الحضرة ببغداد وسامراء، وطرق التخلص من ابن المُدَبِّر انظر حسن محمود، العصر الطولوني، ص٣٤، ٣٥.

(٥) المقريزي، الخطط، ج١، ص٢٩٧.

وقويت هذه الرغبة عند ابن طولون بعدما وصلته الكتب العدائية التي أرسلها ابن المُدَبِّر وصديقه ابن شقير إلى العراق.

وبعدما اتضحت طبيعة العلاقة بين الطرفين، كان لابد من تحديد الفترة التي قضاها ابن المُدَبِّر على خراج مصر حتى عزل منها في المرحلة الأولى، ولو بصورة أقرب إلى الصحة معتمدة في ذلك على بعض الأحداث أو الأمور التي تقربنا إلى الحقيقة وتثبتها.

عزل أحمد ابن المُدَبِّر عن الخراج للمرة الأولى سنة ٢٥٥هـ:

كان عزل أحمد ابن المُدَبِّر للمرة الأولى في عهد الخليفة المعتز بالله عن خراج مصر بسبب النزاع بينه وبين ابن طولون حيث " كتب كل واحد منهما في صاحبه إلى الخليفة وكان بايكباك وقتها متغلباً على الخليفة، فنصر بايكباك ابن طولون، فكتب بعزل أحمد ابن المُدَبِّر وتوليته رجلا من أهل مصر يقال له محمد بن هلال [١]، "فتولى الخراج وقبض ابن طولون على ابن المُدَبِّر وألبسه جبة صوف، ووقفه في الشمس فأقام على هذا الحال ثلاثة أشهر" [٢] وعلى هذا فقد تأكد عزل أحمد ابن المُدَبِّر عن خراج مصر في حدود شهر جمادي الأول سنة ٢٥٥هـ، وخلال عهد المعتز بالله، وذلك لأن محمد بن هلال لما عاقب

(١) محمد بن هلال: تقلد خراج مصر، وصرف ابن المُدَبِّر عنه، واجتمع الاثنان عند أحمد ابن طولون، فاهتدى محمد بن هلال إلى ما لم يظن أنه يقف عليه لأنه أول ما ناظره قال: رزق الخراج كذا وكذا، وأرزاق الدواوين المضافة إليه كذا وكذا، فهل قيضت جملة هذه الأرزاق ؟ قال ابن المُدَبِّر: نعم ما حضرني كتاب أمير المؤمنين بإطلاق جميع الرزق لك، لأنه يجوز أن يكون استعملك على جميع الأعمال برزق الخراج وحدهُ فانقطع إلى ابن المُدَبِّر وطالبه بالمال فقال: "ما يلزمني؟. ورد إلى يد محمد بن هلال فألبس جبه كانت على بعض الساسة – أي من يقومون على خدمة الدواب – وأقيم في الطريق على كناسة وختمت الجبة في عنقه .انظر ابن الداية، كتاب المكافأة، ص١٣٨، ١٣٩.

(٢) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٤٧٠، أيضاً محمد أحمد زيود، العلاقات بين الشام ومصر، ص٢٤

ابن المُدَبِّر حبسه لمدة ثلاثة شهور ثم تم الإفراج عنه وعودته إلى الخراج مرة أخرى بعد شهر رجب سنة ٢٥٥ هـ فقد ذكر اليعقوبي: (١)

" أن المهتدي بالله ردّ أحمد ابن المُدَبِّر إلى خراج مصر بعد تولية الخلافة ".

عزل أحمد ابن المُدَبِّر للمرة الثانية:

بعد عودة أحمد ابن المُدَبِّر إلى الخراج مرة أخرى بعد شهر رجب سنة ٢٥٥ هـ، عمل بها حوالي ثلاثة شهور فقط وتم عزله مرة ثانية فيروي اليعقوبي: (٢) " أن ابن المُدَبِّر لما عاد من عزله الأول " أقام بها تسعين يوماً، ثم ورد كتاب بايكباك إلى أحمد ابن طولون بإزالة ابن المُدَبِّر، ورد النظر إلى محمد بن هلال ففعل ذلك "

وبذلك يكون عزله هذه المرة في حدود شهر شوال من نفس السنة، فمعني ذلك أنه عُزل هذه المرة خلال عهد المهتدي بالله أما الروايات التي تذكر أن ابن المُدَبِّر كان على خراج مصر حتى ٢٥٥هـ فمنها:

١- ما ذكره صاحب الانتصار عند حديثه عن دار أحمد ابن المُدَبِّر بالفسطاط(٣) : "أن نكبته على يد ابن طولون كانت سنة ٢٥٥هـ، ثم كان هدم داره بالفسطاط سنة ٢٥٦هـ وإحلال سوق الرقيق محلها، بعد أن كان هذا السوق موجودا فقط في الرحبة التي أمام الدار".

٢- وقيل إنه ربما سكت ابن طولون عن أفعال ابن المُدَبِّر في أيام الخليفة المعتز بالله، وكان تحركه فيها مع عهد الخليفة المهتدي، على الرغم مما ذكره البعض أن "ابن المُدَبِّر ذهب إلى الشام سنة ٢٥٤هـ"(٤).

---

(١) اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٤٧٢.

(٢) اليعقوبي، نفسه، ج ٢، ص ٤٧٢.

(٣) ابن دقماق، الانتصار، ج٤، ص٣٤.

(٤) البلوي، سيرة ابن طولون، ص٤٥.

٣- ومما يؤكد القول بأن ابن المُدَبِّر كان على خراج مصر سنة ٢٥٥هـ أيضا هو خروج ابن طولون إلى الشام في هذه السنة، وتعميده كنيسة مريم في الشام بعد احتراقها أثناء وجوده هناك، وابن المُدَبِّر وقتها كان على الخراج.

وقيل إن خروج أحمد ابن طولون لحرب عيسى ابن الشيخ بالشام(١)، كان في رجب سنة ٢٥٥هـ، وهو نفس الشهر الذي تولى فيه المهتدي الخلافة خلال هذه السنة(٢) . وفكرة ارتباط عيسى ابن الشيخ بوجود ابن المُدَبِّر في مصر ترجع إلى أن عيسى ابن الشيخ كان واليًا على فلسطين والأردن ثم تغلَّب على دمشق وقطع الحمل عن بغداد، وقد اتفق أن ابن المُدَبِّر كان على خراج مصر وقتها وحمل مالاً من مصر إلى بغداد، مقداره سبعمائة وخمسون ألف دينار، فأخذها عيسى ابن الشيخ ورفض إرجاعها للخليفة"(٣).

المهم أنه قد تأكد عزل أحمد ابن المُدَبِّر عن خراج مصر لأول مرة وكان في حدود شهر جمادي الأول سنة ٢٥٥هـ بعد قدوم ابن طولون إليها، حيث تؤكد الروايات تولي محمد بن هلال الخراج، ومحاسبته لابن المُدَبِّر على الأموال وحبسه له ثلاثة شهور وأقامه في الشمس"(٤).

ثم عودته مرة أخرى بعد شهر رجب سنة ٢٥٥هـ وعمل لمدة ثلاثة شهور فقط، ثم تأكد عزله في نفس السنة حوالي شهر شوال من نفس السنة وتولية محمد بن هلال مرة أخرى على الخراج.

---

(١) عيسى ابن الشيخ: كانت ولاية عيسى بن الشيخ بن السليل الشيباني على الرملة في أول ذي الحجة سنة ٢٥٢هـ في عهد الخليفة المعتز بالله العباسي، وقيل إنه أعطي أربعين ألف دينار على ذلك وضمنها إليه، انظر الطبري، تاريخ، ج٩، ص ٣٧٢.

(٢) البلوي، نفسه، ص٥٠، ٥١. أيضاً ساويرس، تاريخ البطاركة، ج٥، ص٣٧٩.

(٣) ابن تغري بردي، النجوم، ج٣، ص١٣.

(٤) ابن الداية، المكافأة، ص١٣٨ .

ويبدو أن محمد بن هلال ظل يتولى الخراج حتى سنة ٢٥٦هـ ولدينا دليل مادي على وجوده في تلك السنة وهو قطعة من النسيج أرسلها محمد بن هلال إلى الخليفة عليها سطر من الكتابة بالخط الكوفي البسيط من الحرير الأحمر ونصها "بركة من الله لعبد الله محمد الإمام المهتدي بالله أمير المؤمنين أيده الله مما عمل بالسكندرية على يد محمد بن هلال سنة ست وخمسين ومائتين"(١) .

وابن طولون وقتها كان على الفسطاط فقط، ولذلك فليس مصير مصر كلها في يده،(٢) وبسبب ذلك فالكتاب الخاص بولاية ابن هلال الخراج كان من قبل الخليفة حيث أمر بتعيينه على خراج مصر، وليس ابن طولون هو الذي عينه.

أما عن الروايات الأخرى التي تدلل على أن عزل أحمد ابن المُدَبِّر عن خراج مصر في المرة الثانية كان قد استمر إلى آخر سنة ٢٥٦ هـ فهي :

١- بعد عزل المهتدي لأحمد ابن المُدَبِّر عن خراج مصر ولاه بعدها خراج فلسطين، وكانت له معه أخبار، وأنه لما وصل فلسطين حمل مالاً إلى سامراء"(٣)، وعلى هذا تكون الأموال خرجت من فلسطين وليس من مصر.

٢- ربما تلكأ ابن المُدَبِّر في تسليم ما بيده من الأموال، فقبض عليه ابن طولون لذلك وأودعه السجن، حيث ظل فيه إلى أن ولي المعتمد على الله الخلافة سنة ٢٥٦هـ، حيث أمر بعودته إلى عمله"(٤).

---

(١) سيدة كاشف، أحمد بن طولون، ص63 .

(2)Zaky M.Hassan: Les tulunides , p44.

(٣) المسعودي، مروج الذهب، ج٢، ص١٥١، أيضا ابن سعيد، المغرب في حلي المغرب، ص١١٦.

(٤) البلوي، سيرة ابن طولون، ص٥٩

٣- وقيل إن المعتمد لما وصل إلى سدة الحكم كتب إلى ابن طولون يستحثه في حمل الأموال إلى بغداد، فقال لا أطيق ذلك والخراج بيدي غيري"[١]. فمعني ذلك هو استمرار ابن المُدَبِّر على خراج مصر في هذه السنة ٢٥٦هـ.

٤- وقيل عن سبب عودته هو أن الموفق عدو أحمد ابن طولون قد جهد لإصدار أمر من المعتمد بعد تولية الخلافة في ١٤ رجب سنة ٢٥٦ هـ إلى أحمد ابن طولون يأمره برد أعمال الخراج بمصر إلى أحمد ابن المُدَبِّر مرة ثانية "فأخرجه من معقله، وأعيد إلى منصبه كعامل للخراج في مصر يوم السبت في الثالث والعشرين من ذي القعدة سنة ٢٥٦هـ، وعزل ابن هلال وكان حبسه تسعة أشهر وخمسة وعشرين يوماً [٢].

وهكذا يكون ابن المُدَبِّر قد عزل في أواخر سنة ٢٥٥ هـ وحبس خلال سنة ٢٥٦هـ، ثم كانت عودته خلالها أيضا لكن مع نهاية هذه السنة. ويؤكد ذلك الدليل المادى الذى ذكرته منذ قليل –هدية محمد بن هلال للخليفة– ورغم عودة ابن المُدَبِّر لخراج مصر هذه المرة إلا أنه بقي محدود السلطة مع ابن طولون أثناء تعايشه معه هذه المرة، الأمر الذي اضطر ابن المُدَبِّر بالكتابة إلى أخيه إبراهيم فيما بعد"[٣].

ويبدو أن ابن المُدَبِّر بعد عودته إلى عمله مرة أخرى سنة ٢٥٦هـ، قام ببناء داره الجديدة بعد أن هدم ابن طولون داره القديمة " فقد أورد ابن دقماق[٤] رواية تبين موقع هذه

(١) ابن خلدون ت ٨٠٨ هـ: عبد الرحمن بن خلدون، تاريخ، المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، دار الفكر، لبنان، ٢٠٠٠م، ج٤، ص٣٩٨، أيضاَ المقريزي، المقفي الكبير، ج١، ص٤٢٢، .

(٢) الكندي، الولاة، ص٢١٥، أيضاً اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٤٧٥.

(٣) محمد زيود، العلاقات، ص٢٥، أيضا سيدة الكاشف، أحمد ابن طولون، ص٦٣ .

(٤) ابن دقماق، الانتصار، ج٤، ص٢٣.

الدار عند حديثه عن زقاق الجوف فذكر أنه يوجد في ظهر الدار الجديدة التي أنشأها أبو عبد الله ابن المُدَبِّر بحضرة حمام المغازلي ويسلك إليه من الطريق إلى الحمام المالح".

وكانت دار ابن المُدَبِّر الجديدة هذه بجوار دار الحسن بن شقرة[١]، والذي كان مضحك المتوكل بالعراق، ثم نزل مصر، وانضم إلى ابن المُدَبِّر، وكان يهتف بأحمد ابن طولون، أي يذكره بكل سوء عند ابن المُدَبِّر صاحب خراج مصر، فبلغ ذلك أحمد ابن طولون، فوصله بدنانير ونهاه عن ذلك"[٢].

ولكن يبدو أن الحسن بن شقرة ظل على حاله في السخرية بابن طولون، وظل يقلّده عند ابن المُدَبِّر فيضحك عليه، فوصلت أخباره إلى ابن طولون ثم صادفت الظروف وقت سير ابن طولون بالقرب من دار الحسن بن شقرة هذا فوقع عليه إناء به زرع على دابته أثناء مروره، فسأل عن صاحب الدار فقالوا هي دار الحسن بن شقرة، فقبض عليه وأحضره وضربه ثلاثمائة سوط وطاف به ولم يفلح الحسن بعدها حيث تلف ومات سنة ٢٥٦هـ وبذلك تخلص ابن طولون من أحد معارضيه بمصر خلال المرحلة الأولى هذه[٣]، وقد كانت هناك علاقة قوية بين ابن المُدَبِّر والحسن ابن شقرة وربما استمرت هذه العلاقة حتى سنة ٢٥٦هـ وهي السنة التي توفي الحسن بها وكان ابن المُدَبِّر عاملاً على الخراج وقتها.

المرحلة الثانية: "٢٥٦هـ–٢٥٩هـ" "٨٦٩م ـ ٨٧٢م"

في هذه المرحلة من مراحل الصراع بين ابن المُدَبِّر وابن طولون، والتي تبدأ بحوالي سنة ٢٥٦هـ، وهي السنة التي أعاد فيها الخليفة المعتمد على الله العباسي ابن المُدَبِّر على

(١) دار الحسن بن شقرة: تقع هذه الدار بالفسطاط بالقرب من دار ابن المُدَبِّر الجديدة فهي المقابلة لمسجد عبد الله على يمين السالك إلى الحمام المعروف بحمام المالح، انظر ابن دقماق، الانتصار، ج٤، ص٩.

(٢) المقريزي، المقفي الكبير، ج٣، ص٣٢٦، ٣٢٧، أيضا المقريزي، الخطط، ج١، ص٨٧١ .

(٣) ابن الداية، المكافأة، ص٨٦، ٨٧.

خراج مصر بعد عزله في المرة الثانية [١]، وتنتهي بحوالي سنة ٢٥٨هـ، وربما تنتهي في سنة ٢٥٩هـ وهي السنة التي عُزل فيها ابن المُدَبِّر عن خراج مصر في المرة الثالثة، وذهابه إلى الشام.

ففي سنة ٢٥٧هـ ورد كتاب يارجوخ[٢] إلى ابن طولون بتسليم الأعمال الخارجة عن يده من أرض مصر، فخرج إلى الإسكندرية آخر شوال سنة ٢٥٧ هـ[٣]، وبالتالي بدأت تزداد قوة ابن طولون واتسع نفوذه ضد ابن المُدَبِّر، الذي أحس بالخطر فأرسل إلى أخيه إبراهيم ابن المُدَبِّر حينما كان والياً على الأهواز [٤]، يطلب منه التوسط له عند الخليفة، فأتاه الخبر بتوليه خراج فلسطين والأردن ودمشق فخرج عن مصر سنة ٢٥٨هـ" [٥].

وكان إرسال يارجوخ إلى أحمد ابن طولون طبعاً بعلم الخليفة ورضاه بدليل أن الخليفة وافق على أن تلحق أسرة أحمد ابن طولون به بمصر[٦]. وكان عزل ابن المُدَبِّر وتولية أبي

(١) ابن سعيد، المغرب، ص٧٩، أيضا البلوي، ص٥٩.

(٢) يارجوخ: هو أحد القادة الأتراك، فبعد قتل الخليفة المهتدي للقائد التركي بايكباك في ١٣ رجب سنة ٢٥٦هـ صارت مصر تابعة ليارجوخ . وهو زوج ابنة أحمد ابن طولون فعهد بالتالي لأحمد ابن طولون على ولاية مصر كاملة، حيث أرسل له أن سلم نفسك بنفسك فهنا أصبح ابن طولون نائباً على مصر كلها ليارجوخ لذلك فقد خرج ابن طولون إلى الإسكندرية سنة ٢٥٧هـ وتسلمها وتسلم ما بقي من مصر، وبعد موت يارجوخ استقل ابن طولون بحكم مصر وأصبح تابعاً للخليفة مباشرة، انظر ابن تغري بردي، النجوم، ج٣، ص٨، أيضا ابن طولون الدمشقي، العقود اللؤلؤية، ص١٩، أيضا ابن سعيد، المغرب، ص ٢٦، أيضا البلوي، ص٤٦.

(٣) الكندي، الولاة والقضاة، ص٢١٧.

(٤) وقد تقدَّم الحديث عن ولاية أخيه إبراهيم للأهواز بالتفصيل من قبل عند الحديث عنه بالعراق.

(٥) ابن سعيد، نفسه، ص٨٣، ٨٤.أيضاً ابن خلدون، تاريخ، ج ٤، ص٣٨٧

(٦) ساويرس بن المقفع، سير الآباء البطاركة، ج٥، ص٣٦٥.

أيوب أحمد ابن شجاع[١] بدلاً منه في سنة ٢٥٧هـ حيث يذكر صاحب كنز الدرر[٢]: "إنه في سنة ٢٥٧هـ عزل ابن طولون ابن المُدَبِّر، وولى أبا أيوب أحمد بن محمد بن شجاع على الخراج".

ويؤكد ذلك اليعقوبي: " أن المعتمد في سنة ٢٥٧ هـ ولى أحمد بن محمد ابن المُدَبِّر خراجات الشام، وصرفه عن خراج مصر، وولي خراجها أحمد بن محمد بن شجاع، المعروف بابن أخت الوزير فقدم مصر في رمضان من هذه السنة " [٣]

وبذلك يكون ابن المُدَبِّر قد تولي خراج مصر هذه المرة من ذي القعدة سنة ٢٥٦ هـ وحتي شهر رمضان سنة ٢٥٧ هـ، ويبدو أنه ظل موجوداً بمصر حتي بداية سنة ٢٥٨هـ.

فقد أورد اليعقوبي: [٤] " أن أحمد بن محمد ابن المُدَبِّر خرج من الفسطاط متوجهاً إلى الشامات في المحرم سنة ٢٥٨ هـ فأقام بها " وربما تأخر خروجه من مصر إلى الشام إلى حوالي شهر رمضان سنة ٢٥٨ هـ حيث " مات يارجوخ".

وقيل بل كان عزل ابن المُدَبِّر وولاية أبى أيوب على خراج مصر بدلاً منه في سنة ٢٥٨هـ"[٥]. المهم أنه تم عزل ابن المُدَبِّر عن خراج مصر للمرة الثالثة.

---

(١) أبو أيوب أحمد بن محمد بن شجاع ابن أخت أبى الوزير أحمد بن خالد، أحد كتاب محمد ابن عبد الملك الزيات، فلما قتله المتوكل استكتب أبا الوزير، ولكن لم يسمه بالوزارة وأبو أيوب هذا هو الذي زاد في مسجد عمرو بن العاص أيام ابن طولون، انظر البحتري، ديوان، ج١، هامش ص٤٩١ وقد مات أبو أيوب سنة ٢٦٦، انظر المقريزي، المقفي الكبير، ج١، ص٥٨٢.

(٢) ابن أيبك الدوادار، كنز الدرر، ج٥، ص٢٦٨.

(٣) اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٤٧٦.

(٤) اليعقوبي، نفسه، ج٢، ص٤٧٧.

(٥) الصابي، الوزراء، ص١٦٤، البلوى، سيرة أحمد ابن طولون، ص٦٠.

"ولما مات يارجوخ التركي في شهر رمضان، وكان صاحب مصر ومقطعها"[١]، ويدعي له فيها، " استقل أحمد ابن طولون بالأمر، وكان قبل ذلك نائبه بها"[٢]، "ثم كان خروج أحمد ابن طولون في نفس السنة إلى الثغور بالشام"[٣]، ولو ربطنا الكلام مع البحتري عندما كان بمنبج وأرسل رسالة يشتكي من أحمد ابن طولون إلى أحمد ابن المُدَبِّر بمصر وابن طولون وقتها كان بالشام سنة ٢٥٨هـ. فيكون ابن المُدَبِّر في مصر وقتها في نفس العام.

وبالتالي ازدادت قوة ابن طولون ضد ابن المُدَبِّر خاصة بعد موت يارجوخ في هذه السنة فانفرد ابن طولون بها سياسياً وإدارياً ومالياً [٤]، فبعد أن كان نائباً ليارجوخ تأكد له أنه أصبح تابعاً للخليفة نفسه، فقد أرسل إليه الأخير شخصاً يسمى نفيساً الخادم ومعه صالح بن أحمد بن حنبل قاضي الثغور ومحمد بن أحمد الخزاعي قاضي واسط شاهدين بإعفائه ما زاد عن الرسم من المال والطراز[٥].

" ونحن في هذا الصدد نخالف ما ذهب اليه المؤرخ فييت في كتابه مصر العربية من أن ابن طولون لم يفكر في الاستقلال منذ البداية وأن اتجاهه في هذا السبيل دُفِعَ إلية دفعاً"[٦]

---

(١) الطبري، تاريخ، ج٩، ص٥٠١.

(٢) النويري، نهاية الأرب، ج٢٢، ص٢٣٨.

(٣) ابن أيبك الدواداري، كنز الدرر، ج٥، ص٢٦٩.

(4)Zaky M.Hassan: Les Tulunides، P 165

(٥) ابن خلدون، تاريخ، ج٤، ص٣٨٧.

(6)Wiet: L'Egypte Arabe (Histoire de La Nation Egyptionne tome IV) Page15.

وقد استمر عزل ابن المُدَبِّر عن خراج مصر حتي كان سنة ٢٥٩ هـ وليس قبل ذلك ومن الروايات التي تؤكد ذلك:

١- رواية ابن تغري بردي[١]: "ركب أحمد ابن طولون إلى مقياس الروضة سنة ٢٥٩هـ، ومعه أبو أيوب صاحب خراجه، والقاضي بكار بن قتيبة الحنفي، وأمر بإصلاحه وقدر له ألف دينار".

٢- ما ذكره المقريزي[٢]: " من أن أبا أيوب أحمد بن محمد بن شجاع كان صاحب خراج مصر سنة ٢٥٨ هـ وأقره أحمد ابن طولون على ذلك سنة ٢٥٩ هـ "، وهذا معناه أن أحمد ابن المُدَبِّر كان على خراج الشام سنة ٢٥٩هـ في خلافة المعتمد على الله .

إذن يفهم من خلال ما سبق أن ابن طولون لما تأكد له استقلاله قام بتعيين عامل خراج على مصر تابعاً له بعد أن أرسل له الخليفة بذلك، وهناك روايات تذكر أن عزل ابن المُدَبِّر في هذه المرة كان سنة٢٥٩هـ وأنا أميل لهذا الرأي لسببين:

١- أن ابن المُدَبِّر شعر بالخطر والنية الحقيقية لابن طولون في الاستقلال بمصر بعد أن شرع في بناء الجامع والعاصمة القطائع سنة ٢٥٩هـ، وهذا مؤشر قوي على استقلاله التام، وأيضا خروج ابن طولون إلى الإسكندرية في المرة الثانية له لثمانٍ بقين من شعبان سنة تسع وخمسين، ثم بناء المسجد والمارستان في نفس السنة[٣].

٢- أما السبب الثاني لهذا الرأي هو ما ذكرته أوراق البردي من أنه في سنة ٢٥٩هـ كان ابن المُدَبِّر ما زال على خراج مصر"[٤]، فمن الممكن أن يكون ابن المُدَبِّر على الخراج مع بداية هذه السنة، وتم عزله وذهابه إلى الشام في نهايتها للمرة الثانية وتكون فترة

(١) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٣، ص٣١١.

(٢) المقريزي، المقفي الكبير، ج١، ص٥٨٢ .

(٣) الكندي، الولاة والقضاء، ص٢١٦. أيضاً ابن طولون الدمشقي، العقود الؤلؤية، ص٢١.

(٤) جروهمان، أوراق البردي، ج٣، ص٢٣ .

وجوده خلال هذه المرحلة على خراج مصر بدأ تقريبًا من نهاية سنة ٢٥٦هـ وظلَّ تقريبًا إلى بداية سنة ٢٥٩هـ بسبب الدليل المادى المتمثل في أوراق البردى لكن ربما أنه عُزل في نفس هذه السنة وتم تولية أبى تراب بدلاً منه.

وبالتالي تأكد خروج ابن المُدَبِّر إلى الشام لكن مع الأخذ في الاعتبار أنه ربما هو الذي طلب هذه المرة ترك مصر والذهاب للشام، وربما يكون قد عزله ابن طولون وأحضر بدلاً منه أبا أيوب أولاً، ثم جاء قراره في الذهاب للشام بعد ذلك.

المهم أن ابن المُدَبِّر قد استعمل مع ابن طولون الحيلة، وتقرَّب منه حتي يخرج إلى الشام بأمان حيث قام بعدة إجراءات هي[١]:

١- زَوَّج ابن المُدَبِّر ابنته التي تسمي فَحْلَة من ابن أحمد ابن طولون وهو أبو الجيش خمارويه".

٢- وهب لابن طولون جميع أملاكه بمصر فخرج ابن طولون يشيعه سنة ٢٥٨هـ أو سنة ٢٥٩هـ.

٣- أخذ عليه ابن طولون العهد بألاَّ يذكره بأي سوء وهو في الشام، فقد حدث أبو العباس الطرسوسي أنه سمع ابن طولون يقول له[٢]: "يا أبا الحسن ! أنشدك الله إن تعرضت لي ولا ترَسّمْت[٣] بعداوتي، فقد اجتهدت في استصلاحك فلم أصل إلى ذلك، فقال له ابن المُدَبِّر: والله ما أرد أمرك فيما أتقلده، وإني فيه كالمقام من قِبَلِكَ، فأي شيء أنكرت

(١) البلوي، سيرة ابن طولون، ص٦٠.

(٢) ابن الداية، المكافأة، ص ١٣٤.

(٣) ترَسّمْت: ترسم الشيء أي جعله رسماً له يعرف به، وترسم الأثر اقتفاه وتتبعه، انظر ابن الداية المكافأة، هامش ص١٣٤، والترسيم جمع تراسيم، وهو الأمر الذي يصدر من الجهة المختصة لعقوبة شخص بوصفه تحت المراقبة أي تحديد الإقامة له.

علىَّ حتى أتجنبه؟ فقال: أنكر عليك المكاتبة إلى الحضرة، وقد قلدتك البغي، فحلف له ابن المُدَبِّر أنه لا يكتب إلا بشكره".

المرحلة الثالثة: " ٢٥٩هـ–٢٧٠هـ" " ٨٧٢م–٨٨٣م":

هذه المرحلة كان ابن المُدَبِّر خلالها موجودا بالشام عاملاً على خراجها لكن خلال جزء منها فقط. ففي سنة ٢٥٩هـ تأكد فيها وجود ابن المُدَبِّر بالشام، وعزله عن مصر وفي هذه السنة "بعد موت يارجوخ فقد تأكد لابن طولون تبعيته المباشرة للخليفة، وليس تابعاً لأحد من القادة الأتراك[١] ".

ثم أصبح ابن طولون بعد ذلك أكثر استقلالاً، فبعد أن كان يحكم مصر من قبل الخليفة مباشرة أصبح مستقلاً استقلالاً تاماً بها، وتأكد له ذلك بعد سنة ٢٦٣هـ عندما عهد له الخليفة بتولية خراج مصر، وأيضاً قلده الثغور الشامية.

وتأكد ذلك الاستقلال أيضا بعد بناء أحمد ابن طولون للجامع والمارستان وكان أمام ابن طولون أن يتخذ إجراءات جديدة ليُحكم سيطرته على الأمور بمصر، "حيث شغل الإدارة المالية بموظفين يدينون له بالطاعة والولاء، فجعل عبد الله بن دسومة أميناً على الخراج، وجعل مولاه نُعيماً عيناً ورقيباً على تصرفاته"[٢].

واستولى على البريد أيضا، وبذلك أصبحت مصر كلها في يده "الإدارة المالية والحرب والقضاء والبريد" بعد تخلصه من ابن المُدَبِّر "وأصبح منذ سنة ٢٦٤هـ في عداء ظاهر مع الحكومة المركزية في بغداد واستقل عنها بإدارة مصر"[٣] .

---

(١) محمود زيود، العلاقات، ص٢٥.

(٢) حسن أحمد محمود، العصر الطولوني، ص٥١.

(٣) سيدة الكاشف، أحمد ابن طولون، ص٧١.

وبالتالي يفهم من ذلك أن ابن طولون قد جنَّب أبا تراب ونحاه جانباً عن الخراج، وعين هو من يراه وضمن استقلاله التام بمصر، والتفت بعد ذلك إلى الشام.

وكان الموفق قد لجأ إلى ضرب ابن طولون مرة أخرى فاتفق مع موسى بن بغا على تكليف أماجور[١] –والي دمشق وقتها– (٢٥٧هـ – ٢٦٤هـ)، بإمرة مصر فرحب بذلك لأنه كان من المتحمسين ضد ابن طولون.

ولما فشل أماجور في منع ابن طولون من إحكام سيطرته، اتجه الموفق إلى موسى بن بغا بالخروج بنفسه إلى ابن طولون بعد أن تأكد من خطره عليه أيضا فأتى بجنده إلى الرقة إلا أن ابن بغا تراجع عن قتال ابن طولون بعد أن مكث عشرة أشهر دون أن يحقق أي شيء إلا الفشل، فرحل إلى بغداد ثم توفي سنة ٢٦٤هـ"[٢]، وقام ابنه مكانه، فكتب ابن طولون إلى ابن موسى بن بغا ـ بعد أن تجهَّز من مصر إلى دمشق ـ بأن المعتمد أقطعه الشام والثغور فأجاب بالطاعة [٣].

ولعل توضيحي للوضع في الشام وولاية أماجور عليه راجع إلى أن ذلك أثَّر بقوة على ابن طولون وإتمام سيطرته على الثغور الشامية بعد وفاة أماجور سنة ٢٦٤هـ خاصة مع تزامن ذلك بكتابات ابن المُدَبِّر ضده أيضا إلى الحضرة، وأثناء وجوده بالشام. المهم أنه بنهاية هذه المرحلة آلت جميع الأمور لابن طولون، '' حيث تقلَّد خراج مصر مع

(١) ولاية أماجور على الشام: أقام أماجور عاملاً على الشام في الفترة من سنة ٢٥٧هـ وحتى ٢٦٤هـ فقد حارب عيسى بن شيخ وحده وهزمه وقتل ابنه منصورا، وتسلَّم أعمال الشام، وظل بها حتى قُتل سنة ٢٦٤هـ، وكان يحرض على ابن طولون ويحيك المؤامرات ضده .انظر المقريزى، المقفي الكبير، ج١، ص٤٢١، أيضا حسن محمود، العصر الطولوني، ص٤٥، ٨١، وهناك قصيدة لابن المعتز في ذلك، انظر ابن المعتز، ديوان ابن المعتز، دار صادر بيروت، ص٤٨١.

(٢) محمد أحمد زيود، نفسه، ص١٠١.

(٣) ابن خلدون، العبر، ج٣، ص٣٩٦.

المعونة[١]، والثغور الشامية، فأسقط المعاون والمرافق وهي الضرائب الهلالية التي فرضها ابن المُدَبِّر وكان مقدارها في مصر خاصة كل سنة مائة ألف دينار"[٢]، وقيل إن أحمد ابن طولون أول مَن استضاف الشام بعد موت مقطعها أماجور إلى مصر وسيَّرهما مملكة واحدة له في سنة أربع وستين ومائتين[٣]. أما عن ابن المُدَبِّر وشقير الخادم، فيبدو أنهما قد استمرا في إرسال الكتب إلى الحضرة ضد ابن طولون بدليل قول البعض[٤]: "إن وقت إرسال هذه الكتب كان الحسن ابن مخلد[٥] بالوزارة"، وأن الوزير ابن مخلد قام بدوره بإرسالها إلى ابن طولون وكان عددها أربعين كتاباً.

---

(١) المعونة: المقلد على المعونة هو الوالي أو صاحب الشرطة. انظر ابن سعيد، هامش ص٧٧.

وعمل المعونة يراد به معونة الخليفة في حكم مصر، وذلك أنه لما تولي المعتز بالله وقتل المستعين قلد المعتز بالله بايكباك ولاية مصر على أن يلتمس من يخلفه عليها، فقيل له إن أحمد ابن طولون هو الثقة الأمين فقلده خلافته وضم إليه الجيش، انظر ابن الداية، المكافأه، هامش ص١٣١.

(٢) المقريزي، المواعظ، ج١، ص٢٩٧، أيضا ساويرس بن المقفع، تاريخ البطاركة، ج٥، ص٢٦٩.

(٣) القلقشندى، مآثر الإنافة، ج١، ص٢٥٦، أيضاً صبح الأعشى، ج٤، ص١٦٣.

(٤) عن كتب شقير وابن المُدَبِّر . انظر البلوي، سيرة ابن طولون، ص٥٦، ٥٧، أيضا حسن محمود، العصر الطولوني، ص٣٩، أما عن شقير الخادم فهناك اختلاف بيِّن في تاريخ وفاته، فقيل إنه توفي بعد وفاة المعتز بالله سنة ٢٥٤هـ، وقيل إن أحمد ابن طولون سطاعليه ومات من غده، ثم قتل المعتز بعده. انظر ابن خلدون، تاريخ، ج٤، ص٣٨٦ والبعض يري أنه استمر إلى فترة وجود ابن المُدَبِّر بالشام وأنه توفي في حدود سنة ٢٦٤هـ، وأن المعتمد هو الذى عزله عن مصر من منصبه . انظر سيدة الكاشف، أحمد ابن طولون، ص٦٠.

(٥) الحسن بن مخلد ت سنة ٢٦٩هـ: تولي الوزارة للخليفة المعتمد في ١١ ذي العقدة سنة ٢٦٣هـ، وكانت هذه هي المرة الأولى له في الوزارة ثم عزله ثم طلب موسى بن بغا تولية سليمان بن وهب فاختفى الحسن، ثم عاد الحسن بعد وفاة بغا سنة ٢٦٤هـ، فحكم للوزارة للمرة الثانية، ثم هرب إلى بغداد، وأتى للوزارة للمرة الثالثة، ثم قبض عليه الموالي وتمَّ نفيه إلى الرقة، وطلب من ابن طولون المجيء إلى مصر فوافق فأتى إليها أواخر سنة ٢٦٥هـ. انظر المقريزي، المقفي الكبير، ج٣، ص٤٥٤.

وكان ابن مخلد قد عرَّف ابن طولون بكتب ابن المُدَبِّر إلى السلطان عنه، ولذلك أرسل ابن طولون غلامه إلى الشام، وأمره بالقبض على ابن المُدَبِّر وحبسه في داره، ولم يكن ابن المُدَبِّر يعرف بما قاله ابن مخلد عنه، فكتب إلى ابن طولون رقعة من الحبس، ودفعها إلى من كان يتولى خدمته، وأمره ألَّا يدفعها إلا في يد ابن طولون فأوصلها إليه، فدعا ابن طولون بكاتبه ابن حيدار وكان شاعراً أديباً فقال له: اقرأ فإذا فيها مكتوب:

أريت قبيل الصـبح رؤيا كأننا جميعاً على سطح ينيف بنا السطح

إذا فارس يهوي إلى السطح مقبلا والرمح يلوح بالبشرى إليك مـبادراً

.. الخ هذه الرسالة.

فسأل ابن طولون ابن حيدار فقال بالرضا أم السخط فقال لا بل بالسخط فقلب الرقعة وكتب بظهرها.

أأحمد كان السطح يا ابن محمد منيفاً ولو غاليته انخسف السطح

متي كنت بالإخلاص لله موقناً فتصدق في رؤياك[١].وكان ابن طولون قد استمال قلب الوزير بن مخلد ببغداد أو كما ذكرت من قبل، وطلب منه إرسال الكتب التي كانت تصل إليه من مصر خاصة بعد أن أرسل الهدايا إلى الخليفة.

ويروي ابن الداية، تفاصيل القبض على ابن المُدَبِّر بالشام فيقول: [٢] "إن سعد الفرغاني غلام ابن طولون قد وضح أحداث القبض على ابن المُدَبِّر فقال: إن الحسن بن مخلد كان قد برم كيد الكُتَّاب، وانتقاضهم الأولياء، فكتب إلى ابن طولون يذكر له رغبته في المقام بمصر، فقال له ابن طولون إنما أنا وليك ومقام صنيعة من صنائعك".

(١) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٥، ص٣٩٢، أيضاً البلوي، سيرة ابن طولون، ص١٧٥

(٢) ابن الداية، المكافأة، ص١٣٨.

ولما لم يتمكن ابن مخلد من المجيء إلى مصر[١]، أرسل كتباً إلى أحمد ابن طولون فكان أول ما صدر فيه أربعين كتاباً جميعاً بخط ابن المُدَبِّر، يُعظِّم فيها أمر أحمد بن طولون، ويقول أنه "قد عزم على أن يجلس خليفة، ويصفه بكل غدر، فعجب منها ابن طولون".

ثم مات أماجور سنة ٢٦٤هـ واحتاز ابن طولون دمشق والشام، وانفذني إلى الرملة ـ أي أنفذ سعد الفرغاني ـ فقبضت عليه وأشخصته إليه، فأقام مدة في حبس ضيق، وجفو مما جرت به عادته حتى ذهب بصره ومات"[٢]، ولذلك فإنه يقال: إن ابن طولون أشرف على مالية البلاد بعد تخلصه من ابن المُدَبِّر، وأصبح منذ سنة ٢٦٤هـ في عداء ظاهر مع الحكومة المركزية في بغداد واستقل عنها بإدارة مصر[٣]، وقيل إنه بعد خروج أحمد ابن المُدَبِّر من مصر إلى الشام أقام بها حوالى ثماني سنوات ؛ حيث وثب عليه ابن طولون في سنة ٢٦٧هـ فحبسه وأخذ أمواله [٤]، "وكان وقتها يتولى خراج دمشق"[٥] .

والبعض يقول إنه حبسه وأتى به إلى مصر ثم قتله في حبسه حوالى سنة ٢٧٠هـ، وقيل إن ابن المُدَبِّر مات بأنطاكية بعد سنة ثمانٍ وستين ومائتين[٦].

---

(١) كان الحسن بن مخلد قد نفي إلى الرقة، ثم استقبله ابن طولون بمصر، ويقال بل ذهب إلى الحج ولم يتمكن من دخول مصر في عودته، فأرسل الكتب إلى ابن طولون .انظر ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٣، ص٣٧.

(٢) ابن الداية، كتاب المكافأة، ص١٣٩، ١٣٨.

(3) Zaky M. Hassan: Les Tulunides p. 63.

(٤) ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٢، ص٢١٣، أيضا ابن تغرى بردى، النجوم، ج٣، ص٤٣.

(٥) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٢٠، ص٢٥ .

(٦) ابن ناصر الدمشقى، توضيح المشتبه، ج٨، ص٥٩، أيضاً مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، ج٣، ص٢٦٩.

وإذا كانت المصادر قد اختلفت في المكان الذى مات فيه ابن المُدَبِّر وتاريخ القبض عليه إلاَّ أنها قد اتفقت على أن أحمد ابن المُدَبِّر كان على خراج الشام وقتها عندما قبض عليه ابن طولون ثم جاءت نهايته على يديه.

وفي هذه المرحلة ظل أحمد ابن المُدَبِّر على تبعيته لأحمد ابن طولون بعد ذهابه للشام لتولي مهمة الخراج على دمشق وفلسطين والأردن، وقد تأكدت هذه التبعية بعد أن منح الخليفة العباسي المعتمد على الله أحمد ابن طولون ولاية الثغور(١)سنة ٢٦٤هـ(٢).

والدليل على ذلك هو ما فعله أحمد ابن طولون مع ابن المُدَبِّر عندما وصله الكتب التي كان يرسلها إلى الحضرة، فقام بالقبض عليه ومحاسبته.

وهناك أيضا دليل آخر على استمرار تبعية ابن المُدَبِّر لأحمد ابن طولون من خلال الشعراء الذين كانوا يغدون على ابن المُدَبِّر ليمدحوه أثناء وجوده بدمشق، وذلك بهدف الحصول على الهبات والأموال مقابل قصائدهم ومن أمثلة ذلك الشاعر المعروف بديك الجن(٣)، الذي وفد على ابن المُدَبِّر بدمشق لكي يمدحه"(٤)، ويروي المرزباني(٥): أن

---

(١) الثغور: الثغر بالفتح ثم السكون وراء، وكل موضع قريب من أرض العدو يسمى ثغرًا، كأنه مأخوذ من الثغرة، وهى الفرجة وهو في مواضع كثيرة منها ثغر الشام، وجمعه ثغور. انظر ياقوت الحموى، معجم البلدان، ج٢، ص٧٩.

(٢) الكندي، الولاة والقضاة، ص٢١٧.

(٣) ديك الجن: هو عبد السلام بن رغبان شاعر حمص معروف ولد سنة ١٦١هـ وكان شيعيا ظريفا ماجناً اجتمع بأبي نواس لما قدم مصر، وقد توفي ديك الجن سنة ٢٧٨هـ، انظر ابن تغري بردي، النجوم، ج٣، ص٧٨، وسمى ديك الجن بهذا الاسم لأن عينيه خضراوان وهو من شعراء العصر العباسى، أصله من سُلَّمِيَّة قرب حماة، ومولده ووفاته بحمص، لم يفارق بلاد الشام إلا فترات يسيرة.انظر ابن فضل الله العمرى، مسالك الأبصار، ج١٤، ص٤٤٣، أيضا عمر فروخ، كتاب الأدب العربى، ص٢٧١.

(٤) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٣٦، ص٢٠١، أيضاً الذهبي، تاريخ الإسلام ج٢٠، ص١٢٣.

(٥) المرزباني، أبو عبد الله محمد بن عمران بن موسى ت ٣٨٤هـ، الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء، الشعراء، تحقيق وتقديم محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، ص٣٨٩.

الشاعر ديك الجن ذهب إلى ابن المُدَبِّر بدمشق أيضا، بل ويؤكد أن زيارة ديك الجن هذه لابن المُدَبِّر كانت أثناء ولايته دمشق من قبل ابن طولون فيقول المرزباني: "أخبرني محمد بن يحيى الصولي، قال: حدثنا محمد بن موسى مولى بنى هاشم بالبصرة قال: كنت عند أحمد ابن المُدَبِّر بدمشق وهو يتقلدها لابن طولون فقدم عليه ديك الجن، وكتب إليه أبياتا سألني أن أوصلها إليه فأوصلتها فلما قرأها أحمد قال لي: أريد أن توَلَّع به فوقع في ظهر رقعته بخطه:

ما عندنا شيء فنعطيه ولا يفي بالشكر شكريه

فإن رضي بالشعر عن شعره عارضت في حسن قوافيه

وإن يكن تُقْنِعه دعوة دعوت ربي أن يعافيه

وإن رضي ميسور ما عندنا أمرت نُجْحَا أن يغديه

ومن خلال الأبيات السابقة يتضح الآتي:

١- ذهاب ديك الجن ليمدح ابن المُدَبِّر أثناء وجوده بدمشق ليعطى من الهبات والعطايا.

٢- أنه صرح أن ابن المُدَبِّر كان على دمشق يتولاها من قبل ابن طولون .

٣- وبالتالي يكون ذلك بعد خروج أحمد ابن المُدَبِّر من مصر سنة ٢٥٨هـ أو سنة ٢٥٩هـ.

٤- وأن تبعية ابن المُدَبِّر لابن طولون لم تسقط بخروجه من مصر إلا أنه ظل تحت سمع وبصر ابن طولون حتى القبض عليه ووفاته.

إبراهيم ابن المُدَبِّر بمصر قبل سنة ٢٣٥هـ:

ذكر أبو هلال العسكري[١]: "أن إبراهيم ابن المُدَبِّر قدم مصر، فعندما سار عنها الفقيه أبو على الحسين بن عبد السلام، المعروف بالجمل الشاعر ت٢٥٨هـ[٢] أنشده.[٣]

ومن خلال هذه الرواية التي ذكرها أبو هلال العسكري يستدل على وجود إبراهيم ابن المُدَبِّر بمصر فترة وجود الشاعر الجمل بها، وربما قضى بعض الوقت قبل وجود هذا الشاعر بمصر وقبل خروجه منها.

وقد كان الشاعر الجمل قد نزل مصر، وكان معاصراً للقاضي محمد بن أبى الليث الخوارزمي"[٤]، وقد تولي هذا القاضي" القضاء بمصر في الفتره "٢٢٦ هـ – ٢٣٥ هـ " كما ذكرت من قبل.

وعلى ذلك تكون فترة وجود الشاعر الجمل بمصر خلال هذه الفترة من (٢٢٦هـ–٢٣٥هـ)، أو ربما بقي حتى سنة ٢٤١هـ بمصر وذلك بسبب ما قيل عنه من أنه كان يتكسب من الشعر، وأنه وفد على أحمد ابن المُدَبِّر في دمشق"[٥] ليتكسب من شعره من أحمد ابن المُدَبِّر .

---

(١) أبو الهلال العسكري، كتاب ديوان المعاني، الجزء الأول، ص٣١٠.

(٢) الشاعر الجمل: الشاعر أبو على الحسين عبد السلام الجمل كان بمصر سنة ٢٣٠هـ، وكانت له قصائد ببغداد في الرد على ابن أبى الليث، وهذا هو الجمل الأكبر أما الجمل الأصغر فهو مشبه له في الاسم.انظر ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج٣، ١١٣٠، وقيل إنه توفي سنة ٢٥٩ هـ انظر النجوم، ج ٣، ص٣٠.

(٣) المقريزي، المقفي الكبير، ج١، ص٣١٠ .

(٤) ابن عبد الحكم ت٢٥٧هـ: فتوح مصر والمغرب، تحقيق عبد المنعم عامر، الذخائر، الهيئة العامة لقصور القافة، القاهرة، ١٩٦١م، ص٢٤٧، أيضا ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٢، ص٢٤٦.

(٥) عمر فروخ، تاريخ الأدب العرب، ج٢، ص٣٢٠.

وتكون مقابلة هذا الشاعر لإبراهيم ابن المُدَبِّر في الفترة من ٢٢٦هـ وحتى ٢٣٥هـ، وذلك لأن الأحداث تثبت بعد ذلك وجود إبراهيم في قصر المتوكل كما سبق عند الحديث عن وجود إبراهيم بالعراق أثناء بيعة المتوكل لأبنائه، وأيضاً كان إبراهيم حاضراً مقتل ايتاخ أثناء شهر ذي الحجة سنة ٢٣٥ هـ على اعتبار أن المتوكل قتل إيتاخ بعد موسم الحج بها.

مكانة أحمد وإبراهيم ابني المُدَبِّر الأدبية:

ظهر خلال الدولة العباسية أن: " تخصص أفراد أُسر بعينها في فنون الأدب حتى كان ذلك سبباً في علو منزلتهم، وتمسكت بأسباب الثقافة، وتعلقت بوجوه البلاغة والأدب حتى سما مركزها وعلت مكانة أفرادها ومن هذه الأسر كان بنو المُدَبِّر "[١]، ''فقد كان أبناء بنى المُدَبِّر أعلاماً في دنيا السياسة ومجتمعات الأدب ترنو إليهم العيون"[٢].

وكان كثير من الكُتَّاب يعملون في مجال الكتابة فقط دون أن يصلوا لرتبة الوزراء ولكن في حالة إبراهيم ابن المُدَبِّر الأمر مختلف، فعندما كان يشغل أي منصب سواء في الكتابة للخلفاء أو في الديوان فقد كان يظل في رتبة الوزراء ولم ينزل عنها.

فيذكر المقريزي[٣]: أن إبراهيم لما تولَّى للمتوكل ديوان الأبنية، أنه لم يزل في رتبة الوزراء، ولعل الدليل على تلك المكانة التي عُرِفت لإبراهيم وتقدير الخلفاء له هو أنه عندما استكتبه الخليفة المعتمد على الله لابنه المفوض، وضم إليه بعض الدواوين، دفع إليه مبلغا كبيرا من المال مقداره ثلاثمائة ألف دينار، وخلع عليه بتكريت خلع الوزارة".

وكان أحمد وإبراهيم ابني المُدَبِّر يغلب عليهما طابع الكتابة "النثر" ولذلك قيل عنهم إنهم كانوا كُتَّابا مترسلين.

(١) مصطفي الشكعة، الأدب في موكب الحضارة الإسلامية، ص٣٤٣.

(٢) مصطفي الشكعة، نفسه، ص٣٤٧.

(٣) المقريزي، المقفي الكبير، ج١، ص٣٠٩.

وهناك ملحوظة تُثْبِت ذلك الكلام وهي أن بعض المؤلفين يعتبروهما في قائمة الكُتَّاب وليس الشعراء، فمثلاً أبو هلال العسكري المتوفي سنة ٣٩٥هـ ذكرهم في كتابه (ديوان المعاني) أكثر من مرة إلا أنه لم يعُدُهما في قائمة الشعراء، ولكن ذكرهم في قائمة الكُتَّاب"[١]. أي أنهم "جماعة نبلوا بالكتابة واستحقوا اسمها"[٢].

أما عن مؤلفاتهم الأدبية:

فيقول صاحب الفهرست عن تلك المؤلفات[٣] إن :"محمد وأحمد وإبراهيم جميعهم شاعر مترسل بليغ ولأحمد كتاب المجالسة والمذاكرة" أي أنه يذكر أن لأحمد ابن المُدَبِّر دورا واضحا في النثر وأنه مُؤَلِّف لكتاب المجالسة والمذاكرة، وأنا أشكك في كلام صاحب الفهرست لأنني لم أجد أي شخص تحدث عن هذا الكتاب، أو ربما كان موجوداً بالفعل ثم اندثر مع التراث الضائع.

وفي موضع آخر يذكر صاحب الفهرست أن[٤]: "أبو الحسن أحمد ابن المُدَبِّر له ديوان شعر خمسون ورقة، وأن إبراهيم أخاه مُقِلٌّ".

وهذا يعتبر عكس الواقع لأن إبراهيم ابن المُدَبِّر كان أكثر شعراً من أخيه أحمد ابن المُدَبِّر الذي لم أجد أو أحصل على أي شيء يخص ديوانه الذي يقول عنه: إنه يتكون من خمسين ورقة، ولو كان كلام صاحب الفهرست صحيحا فهذا معناه خسارة كبيرة بضياع ديوان أحمد ابن المُدَبِّر هذا خصوصاً مع العلم بقوته المعروفه بإقراض الشعر واهتمامه الواضح لسماع الشعراء ومجازاة من يعجبه شعره منهم.

---

(١) أبو هلال العسكري، كتاب ديوان المعاني، المجلد الثاني، ص٥١٨ .

(٢) ابن الآبار، إعتاب الكُتَّاب، ص١٥٩.

(٣) ابن النديم، الفهرست، تحقيق د/ محمد عوني عبد الرؤوف بالاشتراك مع الهيئة العامة لقصور الثقافة ضمن سلسلة الذخائر، القاهرة، سنة ٢٠٠٦م، ص١٢٣.

(٤) ابن النديم، نفسه، ص ١٦٦.

الآثار الأدبية لإبراهيم:

اشتهر عن إبراهيم ابن المُدَبِّر أنه صاحب ما عُرِف باسم (الرسالة العذراء)، وهي من الرسائل الأدبية "النثرية" المهمة جدا وعنوانها بالكامل هو "الرسالة العذراء في موازين البلاغة وأدوات الكتابة".

ومن خلال العنوان نجد أنها تحتوي على قسمين:-

القسم الأول: يتكون من المضمون وفيه يتحدث عن شروط الكتابة الجيدة.

القسم الثاني: ويتكلم فيه عن أدوات الكتابة ووصفها مثل: القلم والدواة وغير ذلك.

وهي رسالة قيمة لا يختلف عليها اثنان، وقد حظيت بالنشر في أكثر من موضع ودراسة؛ أشهرها ما نشره الدكتور/ أحمد زكي صفوت ضمن كتاب "جمهرة رسائل العرب في العصور العربية الزاهرة" المجلد الرابع بها سنة ١٩٣٧م. كما نشرها أيضا د/ محمد كرد على وغيرهما.

واهتم قدماء المؤرخين والأدباء بها أيضا فنقلوا عنها الكثير مثل: ابن عبد ربه ت ٢٣٨ هـ /٩٤٠م في كتابه العقد الفريد، وابن الآبار البلنسي ت٦٥٨هـ / ١٢٦٠م في كتابه "إعتاب الكُتَّاب"، والقلقشندي ت ٨٢١هـ في كتابه "صُبح الأعشى" والنويري ت٧٣٣هـ في كتابه "نهاية الأَرَب" وغيرهم.

وقد كنت حتى المرحلة الأخيرة من البحث عن أسرة بني المجبر لا أشكك في نسبة هذه الرسالة إلى إبراهيم ابن المُدَبِّر حتى توصلتُ إلى المقال أو البحث الذي نشره د/ محمود على مكي في مجلة مَجْمَع اللغة العربية[١].

(١) محمود على مكي، مقال بعنوان: "حول تحقيق مُؤلَّف الرسالة العذراء المنسوبة لإبراهيم ابن المُدَبِّر "، مجلة مجمع اللغة العربية (تصدر مرتين في السنة)، الجزء الثاني والستون، رمضان سنة ١٤٠٨هـ /مايو ١٩٨٨م، المشرف على المجلة د/ مهدي غلا رئيس التحرير د/ إبراهيم الترزي ص ص ١٩٠-٢٠١.

وقد أثبت الدكتور محمود مكي خلال هذا البحث بالأدلة القاطعة أن هذه الرسالة تُنسَب إلى أبى اليسر إبراهيم بن محمد الشيباني البغدادي المعروف بالرياضي[١]، وليس لإبراهيم ابن المُدَبِّر الوزير العباسي[٢]، ومن هذه الأدلة الدامغة التي ساقها د/ محمود :

١- ما جاء في نص الرسالة ـ في الأصل ـ أن صاحبها هو أبو اليسر إبراهيم بن محمد الشيباني، أي كانت واضحة وصريحة والمؤلف مذكور بكنيته واسمه ونسبه بغير لَبثٍ ولا التواء، فهي ليست لإبراهيم ابن المُدَبِّر الذي توفي سنة ٢٧٩هـ/٨٩٢م.

٢-أن أبا اليسر الشيباني ولد في بغداد سنة ٢٢٣هـ / ٨٣٨م، أما إبراهيم ابن المُدَبِّر فقد ولد قبل ذلك بحوالي عشرين عاماً.

٣-ما وُجِد حول أبى اليسر المذكور من أخبار قيِّمة في رسالة افتتاح الدعوة للقاضي النعمان بن محمد المتوفى سنة ٣٦٣هـ/٩٧٤م [٣]، والأشعار القيِّمة التي ذكرها لأبى عبد الله الشيعي في المغرب سنة ٢٩٦هـ بعد تمام الأمر له، وكان بحضرته شيوخ أهل القيروان، وكان ذلك سنة ٢٦٠هـ/٨٧٤م.

وقد استطاع الدعاة الشيعة أن يجندوا أبا اليسر لدعوتهم ويتخذوه عميلاً لهم، والدليل على ذلك هو أنه حينما وصل إلى مصر وكانت آنذاك تحت حكم أحمد ابن طولون، وربما

---

(١) أبو اليسر إبراهيم بن محمد الشيباني: ولد ببغداد ونشأ بها ودرس على شيوخ أدبائها مثل: الجاحظ والمُبَرِّد وغيرهما، رحل إلى الأندلس ودخل قرطبة أيام الأمير محمد بن عبد الرحمن الأموي، ثم تركها إلى إفريقيا عند الأمير إبراهيم الثاني الأغلبي وقلَّده ديوان الرسائل، انظر أحمد عبد الباقي، كتاب معالم الحضارة، ص٣٣٥.

(٢) محمود على مكي، الرسالة العذراء، ص١٩٥.

(٣) القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، تمَّ تأليفه سنة ٣٤٦هـ/٩٥٧م، تحقيق فرحات شبراوي، تونس، الطبعة الثانية، ١٩٧٥، ص١٦٩، ١٧٠.

أثار ذلك شكوك أجهزة الدولة فقُبض عليه وأُودع في السجن"[١]، وبالتالي فهذة الرسالة لا تنسب إلى إبراهيم ابن المدبر كما ظن الجميع .

أحمد وإبراهيم ابنا المُدَبِّر رواة للأخبار:

كان الأدباء والمؤلفون منذ القدم يعتمدون على الرواية في نقل الأخبار أمانة منهم وإخلاصاً، ولهذا يجب أن يكون الراوي ثقة وذا سند صحيح[٢].

وعُرِف عن أحمد وإبراهيم ابنيّ المُدَبِّر أنهما كانا من الرواة، فقد قيل عن أحمد ابن المُدَبِّر إنه روى عن أشخاص منهم "إسحاق بن إبراهيم بن مصعب الخُزاعي"[٣].

أما إبراهيم فقد سمع الأخبار والروايات بالبصرة من محمد المهلبي ومن محمد بن زكريا، وروى عنه أبو الحسن الأخفش، وأبو بكر الصولي وجعفر بن قدامة الكاتب"[٤].

إسهامات أحمد وإبراهيم في الترجمة:

قد يتوهم البعض أن الذي عُنِي بالترجمة للمؤلفات المهمة في كافة التخصصات إنما كانوا من الخلفاء فقط "والحال أن للكثير من الأفراد ورجال الفضل من الأمة كان لهم يد لا تنكر في هذا السبيل، ومن هؤلاء الأفاضل الأجواد الذين رصدوا جزءا كبيراً من أموالهم على الترجمة للكتب العلمية في تلك العصور على بن عيسى، وعلى بن يحيى الكاتب وابن

---

(١) محمود على مكي، الرسالة العذراء، ص١٩٨.

(٢) الباخرزي ت ٤٦٧هـ: على بن الحسن بن على بن أبى الطيب، دمية القصر وعصرة أهل العصر، تحقيق ودراسة د/ محمد التونجي، الجزء الثالث، دار الجيل بيروت، ص١٥٩٥ .

(٣) إسحاق الخزاعي، إسحاق هذا هو عم طاهر بن الحسين ولاه الخليفة المأمون حلب والعواصم، ثم عقد له على ولاية مصر، توفي سنة ٢٣٤هـ . انظر عنه إحسان عباس، شذرات من كتب مفقودة في التاريخ، استخرجها وحققها د/ إحسان عباس، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، أيضاً كتاب ''الأحداث لأبى جعفر محمد ابن الأزهر''، ''وتاريخ محمد ابن أبى الأزهر''، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ص٢٨.

(٤) المقريزي، المقفي الكبير، ج١، ص٣٠٩.

المُدَبِّر الكاتب "[١]. فقد كان "أحمد ابن المُدَبِّر الكاتب يصل إلى النَّقَلة من ماله وأفضاله شيء كثير جداً"[٢]. والمقصود هنا كما ذكره ابن أبى أُصَيْبعَة أن ابن المُدَبِّر كان ينفق على جميع النَّقَلة للعلوم من اللغات الأخرى إلى اللغة العربية، وكان من بين هؤلاء النَّقَلة الأطباء الذين ينقلون كتب الطب وغيره من اللسان اليوناني إلى اللسان العربي"[٣].

وقد كان إبراهيم ابن المُدَبِّر أيضا ممن له صلة كبيرة ويشغل مكانة مهمة عند الأطباء "فعندما بعث قَسْطَا الطبيب عدة كتب للناس كان من ضمنها كتاب بعنوان "كتاب جامع في الدخول إلى علم الطب" الذي ألفه إلى أبى إسحاق إبراهيم بن محمد المعروف بابن المُدَبِّر "[٤].

وفي قول لإبراهيم ابن المُدَبِّر: "إن المتوكل أمر الوزير شفاهة، وقال له اكتب في ضِياع الطبيب بختيشوع فإنها ضِياعي ومِلكي فإن محله منا محل أرواحنا من أبداننا"[٥]، ورواية إبراهيم ابن المُدَبِّر هذه عن الخليفة المتوكل تدل على سخاء الأخير في عطائه للأطباء وتقديره لمكانتهم، ولعل ذلك كان قدوة لإبراهيم وأخيه أحمد في حُسن معاملة الأطباء، وصِلاتهم الكريمة لهم ولغيرهم. وليس ذلك غريباً عليهما نظراً لمكانتهما السياسية والأدبية التي ظهرت لهما خلال هذا البحث، وأيضا لمعاشرتهما الخلفاء والعمل معهم منذ نعومة أظفارهما.

---

(١) مجلة المنار، مجلة شهرية تبحث في فلسفة الدين وشؤون الاجتماع العمراني أنشأها السيد محمد رشيد رضا، مصر، مقال بعنوان درس على كتاب الدارس في المدارس، المجلد ١٣، ج٩، ١٩١٠، ص ٧٠٥

(٢) ابن أبى أُصَيْبعَة ت ٦٦٨هـ "مُوفق الدين أحمد بن القاسم السعدي الخزرجي"، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق د/ عامر النجار، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة ٢٠١٠م، ج٢، ص٢٧٠.

(٣) ابن أبى أُصَيْبعَة، نفسه، ص٢٧٣.

(٤) ابن أبى أُصَيْبعَة، طبقات الأطباء، مكتبة الحياة، بيروت، تحقيق د/ نزار رضا، ج٤، ص٣٠٣.

(٥) ابن أبى أُصَيْبعَة، نفسه، تحقيق نزار رضا، ج٤، ص٢٠٧.

وربما انعكس ذلك على طبيعة حياة أحمد ابن المُدَبِّر بصفة خاصة الذي قال عنه المسعودي[١]: "فمن أخبار أحمد ابن المُدَبِّر المستحسنة مما دوَّنها الناس في أخبار الطفيليين أن أحمد قليل الجلوس للمنادمة، وكان له سبعة ندماء لا يأنس بغيرهم ولا ينبسط إلى سواهم، قد اصطفاهم لعِشرته، كل رجل منهم قد انفرد بنوع من العلم لا يساويه فيه غيره".

وهذا يعكس إلى حد ما طبيعة حياته الجدية وحرصه على مجالسة العلماء البارزين في عملهم حتى يستفيد منهم.

امتداد نسل أحمد ابن المدبر إلى المغرب الأقصى:

وردت بعض الروايات التاريخية التي تبين وجود نسل أحمد ابن المدبر في المغرب الأقصى، ويقصد بهم بنو القاسم المعروفون ببني العشرة، وإن القاضي في المغرب من هؤلاء القوم يعرف بأبي الحسن أنهم يعيشون في مدينة سلا . [٢]

ومن الأمثلة التي تبين وجود نسل ابن المدبر وامتداده إلى المغرب ما حدث لأبي بكر عيسى بن الوكيل اليابري [٣]، وهو كاتب كان مستعملا في غرناطه في أثناء الدولة اللمتونية فحكى: " أنه انكسر عليه مال جليل يبلغ عشرة الآف دينار، فقبض عليه وتشخص منكوبا إلى مراكش، فلما بلغ به الموكلون مدينة سلا، وبها يومئذ بنو القاسم المعروفون ببني العشرة، أرباب السماح وأرباب الأمداح – ويذكر أن جدهم الأكبر هو أحمد بن محمد ابن المدبر – قال قصيدتة الشهيره التي يمدح فيها القاضي أبا الحسن يستجير به، فضمن له ماله وتحمله فعاد إلى عمله بغرناطة وشكر له "

(١) المسعودي، مروج الذهب، ج٤، ط١، ص١٠١ .

(٢) هي مدينة بأقصى المغرب انظر ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص٢٣١.

(٣) ابن الآبار، إعتبا الكتاب، ص٤٢٤.

وهناك مثال آخر أيضا يوضح نفس الكلام الطيب عن بني العشرة هؤلاء فيذكر صاحب الذخيرة [١]: " أن قاضي القضاة بالمغرب هو أبو الحسن علي بن القاسم ابن عشرة، وأن لبني القاسم في الجود خيم كبير، ولهم تقدم مشهور معلوم "

أبو الفتح ابن المُدَبِّر الأصفهاني:

أما عن نسل بني المدبر بالمشرق، فمن الأمور التي توضح استمرار وجود بعض الأشخاص المؤثرين والفاعلين من بني المدبر هو الذي ذكره صاحب الدُمية [٢]، عن شخصية أبي الفتح ابن المُدَبِّر الأصفهاني الذي ذكره ضمن القسم الرابع بالكتاب تحت عنوان " شعراء الري والجبال وأصفهان وفارس وكرمان " فهو إذن ضمن شعراء أصفهان، وقد ذكره بأنه أبو الفتح ابن المُدَبِّر، ويقول عنه المحقق إنه ذكره في نسخه أخرى للكتاب باسم ابن المُدَبِّر بالألف واللام، ولذلك فهو يؤكد صلة أبي الفتح هذا ببني المُدَبِّر بالعراق. ولم يذكر أية معلومات أخرى عنه بالكتاب ولا حتى أبيات شعر تنسب إليه، ولم يرد أيضا اسم هذا الشخص في كتاب آخر تناول حياة أي فرد من هذه الأسرة.

(١) ابن بسام ت ٥٤٢ هـ: أبوالحسن على الشنترينى، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق إحسان عباس، الناشر الدار العربى للكتاب، ليبيا، ج٤، د.ت، ص٨١٢ .

(٢) الباخرزي، كتاب دمية القصر وعصرة أهل العصر، ج ١، ص٤٤٣ .

نتائـــــج البحـــث:

١- اشتهار بعض الأسر خلال عهد الدولة العباسية مثل: بنى المُدَبِّر وبني وهب وغيرهما ممن برعوا في الأدب، ومن غريب هذا الأمر أن هذه الأسر كانت تذيع شهرتها في كافة المجالات التي تتصدي للعمل بها، السياسية منها والإدارية فنجدهم حققوا دوراً بارزاً كعمال خراج أو وزراء أو كُتَّاب على الدواوين .

٢- عمل أحمد ابن المُدَبِّر في نفس وظيفة أبيه محمد وهذا يفسر امتداد شهرة هذه الأسرة نتيجة لوراثته تلك الوظيفة المهمة التي هيأت له التعامل المباشر مع الخلفاء منذ الصغر واكتساب الخبرة الفائقة؛ مما أهلهم للعمل في الوظائف المهمة بالدولة لأكثر من خليفة .

٣- كان لهم تأثير كبير في سير الأحداث سواء في مصر أم في العراق أم بالشام كما اتضح ذلك من أسرة أحمد ابن المُدَبِّر بمصر والتي لم ينته تأثيرها بموت أشهر شخص فيها وهو أحمد ابن المُدَبِّر، إنما استمر دورهم (أي من جاء من نسل أحمد) حتى فترات طويلة بمصر انتهت حسب ما جاء في المصادر الأصلية في عهد الخليفة المستنصر بالله الفاطمي، كما كان هناك استمرار لهم في العراق لكن كان بصورة محدود فلم يكن هناك ذكر لأفراد بني المُدَبِّر بالعراق إلا في ابن الخصيبي وفي أصفهان تَمثَّل في الأصفهاني.

٤- انتساب أفراد هذه الأسرة إلى بنى المُدَبِّر لم يكن راجعًا إلى انتمائهم إلى قبيلة بهذا الاسم أو أى بطن من البطون، وإنما كان راجعًا إلى شهرتهم الواسعة في وظائفهم السياسية والإدارية التي تولوها، قال البحترى يمدح إبراهيم ابن المُدَبِّر[١]:

كِلُوا الغاية القُصْوَى إلى مَنْ يَفُوتُكُم بِهَا وَدَعُوا التَّدْبير لابن المُدَبِّر

(١)البحترى، ديوان، ج ١، ص ١٠٦٤.

٥- كان اشتهارهم بهذا اللقب راجعًا في الأصل إلى الأب الذى أخذ هذا اللقب حسبما اتضح من سير الأحداث خلال البحث لأنه لم يظهر لهم جد يحمل هذا اللقب .

٦- ترتب على عدم ذكر أسماء أفراد هذه الأسرة بصورة كاملة تأثير واضح على سرد الكثير من الأحداث خلال البحث، وربما كان اختصار المصادر لأسمائهم بذكر اللقب فقط راجعًا لشهرة أفراد هذه الأسرة وذيوع صيتهم .

٧- عدم ذكر بعض المصادر المتخصصة مثل: كتاب الولاة والقضاة للكندى لأحمد ابن المُدَبِّر عندما كان يعمل على خراج مصر، وما يترتب على ذلك من خلل واضح نتيجة لتجاهل هذا المؤلف لأحمد ابن المُدَبِّر مع عظم الوظيفة التي كان يعمل بها.

٨- ضياع بعض المادة التاريخية والأدبية التي ربما كانت ستساعد كثيرًا في كشف اللثام عن جوانب مهمة في هذه الأسرة ومنها مثلاً: ضياع الآثار الأدبية لأحمد ابن المُدَبِّر وتتمثل في كتابه '' المجالسة والمذاكرة ''، وديوان شعر له وذلك كما ذكر صاحب الفهرست .

٩- كان لإبراهيم ابن المُدَبِّر دور بارز أيضا في سير الأحداث إلا أننا لم نجد أحدا من أبنائه على الساحة السياسية ظاهراً أو حتى في مجال الكتابة التي اشتهرت بها هذه الأسرة على الرغم من ذكر وجود أسرته في مصر كما سبق.

١٠- كانت حياة أحمد ابن المدبر في أغلبها صراعا مع مَن حوله سواء من أقرانه من الكتاب أو من أشخاص آخرين يتعاملون معه، وذلك يعتبر نوعا من الحسد لهذا الرجل بسبب علو شأنه في أي عمل يقوم به، وحدث هذا له في كل مكان عمل به سواء بالعراق أو بالشام أو مصر .

١١- كان أحمد ابن المدبر نافذ البصيرة استطاع ببعد نظره أن يفهم طبيعة أحمد ابن طولون بمجرد وصوله مصر ورفضه للهدايا فعرف أن ابن طولون لا يملأ عينه إلا الاستيلاء على أمور مصر جميعها، وفعلاً هذا ما حدث بعد مراحل من الصراع بين الرجلين .

مَلَاحِقُ البَحْثِ

ملحـق (١)

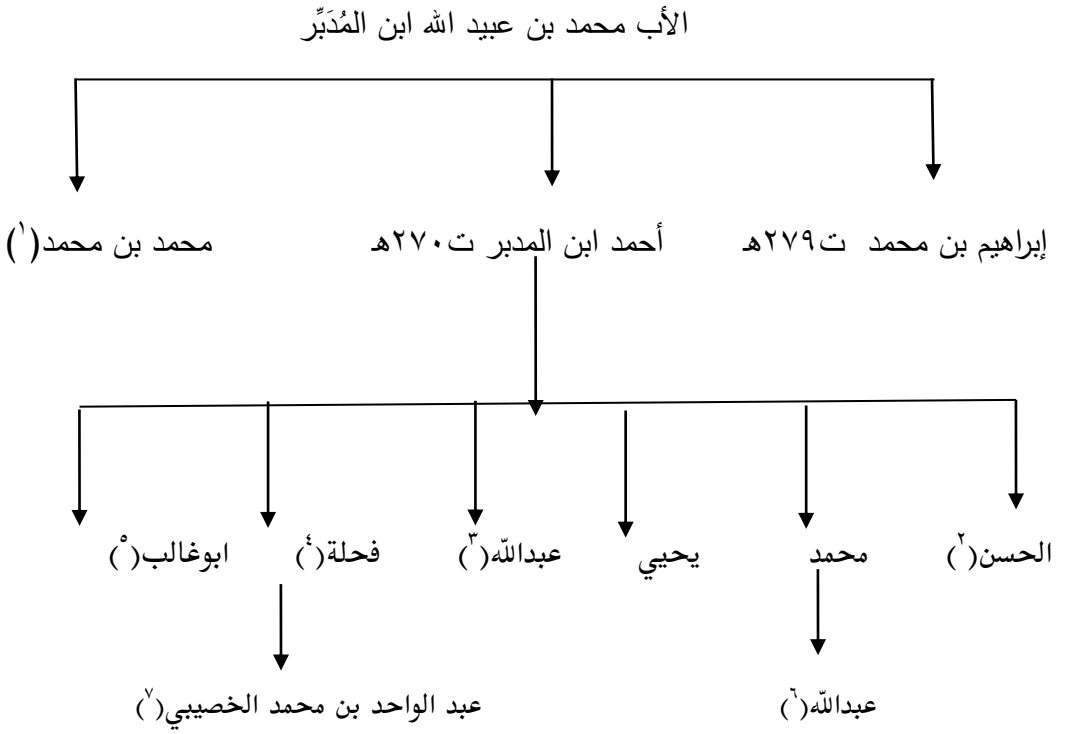

(١) من الممكن أن يكون هو الشخص المعاصر للمعتصم بالله (أحداث خليج الحافر بالبحث ص٥٢).

(٢) ولد قبل سنة ٢٢٩هـ وذلك لأن ابن الزيات كان يكني أحمد بن المدبر بابى الحسن

(٣) عبد الله كان مولود قبل سنة ٢٥٩ هـ لأنه ورد فى بعض الروايات تكنية أحمد بأبى عبد الله و كان ذلك قبل بناء داره الجديدة بمصر أنظر البحث ص٦٨.

(٤) ابنته فحلة كانت متزوجة من بن أحمد بن طولون سنة ٢٥٨هـ.

(٥) أبو غالب كان معاصرا لأحداث الزنج سنة٢٥٧ هـ.

(٦) ولد في سنة ٢٥٩هـ وكان معاصراً لعبد الواحد بن محمد الخصيبي وهو حفيد أحمد بن المدبر لإبنه محمد.

(٧) عبدالواحد الخصيبى هو حفيد أحمد بن المدبر لابنته فحلة وظل على قيد الحياة حتى سنة٣٣١هـ و هى السنة التى توفى فيها الجهشيارى الذى روى له هذة الرواية.

ملحق رقم (٢)

قطعة من إيصال خاص بدفع خراج ([1])

الطراز رقم ٢١٣، مؤرخ سنة ٢٤٨هـ (٧ مارس سنة٨٦٢-٢٤ فبراير سنة ٨٦٣م)

وهو على ورق أسمر رقيق بعض الشيء، يبلغ طوله ١١.٧ س وعرضه ١٣.٦س، وعلى الوجه سبعة أسطر من إيصال خاص بدفع ضريبة، كتبت بأيدي شخصين (كتب الأول منهما س١-٤.٢-٧، والثاني س٣)، بحبر أسود على شكل زوايا قائمة على عرض الألياف الأفقية وظهر الطراز خاليا من الكتابة وقد طويت الورقة في الأصل طيا موازيا للأسطر.

ولا يعرف المكان الذي كشف فيه الطراز.

وقد تطرق إليه كثير من التلف، فزال الجزء العلوي من الإيصال، ولا يزال الجانب الأيسر من الهامش على حالته الأصلية.

١- فلان بن فلان عامل (أبى الحسن أحمد بن محمد).

٢- أعزه الله لخراج سنة ثمان وأربعين ومائتين.

٣- شهد عبد الوهاب بن مسلم على صحة هذه البراة لخراج سنة.

٤- الخراج سنة.

٥- دينر.

٦- N

٧- [من . .]

---

(١) جروهمان، أوراق البردي، ج٣، ص١٤٤، ١٤٥

١- هو أبو الحسن أحمد بن محمد ابن المُدَبِّر صاحب بيت مال مصر المشهور، وقد تقلد هذا المنصب حوالي سنة ٢٤٧هـ وظل فيه إلى سنة ٢٤٨هـ عدا فترتين منفصلتين أحدهما مداها ثلاثة أشهر والثانية تسعة أشهر وخمسة وعشرون يوما على التوالي، كما ورد ذلك مراراً في أوراق البردي (ورقة البردي المحفوظة بمعرض أوراق البردي للأرشيدوق رينر بفينا رقم ٧٧٦ س ٣ [٢٤٨هـ]، رقم ٢٧٧س ٦ [٢٤٧هـ]، وورقة البردي بمجموعة الأرشيدوق رينر رقم ٣١٧٦ س ٥ [٢٥١هـ) ورقة البردي بمجموعة برلين رقم ١٥١٠٧ س ٥ [٢٥٢هـ]، ورقم ٧٩٠٥س ٥ BAU رقم ٦ [٢٥٩هـ] راجع أيضا ك هـ بيكر beitraege zur Geschichte Aegyptens، ج٢ ص ١٤٣- ١٤٥، ١٥٤ -١٦١.

٢- لمعرفة التاريخ العربي المقابل للعدد اليوناني، راجع الجزء الأول ص٨١، من هذا الكتاب.

٣- الحرف اليوناني مطلي بمادة غروية، ويرجح أن يكون هذا الحرف هو حرف u.

٤- لم يبق إلا الجزء العلوي من.

لوحة رقم ١٧

الطراز رقم ١٧٤٢ ب يرجع تاريخه إلى سنة٢٤٩هـ

(٢٤ فبراير سنة ٨٦٣ إلى ١٣ فبراير سنة ٨٦٤م)

وهو على ورق أسمر فاتح، داكن في بعض أجزائه، رقيق بعض الشيء، يبلغ طوله ١٣.٨ س وعرضه ٦.٦س وعلى وجه الورقة ١٢ سطرا من إيصال خاص بدفع ضريبة مكتوبة بحبر أسود على شكل زوايا قائمة على عرض الألياف الأفقية ويشمل ظهر الورقة تسعة أسطر من كتاب خاص مكتوب بحبر أسود مواز الألياف العمودية وكلا النصين غير منقوط، وكانت الورقة مطوية في الأصل طيا موازيا للأسطر.

ولم يعرف المكان الذي كشف فيه الطراز، وهو بحالة لا بأس بها، وقد تطرق التلف إلى بعض أجزاء الهامش الأيمن.

١ [د] ينر.

٢ الدفعة

قَائِمَةُ المَصَادِرِ وَالمَرَاجِعِ

- **القرآن الكريم :**

أولاً المصادر المطبوعة :

١- ابن الآبار ت ٦٥٨هـ: أبى عبد الله محمد بن عبد الله بن أبى بكر القضاعي إعتاب الكُتَّاب، حققه وعلق عليه وقدم له د/ صالح الأشتر، الطبعة الأولى، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٣٨٠هـ-١٩٦١م.

٢- ابن أبى أصيبعة ت ٦٦٨هـ: موفق الدين أحمد بن القاسم السعدي الخزرجي، طبقات الأطباء، ج٢، تحقيق ودراسة د/ عامر النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، سنة ٢٠١٠م.ـ أيضا طبقات الأطباء، ج٢، ج٤، تحقيق نزار رضا، مكتبة الحياة بيروت.

٣- ابن الأثير ت ٦٣٠هـ: أبو الحسن على بن محمد بن عبد الواحد الشيباني، الكامل في التاريخ، المجلد السادس، راجعه وصححه د/ محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ج٦ الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م .

٤- ابن إياس الحنفي ت٩٣٠هـ: محمد بن أحمد، جواهر السلوك في أمر الخلفاء والملوك، تقديم وتحقيق وتعليق د/ محمد زينهم، الدار الثقافية للنشر، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٦م.

٥- ابن إياس الحنفيِ: بدائع الزهور في وقائع الدهور، حققها وكتب لها المقدمة والفهارس محمد مصطفي، الطبعة الثالثة، مطبعة دار الكتب والوثائق بالقاهرة، ج١، ق١، ق٢، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

٦- ابن أيبك الدواداري ت بعد ٧٣٦هـ: أبو بكر بن عبد الله، كنز الدرر، ج٥"الدرة السنية في أخبار الدولة العباسية"، تحقيق دورتياكرافولسكي،بيروت، ١٩٩٢م.

٧- ابن بسَّام ت ٥٤٢هـ: أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق إحسان عباس، الناشر الدار العربي للكتاب، ليبيا، ج١، د.ت .

٨- ابن البطائحى ت ٥٨٨هـ :''الأمير جمال الملك موسى بن المأمون''، السيرة المأمونية أو أخبار مصر ''٥٠١هـ ـ ٥١٩هـ ''، قدم لها أيمن فؤاد السيد، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة (١٤٣٦هـ-٢٠١٤م).

٩- ابن تغري بردي ت ٨٧٤هـ: جمال الدين أبو المحاسن يوسف الأتابكي، النجوم الزاهرة، ج٢، ج٣، ج٥، الهيئة المصرية العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٨م.

١٠- ابن تغري بردي: مورد اللطافة في مَنْ وَلِيَ السلطنة والخلافة، تحقيق نبيل محمد عبد العزيز أحمد، الناشر دار الكتاب المصري، ج١، ج٢، القاهرة، د. ت.

١١- ابن الجوزي ت ٥٩٧هـ: أبو الفرج عبد الرحمن بن على، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، دراسة وتحقيق محمد عبد القادر عطا ـ مصطفي عبد القادر عطا، راجعه نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الاولى، ج ٥، ج١٢.

١٢- ابن حجر العسقلاني ت٨٥٢ هـ: أبو الفضل احمد بن علي بن محمد، تهذيب التهذيب، طبعة المعارف النظامية، الهند، ج١، ١٣٢٧ هـ .

١٣- ابن حمدون ت ٥٦٢هـ: محمد بن الحسن بن حمدون، مختصر كتاب التذكرة الحمدونية، اختصار وتقديم أحمد مهدلي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ج١، ج٢، ٢٠١٥م.

١٤- ابن خرداذبة ت ٢٨٠هـ: أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله، المسالك والممالك الناشر دار صادر بيروت – أفست، ليدن، ج١، ١٨٨٩م.

١٥- ابن خلدون: ت ٨٠٨هـ: عبد الرحمن بن خلدون، تاريخ "المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر"، دار الفكر، لبنان، ٢٠٠٠م.

١٦- ابن خلكان ت٦٨١هـ: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم البرمكي، وفيات الأعيان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر بيروت، ط٧، ١٩٩٤م.

١٧- ابن الداية: أحمد بن يوسف الكاتب، كتاب المكافأة وحسن العُقْبَى، حققه وشرحه وصححه، أحمد أمين – علي الجارم بك – المطبعة الاميرية ببولاق، القاهرة، ١٩٤١م .

١٨- ابن دقماق ت٨٠٩هـ: إبراهيم بن الدمر العلائي، الانتصار لواسطة عقد الأمصار، ج٤، د.ت .

١٩- ابن رسته ت٣٠٠هـ: أبو على أحمد بن عمر، كتاب الأعلاق النفيسة، دار صادر، بيروت، ليدن، مطبعة بريل، ١٨٩٢م.

٢٠- ابن الرومي ت ٢٨٣هـ: أبو الحسن علي بن العباس ديوان ابن الرومي، شرح أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، لبنان، ج١، ط١، ١٩٧١م.

٢١- ابن الرومي، ديوان، ج ١، ط٣، ٢٠٠٢

٢٢- ابن زولاق ت ٣٨٧هـ: أبو محمد الحسن بن ابراهيم، تاريخ مصر وفضائلها، تحقيق د/ على عمر، مكتبة الثقافة الدينية القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٢م.

٢٣- ابن الساعي ت ٦٧٤هـ: " تاج الدين أبو طالب علي ابن أنجب"، نساء الخلفاء المسمى"جهات الأئمة الخلفاء من الحرائر والإماء" حققه وعلق علية د/مصطفي جواد، دار المعارف،القاهرة، ١٩٩٣م.

٢٤- ابن سعيد الأندلسى ت٦٨٥هـ: أبو الحسن نور الدين علي بن موسى المُغْرِب في حُلَي المَغْرِب، عُنِيَ بنشره والتعليق عليه د/ زكي محمد حسن، د/ شوقي ضيف، د/ سيدة الكاشف، الجزء الأول من القسم الخاص بمصر، قدم له د/ زكي محمد حسن، الهيئة العامة لقصور الثقافة القاهرة، ط٣، ١٩٥٥م.

٢٥- ابن طباطبا ت٧٠٩هـ: محمد علي المعروف بابن الطقطقي، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، عُنِيَ بنشره محمود توفيق الكتبي، المطبعة الرحمانية بالخُرْنُفُش، مصر سنة ١٣٣٩هـ.

٢٦- ابن طولون الدمشقي ت ٩٥٣هـ: شمس الدين محمد بن على، العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الطولونية، تحقيق مهنا أحمد مهنا، دار ابن حزم، القاهرة، ٢٠٠٧م.

٢٧- ابن عبد الحكم ت ٢٥٧هـ: فتوح مصر والمغرب، تحقيق عبد المنعم عامر، الذخائر، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ١٩٦١م.

٢٨- ابن عثمان البوصيري ت٨٤٠هـ: أبو العباس شهاب الدين بن قايماز البوصيري الشافعي، إتحاف الخيرة المسهرة بزوائد المسانيد العشرة، تقديم فضيلة الشيخ أحمد معبد عبد الكريم،

محقق دار المشكاة للبحث العلمي بإشراف أبو تميم ياسر بن إبراهيم، الناشر دار الوطن للنشر، الرياض، ج٥، ط١، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٢٩- ابن عساكر ت ٥٧١هـ: الإمام أبو القاسم علي بن الحسن الشافعي، تاريخ مدينة دمشق ج٥، ج ٥٥، ٦٠، دار الفكر، دمشق، دارسة وتحقيق محب الدين أبو سعيد عمرو العمروي، ط١، ١٩٩٧م .

٣٠- ابن العمراني ت٥٨٠هـ: محمد بن علي، الإنباء في تاريخ الخلفاء، تحقيق وتقديم قاسم السامرائي، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط١، ١٩٩٩ م .

٣١- ابن فضل الله العمري ت ٧٤٩هـ: شهاب الدين أحمد بن يحيى، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ج٧، ج١٤، أشرف على تحقيق الموسوعة وحقق هذا الجزء كان سلمان الجبوري، أيضا ج٥، دار الكتب العلمية، بيروت، سنة ١٩٧١م.

٣٢- ابن قدامة ت ٣٣٧ هـ: ابن جعفر ابن زياد البغدادي، الخراج وصناعة الكتابة، دار الرشيد للنشر، بغداد، الطبعة الأول ى، ١٩٨١م .

٣٣- ابن الكازروني ت ٦٩٧هـ: الشيخ ظهير الدين علي بن محمد البغدادي، مختصر التاريخ، من أول الزمان إلى منتهى دولة بني العباس، حققه وعلق عليه د/ مصطفي جواد، ووضع فهارسه سالم الآلوسي، دار اقرأ.

٣٤- ابن الكندي ت بعد ٣٥٠هـ: عمر بن محمد بن يوسف، فضائل مصر المحروسة، تحقيق د/ على محمد عمر، الناشر مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

٣٥- ابن مسكويه ت ٤٢١هـ: أبو علي بن يعقوب، تجارب الأمم وتعاقب الهمم، تحقيق سيد كسروي حسن، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، ج٤، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣ م.

٣٦- ابن المعتز ت٢٩٦ هـ: أبو العباس بن المعتز بن المتوكل بن المعتصم بن هارون الرشيد، طبقات الشعراء، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٣٧٥هـ ــ ١٩٥٦م.

٣٧- ابن المعتز: ديوان ابن المعتز، دار صادر بيروت.

٣٨- ابن منظور ت ٧١١هـ: ''جمال الدين ابن منظور الانصاري الرويفعي الأفريقي''، لسان العرب، بيروت، الطبعة الأولى، جـ٤، ج١٠، ١٤١٤ هـ .

٣٩- ابن منظور، مختصر تاريخ ابن عساكر، ج٣، تحقيق رياض عبد الحميد مراد، مراجعة دار الفكر، ط١، دمشق .

٤٠- ابن ناصر الدين ت ١٢٣٨ هـ: شمس الدين القيسي الدمشقي، توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة رسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ج٨، ١٩٩٣م.

٤١- ابن النديم ت٣٨٠ هـ: الفهرست، تحقيق د/ محمد عوني عبد الرؤوف بالاشتراك مع الهيئة العامة لقصور الثقافة ضمن سلسلة الذخائر، القاهرة، ٢٠٠٦م.

٤٢- ابن يونس ت٣٤٧هـ: أبى سعيد عبد الرحمن بن أحمد الصفدي المصري، الجزء الأول، تاريخ بن يونس"تاريخ المصريين"، جمع وتحقيق ودراسة وفهرسة د/ عبد الفتاح فتحي عبد الفتاح، دار الكتب العلمية، بيروت.

٤٣- أبو العباس أحمد بن بابه الغاشي ت ٥١٠هـ: كتاب رأس مال النديم في تواريخ أهل الإسلام، دراسة وتحقيق د/محمد عبد القادر فرسان، مركز زيدان للتراث والتاريخ، الجامعة الأوروبية طبعة أولى ، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.

٤٤- أبو الفرج الأصفهاني ت ٣٥٦هـ: الأغاني، شرحه وكتب حواشيه أ/ عبد أعَلي مهنا، دار الفكر، ج١٠، ج١٢، ج١٦، ج٢١، ج٢٢. طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب، إشراف د/ محمد أبو الفضل إبراهيم، بولاق، القاهرة.

٤٥- أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، شرح وتحقيق السيد أحمد صقر، القاهرة، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ١٩٤٩م.

٤٦- أبو هلال العسكري ت ٣٩٥هـ: كتاب ديوان المعاني، المجلد الأول، والثاني، تحقيق د/ أحمد سليم غانم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، قدم هذه الطبعة د/ عبد الحكم راضي، القاهرة، سنة ٢٠١٢م.

٤٧- إسحاق بن الحسين المنجم توفي في القرن الرابع الهجري: آكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة، الناشر عالم الكتب، بيروت، ط١، جـ١، ١٤٠٨هـ -١٩٨٧م.

٤٨- الباخرزي ت ٤٦٧هـ: على بن الحسن بن على بن أبى طالب، دُمية القصر وعُصرة أهل العصر، تحقيق ودراسة د/ محمد التونجي، الجزء الأول، دار الجيل، بيروت.

٤٩- البحتري ت ٢٨٤هـ: أبو عبادة الوليد بن عبد الطائي، ديوان البحتري، عُني بتحقيقه وشرحه والتعليق عليه حسن كامل الصيرفي، الجزء الأول والثاني والخامس، الطبعة الثالثة، دار المعارف، القاهرة ١٩٦٤م.

٥٠- البلوي: أبو محمد عبد الله بن محمد المدائنى، سيرة أحمد ابن طولون، حققها وعلق عليها محمد كرد علي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٩٨٨م.

٥١- البلاذري ت ٢٧٩هـ: أحمد بن يحيى بن داوود، أنساب الأشراف، ج١، ط١، تحقيق محمد حميد الله، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٩م.

٥٢- التنوخي ت ٣٨٤هـ: "القاضي أبو علي المحسن علي" الفرج بعد الشدة، تحقيق عبود الشالجي، ج١، ج٢، ج٥، دار صادر بيروت، ١٩٧٨م .

٥٣- التنوخي، نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، ج٨، المحقق عبود الشالجي، دار صادر، طبعة ثانية، ١٩٩٥م .

٥٤- الجاحظ ت ٢٥٥ هـ: أبو عثمان عمرو بن بحر، البُرصان والعُرجان والعميان والحولان، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، طبعة أولى، ١٩٩٠م.

٥٥- الجهشياري ت٣٣١هـ: أبو عبد الله محمد بن عبدوس، كتاب الوزراء والكُتَّاب، تحقيق مصطفي السقا وآخرون، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ضمن سلسلة الذخائر، القاهرة، تقديم أ.د/ عطية القوصي، ٢٠٠٤م.

٥٦- الحبَّال ت ٤٨٢ هـ: الحافظ أبو إسحاق إبراهيم بن سعيد، وفيات المصريين ٣٧٥ هـ -٤٥٦هـ، تحقيق أبو عبد الله محمود بن الحداد، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ .

٥٧- الحميري ت ٩٠٠ هـ: أبو عبد الله محمد، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، بيروت، ط٢، ج١، ١٩٨٠م.

٥٨- الخطيب البغدادي ت٤٦٣هـ: تاريخ بغداد، تحقيق بشار عواد معروف، طبعة دار الغرب الإسلامي، بيروت، ج ٥، ٢٠٠١ م.

٥٩- الخوارزمي ت٢٣٢هـ: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف الكاتب، كتاب مفاتيح العلوم، تحقيق فافلوتن، قدم هذه الطبعة، د/ محمد حسن عبد العزيز الذخائر، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة.

٦٠- الذهبي ت ٧٤٨هـ: الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء، الجزء الثالث عشر، أشرف على تحقيق الكتاب وخرَّج أحاديثه شعيب الأرنؤوط، حقق هذا الجزء على أبو زيد، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

٦١- الذهبي ت ٧٤٨هـ: المشتبه في الرجال أسماؤهم وأنسابهم، تحقيق علي محمد البجاوي، جـ١، دار احياء الكتب العربية، ط١، ١٩٦٢م.

٦٢- الأربلي ت ٧١٧ هـ: علي الله عبد الرحمن سنبط قنتيو، خلاصة الذهب المسبوك (مختصر من سير الملوك)، مرخص من مجلس معارف الولاية.

٦٣- الزركلي خير الدين ت ١٣٩٦هـ: الأعلام، ج ٣، ج ٦، دار العلم للملايين، بيروت، ط ١٥، ٢٠٠٠م .

٦٤- ساويرس بن المقفع ت ٩٨٧ هـ: سير الآباء البطاركة،" تاريخ مصر منذ بدايات القرن الأول الميلادي حتى القرن العشرين"، إعداد وتحقيق د/ عبد العزيز جمال الدين، ج٣، ج٥، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠٠٢م.

٦٥- السمعاني ت ٥٦٢هـ: عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي المروزي، الأنساب، تحقيق عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني وغيره، الناشر مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ج٣، ط١، ١٣٨٢هـ - ١٩٦٢م.

٦٦- السيد محسن الأمين ت ١٣٧١هـ: أعيان الشيعة، حققه وأخرجه وعلق عليه السيد حسن الأميني، دار التعارف بيروت، ج٨، ١٩٨٣ م .

٦٧- السيد المرتضى الزبيدي ت ١٢٠٥هـ: محمد محمد عبد الرازق الحسيني أبو الفيض ت١٢٠٥ هـ، مخطوطة حكمة الإشراق إلى كُتَّاب الآفاق، ضمن نوادر المخطوطات المجموعة الخامسة، تحقيق عبد السلام هارون، الطبعة الثانية، مكتبة الحلبي بالقاهرة، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.

٦٨- السيد المرتضى الزبيدي ، تاج العروس من جواهر القاموس، المحقق مجموعة من المحققين، ج١١، الناشر دار هداية، القاهرة، ١٩٨٤م.

٦٩- السيوطى ت ٩١١هـ: الحافظ جلال الدين عبد الرحمن، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ج ١، ج٢، الناشر عيسى البابى الحلبى، ١٩٧٦م .

٧٠- الشابشتي ت ٣٨٨هـ: أبو الحسن علي بن محمد، الديارات، تحقيق كوركيس عواد، دار الرائد العربي، الطبعة الثالثة، بيروت، لبنان، ١٩٩٨م.

٧١- الصابئي ت٤٤٨هـ: أبو الحسين هلال بن المحسن الصابئي، الوزراء أو "تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء"، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، مكتبة الأعيان، القاهرة.

٧٢- الصابئي: رسوم دار الخلافة، عني بتحقيقه والتعليق عليه ميخائيل عواد، دار الرائد العربي، بيروت، د. ت .

٧٣- الصفدي ت ٧٦٤ هـ: صلاح الدين بن خليل بن أيبك، كتاب الوافي بالوافيات، الطبعة الثالثة، باعتناء س .ديدرينغ، ١٩٩١، الوافي بالوفيات، ج١، ج ٤، ج٦، ج٨، ١٩٩١م

٧٤- الطبري ت ٣١٠هـ: أبو جعفر محمد بن جرير، تاريخ الطبري، " تاريخ الرسل والملوك"، ج٩، تحقيق، د/ محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، الطبقة الرابعة، القاهرة، ١٣٨٧هـ-١٩٦٧م.

٧٥- على باشا مبارك ت ١٣١١ هـ: الخطط التوفيقية الجديدة لمصر والقاهرة، ج١، ج١٠، دار الكتب، القاهرة، ٢٠٠٣م .

٧٦- القاضى النعمان ت ٣٦٣ هـ: افتتاح الدعوة، تم تأليفه سنة ٣٤٦هـ ـ ٩٥٧م، تحقيق فرحات شبراوى، تونس، الطبعة الثانية، ١٩٧٥م.

٧٧- قدامة بن جعفر ت٣٣٧ هـ: الخراج وصناعة الكتابة، شرح وتحقيق د/ محمد حسين الزبيدي، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨١م.

٧٨- القرماني ت ١٠١٩هـ: أحمد بن يوسف، أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، دراسة وتحقيق، د/ أحمد حطيط، د/ فهمي سعد، المجلد الثاني، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

٧٩- القضاعي ت ٤٥٤ هـ: محمد بن سلامة الشافعي أبو عبد الله، تاريخ القضاعي " كتاب عيون المعارف وفنون أخبار الخلائف "، دراسة وتحقيق د/ جميل عبد الله المصري، جامعة أم القري، ١٩٩٥.

٨٠- القلقشندي ت ٨٢١هـ: أحمد بن عبد الله، مآثر الإنافة في معالم الخلافة، الجزء الأول، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، مطبعة حكومة الكويت، ١٩٦٤م.

٨١- القلقشندي: صبح الأعشي، ج٤، ج١٥، قدم هذه الطبعة أ.د/ فوزي محمد أمين الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٥م.

٨٢- الكتبي ت ٧٦٤هـ: محمد بن شاكر، عيون التواريخ وفيه من سنة ٢١٩هـ إلى سنة ٢٥٠هـ، حققه وقدم له د/ عفيف نايف حاطوم، دار الثقافة بيروت، لبنان، ١٤١٦هـ -١٩٩٦م.

٨٣- الكتبي: فوات الوفيات، تحقيق إحسان عباس، ج١، الناشر، دار صادر بيروت، ١٩٧٣م .

٨٤- الكندي ت ٣٥٠هـ: أبو عمر محمد بن يوسف، أخبار قضاة مصر، تحقيق د/ على عمر، الناشر مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٤٢٨هـ -٢٠٠٨م.

٨٥- الكندي: كتاب الولاة وكُتَّاب القضاة، مهذبا ومصححاً بقلم رفن كَست، طبع بمطبعة الآباء الياسوعيين، بيروت، ١٩٠٨م .

٨٦- لويس معلوف ت ١٣٦٥هـ: المنجد في اللغة "أقدم معجم شامل للمشترك اللفظي"، تحقيق د/ أحمد مختار عمر – د/ ضاحي عبد الباقي، الناشر عالم الكتب، القاهرة، ج١، ط١، ١٩٨٨م.

٨٧- المرزباني ت ٣٨٤ هـ: أبو عبيد الله محمد بن عمران بن موسي، معجم الشعراء، تحقيق د/ فاروق أسليم، دار صادر بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ-٢٠٠٥م.

٨٨- المرزباني: الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء، تحقيق محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.

٨٩- المسعودي ت٣٤٦هـ: أبو الحسن علي بن الحسين، مروج الذهب ومعادن الجوهر، دار الهجرة، إيران – قم – ج٤، ط٢، ٢٠٠٩م . .

٩٠- المعجم الوسيط: معجم اللغه العربية، مكتبة الشروق الدولية، ط٤، ٢٠٠٤م .

٩١- المقريزي ت٨٤٥ هـ: تقي الدين أحمد بن علي أبو العباس، كتاب المقفى الكبير، الجزء الأول، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، تحقيق محمد اليعلاوي، بيروت، سنة ١٩٩١م.

٩٢- المقريزي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، تحقيق د/ محمد زينهم – مديحة الشرقاوي، مكتبة مدبولي، القاهرة، ج١، ج٢، سنة ١٩٩٨م.

٩٣- الملواني ت ١١٣١ هـ: العلامة يوسف الملواني، تحفة الأحباب بمن ملك مصر من الملوك والنواب، وبالكتاب ذيل تحفة الأحباب لمرتضى بيك الكردي الدمشقي، دراسة وتحقيق وتعليق عماد أحمد هلال، عبد الرازق عيسى، الطبعة الأولى، سنة ٢٠٠٠م.

٩٤- مؤلف مجهول ت ٣٧٢هـ: حدود العالم من المشرق إلى المغرب، تحقيق يوسف الهادي، دار الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

٩٥- النويري ت٧٣٣هـ: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، نهاية الأرب في فنون الأدب، المجلد الخامس والعشرون والثامن والعشرون، الطبعة الثالثة، دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة ١٨٢٤هـ - ٢٠٠٧م .

٩٦- ياقوت الحموي: معجم الأدباء، "إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب"، تحقيق د/ إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، الجزء الأول والثالث، ط١، بيروت، سنة ١٩٩٣م،

٩٧- المشترك وضعاً والمُفتَرِق صقعاً، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٦م .

٩٨- معجم البلدان، تحقيق د/ فريد عبد العزيز الجندي، دار صادر بيروت، لبنان الطبعة الأولى، ج ١، ج٢، ج٤، ج٥، ١٩٧٧م.

٩٩- اليعقوبي ت ٢٨٤هـ: أحمد بن جعفر بن واضح الكاتب العباسي، تاريخ اليعقوبي، الجزء الثاني، تحقيق عبد الأمير مهنا، الطبعة الأولى، دار صادر، بيروت، ٢٠١٠ م .

١٠٠- اليعقوبي: كتاب البلدان، النجف الأشرف، العراق، ١٩١٨م .

ثانياً: قائمة المراجع:

١- آدم متز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، نقله إلى العربية محمد عبد الهادي أبو ريدة، أعد فهارسه رفعت البدراوي، المجلد الأول، المجلد الثاني تقديم مصطفي لبيب عبد الغني الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٣م.

٢- إحسان عباس: شذرات من كتب مفقودة في التاريخ، استخرجها وحققها إحسان عباس، الطبعة الأولى، كتاب الأحداث لأبي جعفر محمد بن الأزهر، وتاريخ محمد بن أبى الأزهر، دار الغرب الإسلامى، بيروت، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م .

٣- إحسان عباس: العرب في صقيلة " دراسة في التاريخ والأدب " الناشر دار الثقافة، بيروت، ج١، ط١، ١٩٧٥ م.

٤- أحمد عبد الباقي: معالم الحضارة العربية في القرن الثالث الهجري، مركز الدراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩١م.

٥- أدولف جروهمان: أوراق البردي العربية، ترجمه إلى العربية د/ حسن إبراهيم حسن، راجع الترجمة، أ. عبد الحميد حسن، المجلد الأول والثاني، والثالث، الطبعة الثالثة، ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م.

٦- أدولف جروهمان: محاضرات في أوراق البردي العربية " المحاضرة الرابعة " ترجمة توفيق إسكاروس، تصدير فاروق جميل جاويش، دار الكتب والوثائق، القاهرة ٢٠١٠ م .

٧- جورج زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي، ج١، مؤسسة هنداوي، القاهرة، ٢٠١٢ م .

٨- حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، العصر العباسي الأول في الشام ومصر والمغرب والأندلس، دار الجيل، بيروت، ج٢، الطبعة الرابعة عشرة، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.

٩- حسن أحمد محمود: حضارة مصر الإسلامية " العصر الطولونى"، كلية الآداب، جامعة القاهرة، دار الفكر العربي بالقاهرة، ١٩٩٨م.

١٠- حسين الحاج حسن: النظم الإسلامية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ-١٩٨٧م.

١١- زكي مبارك: الرسالة العذراء لإبراهيم ابن المدبر، صححه وشرحه مع مقدمة مفصلة بالفرنسية عن فن الإنشاء ومذاهب الكتابة في القرن الثالث الهجري، الطبعة الأولى، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٥٠هـ-١٩٣١م.

١٢- سمير وديد جرجس: هجمات البربر على الأديرة " دير وادي النطرون "، القاهرة، ٢٠٠٢م .

١٣- السيد البطليوسي: الاقتضاب في شرح أدب الكُتَّاب، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٧م.

١٤- سيدة إسماعيل كاشف: أحمد بن طولون، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٦٥م.

١٥- شوقي ضيف: العصر العباسي الثاني، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الخامسة عشرة،٢٠١١م.

١٦- عفيف عبد الرحمن: معجم الشعراء العباسيين، دار صادر، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.

١٧- على إبراهيم أبو زيد: أحمد ابن يوسف الكاتب الوزير، دراسة أسلوبية في آثاره النثرية، دار المعارف ط١، نقلاً عن السيد البطليوسي"الاقتضاب في شرح أدب الكتاب"، دار الجيل، بيروت،١٩٨٧.

١٨- عمر فروخ: تاريخ الأدب العربي "الأعصر العباسية"، ج٢، ط٤، دار العلم للملايين، ١٩٨١م.

١٩- فرات حمدان عبد المجيد: تجارب الأمم لمسكويه"الجوانب الاقتصادية والمالية"، الطبعة الأولى، دار الأمل الجديدة، دمشق، ٢٠١٥م.

٢٠- فوزي فاروق عمر: تاريخ النظم الإسلامية: دراسة لتطور المؤسسات المركزية في الدولة الإسلامية، ط١، دار الشروق، عمان، ٢٠٠٩م .

٢١- ف. ويستنفلد: جدول السنيين الهجرية بلياليها وشهورها بما يوافقها من السنيين الميلادية بأيامها وشهورها ترجمة د/ عبد المنعم ماجد وعبد المحسن رمضان، الناشر مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة، ١٩٨٠م.

٢٢- قاسم عبده قاسم: أهل الذمة في مصر في العصور الوسطى، القاهرة، ١٩٧٧م.

٢٣- كارل بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، ج٢، نقله إلى العربية د/ عبد الحليم النجار، ط٥، دار المعارف، د.ت.

٢٤- لجنة التأليف القبطي: كتاب خلاصة تاريخ الكنيسة، الناشر مجلة مرقس، ١٩٩٦م.

٢٥- محمد أحمد زيود: العلاقات بين الشام ومصر في العهدين الطولوني والإخشيدي، ٢٥٤هـ-٣٥٨هـ، الطبعة الأولى، دار حسان، دمشق، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.

٢٦- محمد عثمان رمزي: القاموس الجغرافي للبلاد المصرية، القسم الأول والثاني، الجزء الثاني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٤م،

٢٧- محمد محمود زيتون، إقليم البحيرة " صفحات بحيرة من الحضارة والثقافة والكفاح "، دار المعارف، مصر، ١٩٦٢.

٢٨- محمد نجيب أبو طالب: الصراع الاجتماعي في الدولة العباسية، تقديم د/الطاهر لبيب، دار المعارف للطباعة والنشر، سوسة، الجمهورية التونسية، ١٩٩٠م.

٢٩- مصطفي الشكعة: الأدب في موكب الحضارة الإسلامية، كُتّاب النثر، الطبعة الثانية، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ٢٠٠٥م.

٣٠- المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، ط٤، ٢٠٠٤ م

٣١- ممدوح الريطي: دور القبائل العربية في صعيد مصر، مكتبة مدبولي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م .

٣٢- هالة شاكر عبد الرحمن: الورق والوراقون في العصر العباسي ١٣٢هـ-٦٥٦هـ، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م، دار عيسى للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.

٣٣- هويدا عبد العظيم رمضان: المجتمع في مصر الإسلامية من الفتح حتي العصر الفاطمي، تقديم عبد العظيم رمضان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٤م.

ثالثاً الرسائل المنشورة:

١- ١- أحمد علي الحنفي عبد الجليل، الكُتَّاب ودورهم السياسي والحضاري في عصري نفوذ الأتراك والبويهي ٢٣٢١ هـ – ٤٤٧ هـ (٨٤٧ هـ – ١٠٥٦ م)، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية دار العلوم، جامعة المنيا تحت إشراف أ.د/ نصاري فهمي غزالي – حسام حسن إسماعيل ١٤٤٣ هـ – ٢٠٢١ م .

٢- جميل عبد الله محمد المصري: دراسة وتحقيق كتاب تاريخ القضاعي، أو عيون المعارف وفنون أخبار الخلائف''للقاضي محمد بن سلامة بن جعفر الشافعي أبو عبد الله القضاعى ''ت ٤٥٤هـ، رسالة دكتوراه منشورة بكلية الشريعة، جامعة أم القرى، مكة، المملكة العربية السعودية، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

٣- ممدوح عبد الرحمن الريطي: دور القبائل العربية في صعيد مصر من الفتح الإسلامي حتي قيام الدولة الفاطمية وأثرها في النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية ٢١هـ–٣٥٨هـ ٦٤١م–٩٦٩م، رسالة دكتوراه منشورة كلية الآداب، قنا، جامعة جنوب الوادي، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٦م .

رابعًا: الدوريات العلمية:

١- إيمان مصطفي عبد العظيم، سياسات الخراج المصري بين العسف والعدل في عهدي ابن المدبر وابن طولون (٢٤٧ هـ – ٢٧٠هـ / ٨٦١م – ٨٨٣م) حوليات آداب عين شمس، كلية الآداب، العدد ٤٤، ٢٠١٦، الصفحات (٢٥٦- ٣١١)

٢- بيان على عبد الرحيم المظفر: شعر أبي شراعة القيسي، جامعة البصرة، مركز دراسات البصرة والخليج العربي، مجلة آداب البصرة، العدد ٦٥، ٢٠١٣م.

٣- حوليات آداب عين شمس: المجلد ٣٩، مقال بعنوان " أسرة بن العشرة واستقراراهم بسلام، " يوليو – سبتمبر، ٢٠١١م .

٤- خولة عيسى صالح الفاضلي: مجلة آفاق الحضارة الإسلامية، مقال بعنوان: "آلية المصطلحات الإدارية الواردة في كتاب مفاتيح العلوم للخوارزمي"، جامعة بغداد، كلية البنات، " ص١- ص١٣٨" موقع الحوزة الإعلامي.

٥- . عبد المنعم الدسوقي: مجالس الخاصة في العصر العباسي الثاني، جامعة المنصورة، مارس ١٩٩٣م.

٦- محمود على مكي: مقال بعنوان'' حول تحقيق مؤلف الرسالة العذراء المنسوبة لإبراهيم ابن المدبر''، مجلة مجمع اللغة العربية (تصدر مرتين في السنة)، الجزء الثانى والستون، رمضان سنة١٤٠٨هـ ـ مايو ١٦٨٨م، المشرف على المجلة د/مهدى غلا، رئيس التحرير د/ إبراهيم الترزى الصفحات(١٩٠ ـ٢٠١).

٧- مجلة المنار: " مجلة شهرية تبحث في فلسفة الدين وشؤون الاجتماع العمراني"، أنشأها السيد محمود رشيد رضا، مصر، مقال بعنوان درس على كتاب الدارس في المدارس، المجلد ١٣، ج٩، ١٩١٠م .

٨- يونس أحمد السامرائي: إبراهيم ابن المدبر رسالته العذراء، كلية الآداب، جامعة بغداد، العدد ٢٥، د.ت، الصفحات (٢٠٥-٢٥٧).

خامسًا المصادر الأجنبية:

1- wiet: L'Egypte Arabe (Histoire de La Nation Egyptionne tome IV)

2- Zaky M.Hassan: Les tulunides , etude de L'Egypte Muslemane ala fin duLex siede (868-905), paris 1933 .

3- http://www.coptichistory.org/new-page-1999,htm .